كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس

عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام

275هـ – 300هـ

تأليف المؤرخ:

ابن حيان الأندلسي

تحقيق وشرح وتعليق

الدكتور: إسماعيل العربي

منشورات دار الآفاق الجديدة

المغرب

الطبعة الأولى 1411 — 1990

المقدمة

ولد حيّان بن خلف بن حسين بن حيان، أبو مروان، القرطبي في مدينة قرطبة سنة 377 هجرية في عهد هشام الثاني وحاجبه المشهور، المنصور بن أبي عامر الذي كان والده، خلف (340 — 427 هـ) يعمل كاتباً له، ومرافقاً له في غزواته. وقد كان جده مولى لعبد الرحمان (الداخل) بن معاوية. وابن حيان الذي خلف أثراً ضخماً في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي لم يعن بتسطير شيء عن حياته الشخصية، كما أن ما سجله كتاب السير عنه، مثل الحميدي والضبي وابن خلكان وغيرهم (والأواخر منهم ينقلون عن الأوائل) فهو، في مجموعه لا يتجاوز بضعة أسطر، ولا يكاد يتجاوز سنة ميلاده ووفاته سنة 469 هـ (1076 م) وذكر كتبه وبعض شيوخه، والتقرير بأن «له حظاً وافراً من العلم والبيان و صدق الإيراد» كما عبر عنه صاحب جذوة المقتبس الذي أضاف : «وأدراكناه بزماننا».

وأياً ما كان الأمر، فإن ابن حيان الذي لا نعرف عن طفولته وشبابه شيئا على سبيل اليقين، لا بد وأن يكون قد قضى الشطر الأول من حياته في بحبوحة من العيش، في كنف والده الذي امتدت حياته نصف قرن بعد ميلاد ابنه، وفي ذلك المحيط الذي يشكل بلاط الخليفة وقصر الحاجب بؤرته، ومن ثم فلا غرو أن يحظى بمستوى التعليم المتاح لأبناء طبقته وأنداده. ولكنه في هذا المجال أيضا، تصادفنا ثغرة، وهي أن ابن حيان لا نعرف له «برنامج» (وهو عبارة عن مجموع الإجازات التي نالها)، ومع ذلك فإن خلكان ذكر بين شيوخه أبا عمر بن أبي الحباب النحوي وأبا العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي الذي ورد على المنصور بن أبي عامر في سنة 380 هـ، وانتظم في خدمته والذي أخذ عنه كتاب «الفصوص» وسمع الحديث، كما أورد ابن بشكوال في الصلة عدداً آخر من أساتذته الذين أخذ عنهم، وفي مقدمتهم المحدث الفقيه عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي القرطبي،

واللغوي والنحوي أبو عمر أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن أبي الحباب القرطبي، وأصله من قبيلة مصمودة. وقيل أيضاً أنه أخذ العلم عن النسابة أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد المصري. وهذه القائمة على صغرها (وابن حيان ربما أخذ عن شيوخ آخرين لم تصلنا أسماؤهم) ذات أهمية حيث أنها تمثل عدة اتجاهات للتخصص، وتشمل فيما تشمله، علوم اللغة والفقه والحديث والنسب الخ...الأمر الذي يفسر لنا ما نلاحظه من تعدد اهتمامات ابن حيّان، ولكننا نلاحظ أيضاً عدم وجود شخصية تتجه إلى التاريخ من بين هؤلاء الأعلام.

ومع ذلك، فإن ابن حيان قد بدأ مهنته في جمع الأخبار وكتابة التاريخ في سن مبكرة جدا حيث أن أول خبر نقله عنه ابن بسام الشنتريني في الذخيرة يعود الى سنة 397 هـ، وهذا النص يتصل بمقتل الوزير عيسى بن سعيد بن اليحصبي، نسبة الى قلعة بني سعيد (Alcala la Real) في عهد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر (المظفر). فقد وصف ابن حيان مشهد نقل رأس الوزير الى الزاهرة، وكان هو ضمن الجمهور الذي سار في هذا الركب الفضيع، وجاء في ذلك النص قوله : «وكنت في جملة من نظر اليه واستبنت الضربة بخده الأيسر».

وكذلك وصف ابن حيان مناظر أخرى بوصفه شاهد عيان في عهد الحاجب المظفر الذي نعرف أنه كان قصيراً ولا يتجاوز ثماني (8) سنوات، وكانت سن المؤلف عند وفاته (سنة 399 هـ) لا تتجاوز الثالثة والعشرين.

على أن موهبة السرد ووصف المشاهد بلغة جزلة مع عناية بدقائق الأمور، بدت واضحة في ابن حيان منذ البداية. ورواياته الأولى تنم عن حيوية تجعله أشبه بالمحقق الصحفي البارع منه بمؤرخ. وهذه الحاسة المرهفة لالتقاط الصور وإعادة عرضها بالكلام البليغ الموزون في قالب يبدو في بعض الحالات وكأنه شعر منثور، تضفي طابعاً ممتعا على ما يعرضه علينا هذا المؤرخ من الأحداث.

كتب ابن حيان :

يجمع المؤرخون المسلمون القدماء والكتاب الأوروبيون المعاصرون على أن الأثر الذي خلفه ابن حيان في تاريخ الأندلس يقف في القمة، وذلك بالقياس الى من سبقه ومن جاء بعده من الكتاب على السواء، ولكنه من المؤسف أن ما بقي من هذا الأثر الجليل لا يمثل الا قمم أرخبيل ضخم أكثره ضائع تحت سطح بحر العلوم. وقد ذهب كاتب مقالة «ابن حيان» في دائرة المعارف الاسلامية، والمستشرق الاسباني بونس برنجس، الى أنه وضع نحو خمسين كتابا، وعند الأخير أن ابن حيان كتب «شعراً كثيرا» كما ألف كتبا كثيرة في علم الكلام وغيره. ولكنه من الواضح أن بعض هذه الأقوال تكتسي طابعا من المبالغة، ولا يوجد لدينا من أقوال القدماء ما يؤيدها. فلو كتب ابن حيان شعراً كثيرا مثلا، لكان من المرجح أن يصل الينا شيء منه عن طريق مؤرخي الأدب الاندلسي، مثل ابن بسام وابن سعيد والمقري، أو على الاقل، لذكروا أنه قال شعرا.

وأهم أن الكتب التي نسبت الى ابن حيان، وكلها في التاريخ، وتأكدت هذه النسبة هي :

1 ـــ كتاب المقتبس :

في تاريخ الأندلس الذي يعالج تاريخ شبه جزيرة ايبيريا منذ فتح طارق بن زياد لهذه البلد في سنة 91 هـ (711 م) وينتهي بنهاية خلافة الحكم المستنصر في سنة 366 هـ

(976 م) (والقسم الخامس المطبوع منه بعناية شالميتا وآخرين مدريد 1979) ينتهي في سنة 330 هجرية :

وكتاب المقتبس الذي لم تصل الينا سوى قطع منه ذكره الكثيرون واقتبسوا منه، وفي مقدمتهم ابن حزم الذي قال أنه يتكون من عشرة أسفار ووصفه هذا العالم بأنه من «أجلّ كتاب ألف في هذا المعنى».

وكتاب المقتبس نشرت منه، عدا هذه القطعة، ثلاث قطع أخر، قام بتحقيقها كل من الأساتذة : عبد الرحمان علي الحجي وتبدأ من سنة 360 هـ وتنتهي عند سنة 364 هـ، ومحمود علي مكي، وتبدأ في سنة 232 هـ، وتنتهي في سنة 267 هـ، وشالميتا وآخرون، وهي تعالج عهد عبد الرحمان (الثالث) الناصر لدين الله، وتبدأ في سنة 300 هـ، وتنتهي في سنة 330 هـ. والكتاب زاخر بالمعلومات والاقتباسات الشعرية والأحداث، وبالتالي، فإن قيمته الأدبية لا تقل عن قيمته التاريخية.

2 ـ كتاب المتين :

يعزو حاجي خليفة، صاحب كشف الظنون، غلطا،كتاب المتين الذي أورده بتحريف باسم «المبين» الى أبي حيّان (محمد بن يوسف) النحوي. وقد وصف ابن سعيد المتين بأنه يقع في 60 مجلدا، وقال عنه أنه، «يذكر فيه أخبار عصره ويمعن فيه ما شاهده». وهذا الكتاب نقل عنه ابن بسام في الذخيرة، وابن سعيد في المغرب، وابن بشكوال في الصلة، والقاضي عياض في ترتيب المدارك، والمقري في نفح الطيب، وابن الخطيب في الاحاطة، وابن الابار في التكلمة، والحلة السيراء، وفي أعذار الكتاب، وابن عذارى في البيان، وابن خلدون في العبر، مادة كبيرة بحيث لو جمعت في كتاب واحد لشكلت سفرا كبيرا. والكتاب يبدأ بأحداث ثورة البربر وينتهي، حسبما يقول ابن بسام في سنة 463 هـ (أي قبل وفاة ابن حيان بست سنوات) وهو يتناول جميع الأحداث في عهد ملوك الطوائف. ومن هذه البيانات يتضح لنا أن المقتبس أقدم وأسبق من كتاب المتين الذي يعتبر ضائعا.

3 ـ أخبار الدولة العامرية :

ذكره كل من ابن الابار والمراكشي وابن سعيد المغربي وابن الخطيب. وهذا الكتاب فيما يبدو أكبر من الكتابين السابقين حيث أن ابن الخطيب يقول أن أسفاره تربو عن المائة، وهذا التقدير يدل بدون شك، على ضخامة الكتاب، وان كان لا يعطينا فكرة عن حجمه الحقيقي، حيث أن السفر قد لا يتجاوز كراسة أو ملزمية.

4 ـ البطشة الكبرى :

ألفه في أواخر حياته وقد ذكره كل من علي ابن بسام في الذخيرة وابن الخطيب في الاحاطة. وقد ذهب بعض المحدثين غلطا الى أن هذا الكتاب هو نفس كتاب الدولة العامرية، ولكن كون كلا المؤرخين السابقين ذكر كلا الكتابين واقتبس منهما دليل على الخلط وفساد هذا الرأي.

والى جانب هذه الكتب الأربعة التي ثبتت نسبتها، ينسب بونس بونجس الى ابن حيان مستندا الى اشارات في كتاب التكملة ثلاثة كتب أخرى، وهي : «انتخاب من أخبار القضاة» وكتاب «الجمع بين كتابي القبشي وابن عفيف» وتهذيبا لتاريخ ابن عفيف. ولكن هذه القضية يحتاج اثباتها الى توثيق أقوى.

مصادر ابن حيان :

من الصعب محاولة وضع ثبت شامل للمصادر التي استقى منها ابن حيّان مادته قبل أن تجتمع لدينا، على الأقل، الأجزاء المفقودة من كتاب المقتبس. ونحن، مع الأسف نفتقد القسم الأول من هذا الكتاب، وهو القسم الذي يتحدث المؤلفون في مقدمته عادة عن مصادرهم. وابن حيان لا يذكر الرواية الشفوية عند التوثيق، فهو لا يستعمل التعابير الشائعة، مثل «رويت عن فلان» أو «سمعت من فلان»، ولكنه يقول : «قرأت في كتاب فلان». ولكن ظاهرة عزوفه عن الرواية الشفهية يجب ألا تخدعنا ونستبعدها كلية، فإن الرواية الشفاهية ظلت قرونا طويلة أهم مصادر العلم عند المسلمين، وهذا يشمل الحديث وعلم اللغة والأدب بصفة عامة، بل ويشمل التاريخ ايضا، كما هي الحالة عند الواقدي والطبري وغيرهما. واذا كان ابن حيان قد أهمل ذكر أسماء الأشخاص الذين نقل عنهم الأخبار لاستثقاله ما في ذلك من التسلسل وما يقتضيه الاسناد من الشروط في الرواة، فان ذلك شأنه. أما نحن فلا يسعنا أن نتصور أنه أعرض عن الرواية الشفاهية كلية ولم يستفد قط مما يقدمه إليه معاصروه ممن شاهدوا الأحداث أو شاهدوا من شاهدها. ولكنه اذا كانت الرواية

الشفاهية لا بد وأن تدخل حتما ضمن مصادر المؤلف من الأخبار، فإن من المستحيل تقدير مساهمتها الفعلية في حصيلة ما يقدمه إلينا المؤلف من الأخبار. وأما قضية كونه قد استقى أخبارا من النصارى أو من الكتب الموضوعة باللغة اللاتينية، كما ذهب إلى ذلك دوزي، فإن ذلك فرض يحتاج اثباته إلى بحث متعمق، وهو شيء لم يقم به أحد منذ أن طرحت هذه المسألة على بساط البحث.

وأما مراجع ابن حيان من الكتب، فهو يذكرها عادة بصيغة «قرأت في كتاب فلان» وذلك حتى متى كان الكاتب من معاصريه أو قرأ عنه الكتاب المستشهد به (كابن الفرضي مثلا).

وكما سنرى، فان أهم مصادر ابن حيان في القطعة التي نقدم لها وأكثرها ورودا، هي في المكان الأول، تاريخ عيسى بن أحمد الرازي الذي ينقل عنه بتوسع إلى درجة أن بعض الباحثين ذهب إلى أن أغلبية مادة كتاب المقتبس مستقاة من هذا التاريخ الذي يقف عند عهد الحكم الثاني (الحكم الذي كتب أحمد، والد عيسى، تاريخ عهده كما كتب للمنصور بن أبي عامر كتاباً عن الوزارة والوزراء وآخر عن الحجابة).

المخطوطة :

قلنا أنه لم يصل إلينا من كتاب المقتبس سوى أربع شذرات هي كل ما كشف البحث عنه حتى الآن، واحدها هي المخطوطة التي نقدم لها بهذه الكلمة القصيرة.

والمخطوطة التي قمت بتحقيقها محفوظة في مكتبة البودليان بأكسفورد تحت رقم 509 وتحتوي على 107 ورقة، وهي مكتوبة بخط مغربي جميل، مع العناية بكتابة عناوين الموضوعات بحروف كبيرة. والمخطوطة في حالة جيدة، وذلك فيما عدا ورقتين أصابهما بعض التلف نتيجة للرطوبة، وهما الورقة الثانية والثالثة. والهوامش نادرة على

حافة المخطوطة. والصفحة تتكون من 17 سطر، ومقاس الورقة 19×24 سنتمتر.

وهذه النسخة التي اطلع عليها المستشرق دوزى عندما كان يجمع مواد كتابه «تاريخ : المسلمين في الأندلس»، فريدة، وهي على الرغم من جمال خطها مليئة بالأخطاء والتحريف، مما جعل هذا العالم يقول أنه لا يجرؤ على نشرها، ولو أنها النسخة الوحيدة، والكتاب نشره القسيس الاسباني ملتشور في باريس فين سنة 1937، بدون هوامش أو تعليقات.

والاعتبارات التي دفعتني الى تحقيق هذه القطعة تتلخص فيما يلي :

كنت في سنة 1978 قد احتجت فيما احتجت اليه من الكتب في بعض الأبحاث الى هذا الكتاب، فبحثت عن نسخة منه في مكتبات الجزائر وتونس، ولكن بدون جدوى. وكذلك التجأت الى مساعدة الصديق، الدكتور ميكايل دوابلزا، الأستاذ بجامعة أليقنت (Alicante) باسبانيا، ورجوته أن يزودني بصورة من الكتاب اذا كانت المكتبة الوطنية بمدريد تملك نسخة منه، وقد قام بهذه المهمة مشكورا في ظرف وجيز.

وعندما شرعت في استخدام هذه النسخة ظهر لي على الفور أن ما تنطوي عليه من الأغلاط والتحريف يجعل الاعتماد عليها للتوثيق أمرا محفوفا بالمخاطر. ومنذ ذلك الوقت قررت القيام بتحقيق هذه القطعة التي زودتني مكتبة جامعة أكسفورد بنسخة مصورة منها.

وعندما شرعت في التحقيق، وبالمقارنة تبين لي أن القسيس ملتشور قد بذل قصارى جهده فعلا لحل المعضلات الكثيرة التي واجهته في قراءة المخطوطة، ولكنه اتضح كذلك أن بضاعته من اللغة العربية لم تكن كافية لتسمح له بالقيام بمهمة كهذه. أضف الى ذلك أن معظم المراجع والمصادر التي تتعلق بتاريخ الأندلس، وفي مقدمتها كتاب الذخيرة، والحلة السيراء ونفح الطيب والمغرب لابن سعيد، والصلة لابن بشكوال، والذيل للمراكشي والاحاطة لابن الخطيب الخ... لم تكن قد نشرت

بعد قبل الحرب العظمى الثانية عندما كان يعمل لنشر الكتاب حتى يستعين بما احتوت عليه من الاقتباسات من كتاب المقتبس ويصوب ما أشكل عليه في الكتاب. ولكن المشكلة الكبرى التي كان من سوء حظه أن يواجهها هي مشكلة الطباعة. فان طباعة الكتاب تمت في فيينا وهو مقيم في باريس، ونحن نستطيع أن نتصور الصعوبات التي ينطوي عليها تصحيح تجارب الطبع التي تتردد بين بلدين متباعدين. وهكذا فقد ظهرت هذه الطبعة مشحونة بأغلاط لا يمكن عدها، ومن كل الأنواع : أغلاط الناسخ للأصل وأغلاط قراءة المحقق والأغلاط المطبعية... وهذه الأغلاط الأخيرة حاول المحقق تداركها، فوضع ثبتا لهذه الغاية يتكون من 7 صفحات... وعند درس هذا الثبت تبين لي أن بعض الكلمات والأسماء التي صححها صحيحة في الأصل، وأن التصحيح هو الغلط ! ومن جهة أخرى فان ثبت التصحيح نفسه تناولته يد الطباع بالغلط والتحريف بحيث يحتاج الى ثبت آخر يكون عنوانه «تصحيح أغلاط الصحيح...»

وهكذا كان أول عمل قمت به عند بداية التحقيق هو ابعاد هذه النسخة المشوهة ثم الاستعانة بالنصوص المقتبسة في الكتب الأخرى من المقتبس. واذا لاحظ القارىء أنني أهملت أن أذكر في الهوامش طبعات وصفحات الكتب التي استعنت بها للتصويب لاقامة النص فجوابي عن ذلك هو أنه قد تراءى لي أن ذلك سيأخذ مساحة كبيرة من الكتاب فضلا عن ما يؤدي اليه التخريج الكثير بالحروف بالاضافة الى التخريج بالارقام للهوامش من الصعوبات للطباعين. ولذلك فقد اختصرت الطريق، وأنا على كل حال أسعد ما أكون لأن أرى أن هذه بضاعتنا ردت الينا بدون كثير من الشكليات.

والقطعة التي بين يدي القارىء تحتوي على تاريخ الأندلس في عهد الأمير عبد الله بن محمد الذي كان عهد اضطرابات وثورات عمّت مختلف أطراف الأندلس وشاركت فيها جميع العناصر الاثنية من عرب وبربر ومولدين الخ... وكان أشهرها وأخطرها جميعا هي ثورة عمر بن حفصون التي يعتبر تاريخ ابن حيّان أوفى وأدق ما

كتب عنها. وهذه الثورة ورثها الأمير عبد الله عن سلفه وأخيه المنذر الذي ورثها بدوره عن أبيهما محمد.

والصورة التي يقدمها الينا ابن حيّان للأمير عبد الله الذي غطاه مجد حفيده عبد الرحمان الناصر وعظمته، صورة واقعية متوازنة لا طلاء عليها ولا أثر فيها للإعجاب بخصاله أو بأعماله ومنجزاته، فقد عني المؤلف بإبراز قسمات هذه الشخصية وتسليط الأضواء على الجوانب الإيجابية والسلبية فيها على السواء. فهو يصوره على حقيقته وبكل ما تنطوي عليه نفسه من المتناقضات : فهو رجل تقي ورع متواضع وفارس شجاع، ولكنه أيضاً غليظ فظ القلب مسرف في سفك الدماء، تنقصه السياسة ويعوزه الدهاء والحنكة التي يتمتع بها بعض أعدائه الذين نغصوا عليه حياته. والمؤلف اذ يلتزم الموضوعية في سرد الوقائع والأحداث لا يتردد في بعض الأحيان في توجيه اللوم والانتقاد إلى الأمير عبد الله الذي ينبه إلى أن سلوكه بعيد عن أن يجعل منه مثالاً أخلاقياً يحتذى.

الجزائر، مستهل رمضان 1404 هـ

اسماعيل العربي

باسـم الله الرحمن الرحيم
(و) صلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما

ذكر خلافة الامير عبد الله بن محمد السابع من خلفاء المروانيين بالاندلس بعد أخيه المنذر بن محمد واتفاق أهل الجماعة بالاندلس عليه لحين انتشار المخالفين له بأكثرها وتفريقهم الناس عنه ومكائدته من ضم نشرهم لما اعي (؟) عليه واعجزه، وذكر ما عانيه من حروبهم ورامه من صلوحهم استكشافا لفتنتيهم... الا الاستشراء ومطاولة الى ان هلك عن طول مدة... الاندلس مطبقة وتسمية اكابر القائمين ومشهور وقائعهم وذائع اخبارهم الى ذكر ... مملكته من اضدادهم المتمسكين .....

....

....

....

بدواعي الفساد المنجر على بعض اولاده واخواته ووزرائه وقواده المنتزين عليه من محاربة (؟) واعدائه وما جرى خلال ذلك كله واتصل به ما رويناه وانتهى علمنا اليه والاحاطة لله عز وجل وتعالى جده.

خبر البيعة للامير ابي محمد عبد الله بن محمد، بعد مهلك اخيه المنذر بن محمد واجماع المتمسكين بالجماعة عليه من بين أهل بيته دون بيعة متقدمة ولا وصية متبعة، وازدياد المضادين لهم من أهل الخلافة في الشرود عنه ووصف جمل من محاسنه وأدبه عما أراد من قصد سيرته صدعت... واقراضهم له وما اتصل بذلك وقاربه

قال عيسى بن احمد الرازي : لما ان طرق الامير المنذر... عمر بن حفصون بعقر داره، اخذ بمخنقه... وانه استقصر صاحب مقدمة... مرتبته اذ كانت وقعت عليه.... من قبل ابن حفصون اخوة عبد الله بن محمد(1) المؤهل لمكانه فانفذ الخدم

(1) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (229—300 هـ) أبو محمد : من أمراء الأمويين بالأندلس.

البربر فيه الى قرطبة وهو كان خليفة فيها يوحون اليه بشان اخيه بداخل المغرب وأوقفوه على موته وأجلسوه مكانه، فأحضر الوزراء سريعا وعرّفهم خبر الحدث على أخيه، ودعاهم الى البيعة له فسارعوا اليها وبايعوه جميعا مختارين، ثم دعا برجال قريش [و] بالعسكر ومن يليهم من الكتاب والقواد والموالي ووجوه اهل العسكر على مراتبهم فاخذت البيعة عليهم سرحة لم يختلف منهم أحد، ثم تحرك لوقته قافلا الى قرطبة بجميع عسكره وقدم تابوت اخيه المنذر(2) قدامه على جمل بعد أن قدم أمام ذلك كتابه الى ولده، أكبر بنيه، بالدخول الى قصر قرطبة وضبطه خلافته بالحضرة الى أن يلحق به، واستسر ذلك كله عن المارق عمر بن حفصون المنزول به، فما علم به الا بعد

= بويع له بقرطبة عقب وفاة أخيه المنذر (275 هـ). كانت في عهده الثورات والاضطرابات التي كان من أخطرها ثورة عمر بن حفصون التي ورثها عن أخيه وأبيه. عرف الأمير عبد الله بكثير من الخصال الحميدة فاشتهر بالاقتصاد والابتعاد عن تبذير أموال الدولة وبالورع والتقوى وفعل الخير، ولكنه كان أيضا ميالا الى سفك الدماء، وقد قتل اثنين من أبنائه وأخا له بيده. كان شاعرا فصيح اللسان بصيرا بأسرار اللغة العربية، ملمّا بأيام العرب، نعتبر ترجمة ابن حيان له أوفى وأدق ما وصلنا. وأكثر المصادر التي بين أيدينا نقلت عناصر ما أوردته عن تاريخ الأمير عبد الله عن هذا الكتاب. انظر ديوان العبر لعبد الرحمن بن خلدون، طبعة بولاق (132/4) وقد ورد فيه اسمه بتحريف عبيد الله. الحلة السيراء لابن الأبار طبعة القاهرة في حزيران 1963 (124/120/1) وقد أورد ابن الأبار نبذة من شعره، الكامل لابن الأثير. تحقيق طورنبرج، إعادة الطبع بيروت 1967 (4357 و 73/8)، نفح الطيب للمقري، تحقيق إحسان عباس، بيروت 196 (352/1 ـــ 353) أخبار مجموعة، تحقيقنا (تحت الطبع)، تاريخ ابن القوطية، تحقيقنا (تحت الطبع)، المغرب في حلى المغرب لابن سعيد وآخرين، تحقيق شوقي ضيف، طبع القاهرة، جزآن. 53. 54. 111. 181. 185 50/1 و 69/2. 105) وفيه تأكيد رواية ابن حيان بأن عبد الله «دس الى العاضد مالا على أن يسم المبضع، ففصد فمات، (أخوه) المنذر»، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق احسان عباس، بيروت 1978 (940/2/1) البيان المغرب لابن عذاري، تحقيق ليفي بروفنسال وكولان، بيروت، (130/2 وما يليها) وفيه «واحتال على أخيه المنذر.. ووطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذي فصده به». جذوة المقتبس للحميدي، طبعة القاهرة 1966، و ص : 12) كتاب اعمال الأعلام لابن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت 1966 (ص 26. 28) وفيه نقلا عن ابن حزم انه كان «قتالا تهون عليه الدماء مع ما كان يظهر من عفته». الاحاطة لابن الخطيب، طبع القاهرة، 1973، في أربعة أجزاء (277/4).

(2) المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموي (229ـــ275 هـ) أبو الحكم ولد بقرطبة ولما شب سيّره أبوه في عدة غزوات فعاد فاتحا مظفرا. بويع بعد وفاة أبيه (سنة 273 هـ) وهو ابن 24 سنة فعرف العطاء في الجند وتحبب الى أهل قرطبة، وكان يصل الشعراء والأدباء، ولكنه كان «شكس الأخلاق» في رواية ابن عذاري. انظر البيان (113/2) وما يليها، الكامل لابن الاثير (141/7ـــ145)، جذوة المقتبس (ص 11)، العبر (113/2)، نفح الطيب (352/1)، تاريخ ابن القوطية، بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء، لعلي بن محمد الروحي، طبعة القاهرة ـــ 1327 هـ (ص 32)، أعمال الاعلام لابن الخطيب (ص 23ـــ25).

تقويض العسكر للقفول وتحمل أكثر أهله، فخرج عند ذلك على من تباطأ أو تثاقل من الناس فعاث فيهم، وانتهب منهم، وأدرك ما عجز الناس عن حمله وغادروه من أثقالهم وآلاتهم وعُددهم.... في العسكر... ان الأمير.... وأرادوا الأمير.... عمر بن حفصون في ساقته فبعث إليه بفرتون، غلامه، يسأله الكفّ والتوقف، ويعده الصفح والتالف، فاستحياه عمر على قساوته، وكفّ وانصرف إلى قلعته وخلا الأمير عبد الله لطريقه على عمله بأنه أن حقق في الانقباض لصفحه واصطلم عسكره، لأن الناس لم يزالوا يتفرقون عنه في طريقه، فلم يصل إلى قرطبة الآ في مثل أربعين راكباً من صميم قريش ووجوه الموالي، فسره الله بفضله ووصل إلى منية الناعورة(3) ملكه على الشط الأسف قرطبة، يوم الأحد لأربع عشرة خلت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين، فأصلح من حاله وأحوال من معه، ودخل إلى قصر الخلافة يوم الاثنين بعده، فصلى على أخيه المنذر وواراه لصق والده الأمير محمد، بتربة الخلافاء المعروفة بالروضة، بداخل القصر، ثم دعا الناس إلى البيعة فابتدروها سارعين، وتجاوزت خاصتهم إلى العامة فانصاب عليهم أياماً حتى استوعبت طبقاتهم ونفذت كتب الأمير عبد الله إلى كور الأندلس المقيمة على الطاعة في إتيانهم لها فتقبلها الناس ووافت كتبهم بها من كل جهة فخلص الأمر للأمير عبد الله واستقرت به الدولة وشغل باله على ذلك بخبر القائد ابن أبي عثمان، ومن معه.

إذا كان قد تخلف عنه في مرتبته من حصار ابن حفصون(4) نازلاً محلته على

(3) ذكر منية الناعورة المقري نقلا عن ابن حيان في النفح في سياق الحديث عن المنصور بن أبي عامر، مضيفا : «وقد ذكر مؤرخو الأندلس مني كثيرة بها : منها منية الناعورة السابقة» (584/1) ووردت في العبر (148/4).

(4) عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دمیان بن فرغلوش بن ادفونش : ثائر من الأندلس، أول من فتح باب الشقاق على المسلمين. يصفه ابن حيان وابن عذارى وغيرهما من المؤرخين، باللعين، والخبيث والمنافق، ويعتبر ذلك من النعوت. كان أول من أسلم من جدوده شتيم ونشأ على الاسلام، وكان أول من ثار عليه من الأمراء الأمويين هو محمد بن عبد الرحمن ((سنة 270 هـ) واعتصم بحصن ببشتر في ولاية رية، ودانت له كثير من الحصون والقلاع، وقد بلغ عدد الجيوش التي كان يقودها في بعض الغارات ثلاثين ألف مقاتل، وامتدت الرقعة التي كان يسيطر عليها بين مالقة ورندة حتى مات (وقيل قتل) في عهد عبد الرحمن (الناصر). حسن اسنسات الأمن والعدل فيما آل الى حكمه من الولايات، وكان بارا شجاعا كريما يعفو عند المقدرة، أشهر النصرانية في سنة 286 هـ. انظر أخباره في البيان (105/2ـــ171)، العبر (134/4)، اعمال الأعلام (ص 41ـــ34)، التعريف بابن خلدون تحقيق ابن تاويت الطنجي، طبع في القاهرة 1951 (ص 6)، جذوة المقتبس (ص 282) الحلة السيراء (الفهرس)، بغية الملتمس للضبي طبعة مدريد، 1884 (ت 1161) ورد فيه بتحريف أنه قتل في سنة خمس وسبعين ومائتين.

باب ببشتر[5] الشرقي.

أقام بعده أياما ثلاثة لا يصدق بخبر المنذر لبعد ما كان بين منزلهما الى أن تحقق عنده ما جرى، فأخذ بالحزم في ترحاله وقوض بأصحابه محتزما بهم حتى قدم بهم على قرطبة سالمين فتمت بذلك النعمة وقد كان أشير على الامير عبد الله بالمقام بالعسكر ومواراة اخيه المنذر بمكان غامض منه وتعفية اثر قبره خوفا من انتقاض نظام العسكر، وافتراق أهله وتقوية طمع العدو فيه، فأنف من ذلك وأنكره على المشير به عليه، وقال : لو علمت أن المنية تخترمني دونه لما خلفت رمة أخي، أميري، موطئا لاقدام أهل الشرك والخلعان، ومحل أهل النواقس والصلبان. وصمّم في المسير به الى قرطبة، فستره الله ورزقته السلامة.

وقال ابن القوطية[6] ثم ولّي بعد الامير المنذر بن محمد، الامير عبد الله بن محمد، فأخذت له البيعة بقرطبة يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة خمس

(5) ببشتر (Bobastro) ضبطها ياقوت بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة، وقال انه حصن من أعمال ريّه وبينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخا. وقد خلط البعض ومن بينهم دوزي، بين ببشتر وبرشترو (Barbastro) التي تعرف اليوم باسم (Pueba de Cazdila) التي تقع قرب تبّة (Tebta) غربي انتقيرة (Antaquera) في وادي الفرس (Cuadalhorce) الأعلى. انظر القارة الافريقية وجزيرة الأندلس للادريسي، تحقيقنا ديوان المطبوعات الجامعية 1983 (ص 298) معجم البلدان (1—152) صفة جزيرة الأندلس لابن عبد المنعم الحميري تحقيق ليفي بروفنسال (ص 39 ت 38) وفيه ببشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والمناعة، تقويم البلدان لأبي الفداء، تحقيقنا (تحت الطبع) وكذلك Simonet, Historia de los Mozarabes, (P.1 73).

(6) محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم (ت 367 هـ) أبو بكر المشهور بابن القوطية. مؤرخ عالم باللغة والأدب وكان في مقدمة علماء زمنه، أصله من اشبيلية ومولده ووفاته في قرطبة. وصفه ابن خلكان بأنه كان «مصطلعا بأخبار الأندلس مليا برواية سير أمرائها وأحوالها وفقهائها وشعرائها يملي ذلك عن ظهر قلب». خلف ابن القوطية عددا من الكتب من أهمها كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية (طبع). وتاريخ فتح الأندلس الذي قمنا بتحقيقه (تحت الطبع) انظر ترجمته في انباه الرواة على انباه النحاة لعلي بن يوسف القفطي، طبع دار الكتب المصرية 1369 — 1374 هـ (178/3) تاريخ ابن الفرضي (76/2) الديباج Mozarabes (P. 173 المذهب (262/2) بغية الوعاة (ص 84) معجم الأدباء (272/18) عبر الذهبي (345/2) نفح الطيب (73/3) يتيمة الدهر للثعالبي، طبع دمشق، 1303 (411/1) لسان الميزان (324/5) جذوة المقتبس (ص 71) مرآة الجنان لليافعي، طبع حيدر أباد، 1337 هـ (389/2) معجم المطبوعات (ص 219) نوادر المخطوطات وكذلك Brok. GAL a 232 ومقدمتنا لتاريخ ابن القوطية

وسبعين ومائتين، وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه[7] بل يوم السبت الثلاث عشرة. قال وأمه عشار أمة لوالده الأمير محمد. وقال سكن بن ابراهيم الكاتب : ولي الأمير عبد الله بن محمد الخلافة يوم السبت للنصف من صفر سنة خمس وسبعين، في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر بن محمد بالعسكر على باب ببشتر، وبايع له أهل العسكر في ذلك النهار، وكان الناس قد ضجروا من طول المقام وسئموا كلفة الاجمان، فحين علموا بوفاة المنذر انصدعت حشود الكور ووفود وسئموا كلفة كل ناحية كانوا مرتبين لها من نواحي الحصار، وأمر الأمير عبد الله بضبطهم فلم يقدر... ولا... اشتراطه كثيراً... منهم، فحصل في أهل الحفاظ منهم، أعني من جند حضرته قرطبة خاصة وأشار عليه الوزراء بالرحيل إذ لم يكن بمنزل إقامة لانتشار أمر العسكر عليه، وتفرق العامة وكثير من الخاصة عنه، فأمر بالرحيل، وحمل أخاه المنذر ميتاً بين يديه بعد أن أشير عليه بدفنه هناك، وتعفية أثر قبره، فأنف من ذلك لآصرة الرحم وقال لو علمت أن المنايا تخترمني دونه ما خلفته وراى فريسة لأهل الشرك والخلعان، وصمم في المشي به وانه لفي نحو أربعين راكباً، فنفذ حتى قدم قرطبة يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فصلى على أخيه المنذر، ودفنه بها في مدافن آبائه الخلفاء، بالروضة ثم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه مبادرين، وتمت له بيعة الخاصة والعامة، واستولى على الأمر بعد اخيه واستقل بالدولة.

(7) أحمد بن محمد بن عبد ربه (246—328 هـ) أبو عمر : امام الأدب في الأندلس وصاحب العقد الفريد. كان من كبار الشعراء فغلب عليه الاشتغال بأخبار الأدباء وجمعها. كان ذائع الصيت في عصره، ويعتبر كتابه المذكور من أشهر كتب الأدب، وخرائيل جبور الباني كتاب بعنوان «ابن عبد ربه وعقده» (طبع). انظر ترجمته في تاريخ ابن الفرضي (ص 38) الذي يصفه بأنه «شاعر الأندلس وأديبها»، وفيات الأعيان (100/1—111). وصفه ابن خلكان بأنه «كان من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس»، لسان الميزان (189/1) الفهرست لابن النديم (261/1) أخبار الحكماء للقفطي، ليبسك 1904 (ص 55) معجم الأدباء (158/1)، الجذوة (ص94) بغية الضبي (رقم 327) المطمح (ص 51) بغية الوعاة (ص 161) وانظر مقدمة أحمد أمين للعقد الفريد، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، 1982 في 7 أجزاء.

أسماء من استعان بهم الامير عبد الله على رفيع أعماله من رجال دولته

حجاب الامير عبد الله

قال عيسى بن احمد الرازي : الفى الامير عبد الله على حجابة اخيه المنذر عبد الرحمن بن أمية بن عيسى بن شهيد، فأمضاه عليها مدة ثم عزله وولى سعيد بن محمد بن سليم مكانه ثم عزله أيضا في اخريات أيامه، فلم يول الحجابة بعده أحدا الى أن هلك، واقتصر على مكان بدر اللصيق بنفسه، الخفيف عليه، من خلافة الحاجب فناب عن الحاجب لديه، واستولى على خاصته. وقال الحسن بن محمد بن مفرج : كان سعيد بن السليم صنيعة للامير عبد الله قبل الخلافة له بمنزلة خاصة فلما استخلف ولاه خطة السوق فضبط أمر العامة وظهرت منه صرامة اكسبته مهابة، وكان من أشهر ما اطار له الاسم بذلك اقدامه على الولد المطرف بن الامير عبد الله الذي كان الطاعون الجارف، وذلك انه اتاه يوما الى مجلس نظره وسط السوق خصي للمطرف أثير لديه على مركب نبيل بلبوس فاخر ونشر فائح. سلم على سعيد مختصرا واستوى معه على فراشه فتزحزح له سعيد واجمل لقاءه، واقبل على سؤاله عن حال الولد، فقطع الى ذكر حاجة ممتنعة رده سعيد عنها وعرفه بوجه امتناعها، ملطفا قوله بذلك واعتذاره عنه، فكانما أغرى الخصيّ واوقده وألزمه قضاء حاجته عزما، فحسم سعيد طمعه، فأغلظ الخصيّ الى سبّه وقام يلعن، فصاح سعيد بأشراطه : أن ردوه، فأرجلوه وتلوه نحوه فشقق أثوابه وضربه مائتي سوط، وأرسل به الى السجن وخاطب من وقته الامير عبد الله يعرفه بما جرى له معه، فاجابه يصوب فعله ويستحسنه، واثبت له في نفسه الاستقلال والكفاية، فرقّا منزلته الى مدة يسيرة وولاه الوزارة ثم الحجابة وصار فعله بخصيّ المطرّف سببا للشحناء بينهما التي جرت للمطرف من سعاية سعيد به [ما] كان من أقوى الاسباب في قتله.

وزراؤه[8] :

العبّاس بن عبد العزيز المرواني، البراء بن مالك القريشي، سعيد بن محمد السليم، عبد الملك بن عبد الله بن أمية مجموعة له الوزارة إلى القيادة، مروان بن عبد الملك بن أمية من بعد قتل أبيه، عبد الملك بن عبد الله، حفص بن محمد بن بسيل مجموعة له ولاية المدينة، محمد بن الوليد بن غانم، وصار من الغريب ان اجتمع في بيت الوزارة في ايامه أربعة رجال من وزرائه اقارب من بيت واحد من صميم الموالي، آل أبي عَبْدَه حسّان بن مالك، هم : أبي عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة، وأبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي عبده، وسليم بن علي بن أبي عبده، وعبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبده المعروف «بدحيم» وكان فقيهاً راوية، قد لقي كباراً من الرجال وحذق علم السنة [وكان] اصبغ بن فطيس أول وزير استوزره، وقد تولى المدينة عبد الله بن محمد الزجالي الكاتب، سليمن بن وانسوس احمد بن هشام بن عبد العزيز، مجموعة له إلى القيادة، جعفر بن عبد الغافر مجموعة له إلى القيادة أيضاً، وأمية بن علقمة، وقد وزر قبله لاخيه المنذر، وقبله لابيهما محمد الأمير (كذا) بن عبد الله بن محمد بن محمد بن بزيغ، ابراهيم بن خمير، وكانت في دولته ادارات استوزر في بعضها محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد، ونقل النضر بن سلمة من القضاء إلى الوزارة، وهو أول خليفة استوسع في عدد الوزراء وأكثر منهم حتى لا يجتمع في بيت الوزارة منهم في بعض أوقاته ثلاثة عشرة وزيرا، تعالوا آخر مدته بالبقاء والعدل، فتوفي الأمير عبد الله يوم توفي وانه له منهم أربعة وزراء فحسب : العباس بن عبد العزيز القريشي المرواني، أحمد بن محمد بن أبي عبدة الغافر، القائد محمد بن وليد بن غانم، عبد الله بن محمد الزجالي الكاتب.

قواده :

عبد الملك بن عبد الله بن أمية، عبيد الله بن محمد بن أبي عبد الله، احمد بن محمد بن أبي عبدة، اصبغ بن فطيس جعد بن عبد الغافر، إبراهيم بن خمير.

(8) قارن قائمة وزرائه التي أوردها ابن عذارى في البيان (2/120ـ 121).

كتابه :

عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة، عبد الله بن محمد الزجّالي.

قضاته :

النظر بن سلمة القيسي[9] ثم موسى بن زياد الجذامي ثم محمد بن سلمة العتبي، أخو النظر بن سلمة ثم صرفه وأعاد أخاه محمد بن سلمة إلى أن مات محمد، فولى القضاء أحمد بن محمد بن زياد المعروف بالحبيب، فلم يزل قاضيا إلى أن هلك الأمير عبد الله. وقال ابن عبد البر : لما ولي الامير عبد الله عزل قاضي أخيه على قرطبة أبا معوية عامر بن معوية الزيادي الخمي إلى أشهر وولى النظر بن سلمة في ذلك العام ثم عزل النظر وولى موسى بن زياد الجذامي الشذوني[10] ثم عزل موسى وولى محمد بن سلمة القضاء ثم مات محمد بن سلمة[11] وهو قاضي فولى الحبيب أحمد بن محمد بن زياد، جمع له القضاء إلى الصلاة فلم يزل يتولاها إلى أن هلك الأمير عبد الله فكان آخر قضاة عبد الله. وقال ابن القوطية : لم يكن في قضاة عبد الله افضل من محمد ابن سلمة ولا اشبه سيرة بالنمط الأول. استقدمه الخليفة عبد الله من موطنه بقبْرة[12]، ومنها كانت أصولهم فاستقضاه على كره، فعدل جهده وعف وتواضع واقتصد فذكر من سير صالح القضاة.

---

(9) النظر بن سلمة بن وليد بن بكر بن علي بن عبيد الكلابي. ترجم له ابن الفرضي (ترجمة 1499) وقال انه من أهل قرطبة ويكنى أبا محمد. استقضاه الأمير عبد الله مرتين ثم استوزره بعد ذلك. ورد اسمه تحريف الكلاني بالنون والياء. وكذلك خصص له الخشني ترجمة طويلة في قضاة قرطبة (ص : 91—93) كما ترجم له الحميدي في الجذوة (ترجمة 845) وقال إنه محدث قديم.

(10) ترجم له الخشني في قضاة قرطبة (ص : 93) وقال انه لما عزل الأمير نضرا عن القضاء استقضى بعده موسى بن محمد بن زياد الجذامي وهو من العرب الشاميين، من جند فلسطين.

(11) محمد بن سلمة بن حبيب بن قاسم الصّدفي، من أهل تطلية، يكنى أبا عبد الله وهو أخو النظر بن سلمة، ترجم له ابن الفرضي في تاريخه (ترجمة 1124) وقال انه استقضاه الأمير محمد ببلده (سنة 272 هـ) ثم امضاه المنذر ثم الأمير عبد الله. قال انه سمع بالقيروان مع ابن وضاح ثم سمع من ابن وضاح في قرطبة. وترجم له الخشني في قضاة قرطبة، طبعة القاهرة 1966 (ص : 95—99) ووصفه بأنه «كان رجلا صالحا في مذهبه فاضلا في دينه شديد السلامة في طبعه، مع الزهادة والتنسك لم تحدث له ولاية القضاء تغيرا في ملبس ولا اكتسب المال».

(12) (Cabra)

الفقهاء :

قال الحسن بن محمد بن مفرج : كانت الفتوى في أيام الأمير عبد الله تدور على ابراهيم بن قاسم بن هلال ويحيى بن قاسم بن هلال، أخيه، وإبراهيم بن يزيد بن قلزم، ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومحمد بن وضاح، ومطرف ابن قيس، وعبد الله بن يحيى، وقاسم بن محمد، صاحب الوثائق، وأحمد بن ابراهيم الفرضي، فجروا طلقا حتى توفوا عن آخرهم من صدر أيام عبد الله، إلا زعيمهم، عبد الله بن يحيى، فإنه بقي إلى آخرها، فهلك في سنة ثمان وتسعين ومائتين وخلف هؤلاء المشيخة المؤدين في الفتوى في قرطبة محمد بن عمر بن لبابة، وجاري الشيخ عبيد الله، طلق الحياة حتى مات قبل وفاة الأمير عبد الله بعام واحد، وأحمد بن خالد وأيوب بن سليمن، أبو صالح، ويحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز، وخالد بن وهب المعروف بابن الصغير، ومحمد بن اسباط، وأخوه قاسم، ومحمد بن مسور، ومحمد بن وليد ومحمد بن غالب وسعيد بن حمير، وسعيد بن معاذ الشعباني وعمر بن حفص، أبي تمام، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثعلبة ومحمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن ابراهيم بن الحباب، ومحمد بن بكر، ومحمد بن يحيى، ومحمد بن الزراد، واصبغ بن مالك، والحسن بن سعيد، واحمد بن بقي بن مخلد، وظاهر بن عبد العزيز، وسعيد بن عثمن الاعناقي ومحمد بن زكرياء بن أبي عبد الأعلى وابن ابي اسماعيل وعمر بن يحيى بن لبابة، أخوه، وعبد الله بن محمد بن أبي الوليد. قال : وأما عيسى بن أحمد الرازي، فطبق الفقهاء بقرطبة في دولة الأمير عبد الله طبقتين فقال : تسمية مشيخة الفقهاء بقرطبة الذين لحقوا أيام الأمير عبد الله ممن كان قد رأس على عهد الأمير محمد وابنه عبد الله والمنذر اخيه واودى جميعهم في دولته.

وهم : بقّي بن مخلد، ومحمد بن عبد السلام الخشني وعبيد الله بن يحيى ابن أبي عيسى، ويحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز، مطرف بن فطيس، محمد بن عمر بن لبابة، ابو صالح ايوب بن سليمن بن صالح، سعيد بن حمير، خالد بن وهب المعروف بالصغير، محمد بن اسباط سعيد بن معاذ الشعباني حسن بن يحيى بن

مزين، محمد بن وليد، محمد بن وضاح السعيد، ابن عبد الملك بن اسمح.

والتالون من الفقهاء المرأسين في عصره هم :

محمد بن غالب المعروف بابن الصفار، احمد بن بيطر، محمد بن ازراد، اصبغ بن مالك، احمد بن عبد الله المعروف بابن المؤدب، يحيى بن اسحاق بن يحيى بن أبي عيسى، احمد بن عيسى بن يحيى بن يحيى، ثلاثة ابن ابي عيسى، وهو الملقب بالثائر. كان عالماً بالفقه متصرفاً في كثير من العلوم، أديباً مفتياً وشاعراً مجوداً، وكان راوية للشيخ محمد بن وضّاح ولعمه أبي مروان، عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن أبي عيسى، فالحق بهؤلاء المشيخة الاجلة وأرجح بكثير منهم وصيّر في جملة الفقهاء المشاورين في الأحكام ولما يكتهل في سنه لتبريز في عمله، ولقب يومئذ بالثائر فالحق به [هذا اللقب]

أسماء المخالفين على الأمير عبد الله الخارجين على الجماعة المضرمين لنار الفتنة :

فأولهم إمامهم وقدوتهم عمر بن حفصون، أعلاهم ذكراً في الباطل وأضخمهم بصيرة في الخلاف، وأشدهم سلطاناً، وأعظمهم كيداً وأبعدهم مدة، وأخباره لا تحصى كثرة، قد مضى منها عند ذكر نجومه في أيام الأمير محمد صدر فيه كفاية كان ابتداء خروجه على الأمير محمد فمُدَّ له في غيّه إلى أن هلك في صدر أيام الخليفة الناصر لدين الله، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله مجمع الفرقة :

دسيم بن اسحق(13) :

غلب على مدينتي لوقة(14) ومرسية(15) وما يليها من كورة تدمير وكان عظيم الذكر، بعيد الصيت كثير الاتباع مظاهرا لأهل الخلاف ممدا لهم في حروبهم، وكانت

(13) انظر عن ثورة دسيم بن اسحق الحلة السيراء لابن الأبار الذي ينقل عناصر روايته الأساسية عن ابن حيان (230/1—231) والبيان لابن عذاري (135/2—138، 142) الذي يذكر وفاة دسيم ضمن حوادث سنة 293 هجرية.

له غزوات إلى من يخالفه، وقواد مشهورون يخرجهم بخليفة إذا لم يغز [هو]، وكان ممدوداً من طبقات الناس، رفيقاً برعيته جواداً منتجعاً، له أفضال على الشعراء والأدباء، فلهم فيه مديح سائر، وكان من أحمدهم لانتجاعه وأنطقهم بشعر عبيديس بن محمود الشاعر، وشعره فيه مستحسنا.

عبيد الله بن أمية بن الشالية(16) :

ملك جبل شمنتان(17) وما يليها من كور جيان وداخل الحصن المعروف بحصن ابن عمر فجاهر بالخلعان وبسط على أهل الطاعة فحمى حوزته واستوسع فيما يجاوره فامتد الى حصن قسطلونة(18) وغيره واستفحل شره وانطلقت يده فتبنك (كذا) وبنى المباني الفخمة، وكان له رجال شجعان وقواد معروفون يخرجهم بجيشه لمغاورة من يحادُّه، اذا لم يخرج بنفسه ويخرج معه اخوته مغورين ثم فيغاور أضداده بكل جهة، وغزاه الوزير القائد، عبد الملك بن عبد الله بن أمية، بجيش الأمير عبد الله، فأظهر الإذعان، بعد وقيعة جرت عليه والتزم حمل قطيع من المال فورق عليه عما في يده. فلما روخي مخنقه عاد الى غيه فنكث بالأمير عبد الله ووالي عميد المخالفين، عمر بن حفصون، وواصله بالصهر من أسفل فزوج ابنته من جعفر ولد ابن حفصون، ونقلها إلى ببشتر ووصل يده ببلاد فاعتز جانبه، وكان عبيديس بن محمود الشاعر الأديب كاتباً لعبيد الله متصرفاً في خدمته مكثراً من مديحه، واصفاً لمغازيه ولمبانيه ولأحواله أوصاف الشعراء الأكابر للملوك، يستحسن منه ويجزل عطيته، فشعره في ذلك مشهور، منه قصيدته الرائية [التي] هنأه فيها بالفتح على الفتح بن ذي النون(19) وكان

(14) Lorca

(15) Murcie

(16) قارن ما ذكره ابن الأبار (230/1—231) عن ثورة ابن الشالية، والبيان (135/2).

(17) ذكر ياقوت شمنتان في المعجم (364/3) ونسب اليها عبد الرحمن بن عيسى بن رجاء القاضي المعروف بالشمنتاني.

(18) حصن وقرية كانت تسمى بالاسبانية (Cazlona) وتقع قربها من ليناريس (Linas) الحالية في شمال مدينة جيان، وكان اسمها الأقدم : Castulone Castulo

(19) المقصود هنا هو فتح بن موسى بن ذي النون. نقل ابن الابار هذا الخبر كما أورد بضعة أبيات من قصيدة عبيديس هذه.

قد نازعه على حصن ذيمية، فتنازعاه فغلب عليه ابن الشالية وهزمه وحاز الحصن وتيمن لحضور ابنه، لبّ[20] بن عبيد الله معه في وجهه، فقال عبيديس[21] في ذلك شعرا طويلا اوله :

جاء البشير بما عم السرور به ... عن الأمير أبي مروان في السفر
فقلت حين سالناه فاخبرنا ... بالله قل واعد يا طيب الخبر
بيمن لَبِّ أبي عيسى وغزوته ... فاز الأمير على الاعداء بالظفر
غزا بها كلفا صبا يؤانسه ... ادخل منه محل السمع والبصر
فاصبح الجيش مسعودا به ... وبدت من صبره عبر أربت على العبر
هذا صنيع بني الباري إذا ضربت ... بالصيد لم تبق عرنيقا ولم تذر
غرانق لم يقصر دون غايته ... مخرج وهو لم يدرج ولم يطر
جرت به في العلى اعراق اربعة ... فأقبل الابن يتلوه على الأثر
قاد الجيوش إلى الأعداء مدرعا ... يصلى الوغى بالوغى في سن مثغر
من تحته فرس في كفه قبس ... يرمي الشياطين في الهيجاء بالشرر
ترى على السرج منه صورة خلقت ... من العلى وانندا من أجمل الصور
كالغيث كالليث إلا أنه بشر ... كالمزن (؟) صورته كالشمس والقمر
خلى حصون أبي فتح مفتحة ... أبوابها للقناء في الورد والصدر
له نتائج من تدبير فطرته ... تضل فيها عيون الجن والبشر

ومن قوله في وصفه قصره :

قصر الأمير أبي مروان منتسخ ... من جنة الخلد بالسراء معمور
فيه مجالس قد شيدت بلا عمد ... بنيانها مرمر بالتبر مطرور

(20) ذكر ابن الابار لبّ بن عبيد الله في الحلة السيراء (231/1—232)، ويصفه بأنه كان «أديبا شاعرا حسن التصرف» ويورد نماذج من شعره.

(21) ترجم له الحميدي في الجذوة (ترجمة 673) : هو عبيديس بن محمود أبو قاسم الجياني. وصفه بأنه «أديب شاعر متقدم»، والضبي في بغية الملتمس (ترجمة 1135) وذكر نبذة من أخباره وابن سعيد في المغرب وقال انه انقطع الى خدمة الثائر ابن الشالية وصار يكتب عنه، وجرى بينهما تغير هو الى ابن حفصون فشفع فيه.

ولما ان غزا الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد[22] غزوته الاولى الى جيان خرج اليه عبيد الله مغالطا في طاعته اياه، فامر بالقبض عليه وارسل الى معاقله من ضبطها وحمل عياله الى قرطبة، فصار في الديوان بها في اعلى الملاحق، وصرفه الناصر لدين الله في ضروب من خدمته وسكن منه فيها الى نصاحه وثقته فصرفه من اجل ذلك الى معاقل شمنتان واليًا من قبله لالتياث أحسه من أهلها، ولا رعية أجهل منهم، فاصلحها عبيد الله، واقام بها الى ان صرفه الخليفة عبد الرحمن عنها واعاده الى مصافه.

ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي[23] :

ملك اشبيلية[24] وقرمونة[25] وارتفع ذكره وبعد صيته وهو جندي بلدي، قتل

(22) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (الربضي) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (277—350 هـ) أبو المطرف أول من تلقب بالخلافة من الأمويين في الأندلس. ولد وتولى بقرطبة، ونشأ بها وبويع بعد وفاة جده، عبد الله (سنة 300 هـ) وهو ابن 23 سنة. كان عاقلا مفرط الذكاء طموحا، انصرف في أول عهده الى قمع ثورات التي كانت تضطرم في الأندلس في عهد جده، ولما ظهر ضعف المقتدر العباسي جمع الناس وبايعوه بالخلافة باعتبار أن الأمويين أحق بها من العباسيين، ولقب «الناصر لدين الله». كان مولعا بالعمران والفتح، ومن بين مآثره مدينة «الزهراء» وقصرها. كان أعظم خلفاء بني أمية بالأندلس وأوسعهم سلطانا. كان يقظا حازما صلوما في الحكم. انظر أخباره وسيرته في الحلة السيراء (الفهرس، وخصوصا الصفحات 197—200 من الجزء الأول)، اعمال الاعلام، القسم الخاص بالأندلس (ص : 28 — 30 — 32 — 34 — 35 — 41) المغرب، لابن سعيد (الفهرس) المقتبس لابن حيان (الجزء الخامس) تحقيق شالميتا وآخرين، نشر المعهد العربي الاسباني، مدريد، 1979 (الفهرس) طبقات الشافعية، لتاج الدين السبكي طبع القاهرة، في 6 أجزاء، 1342 هـ (230/2) نفح الطيب (الفهرس)، العبر (637/4) الكامل لابن الاثير (177/4) غزوات العرب لشكيب أرسلان، طبع بيروت 1966 (ص : 16—182)، الفتوحات الاسلامية في فرنسا وسويسرا الخ... تأليف رينو (ترجمتنا)، نشر ديوان المطبوعات الجامعية 1984 (الفهرس) اخبار مجموعة (ص : 153) أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري، طبعة القاهرة، في ثلاثة أجزاء 1358—1361 (257/2—284) تراجم اسلامية لعنان، طبع مصر 1947) ص : 142).

(23) ابراهيم بن حجاج بن عمير بن حبيب اللخمي، ملك اشبيلية وقرمونة. ترجم له ابن الأبار، وبعض عناصر ترجمته نقلها عن ابن حيان، انظر الحلة السيراء (376/2) وفيه انه اتخذ لنفسه جندا يرزقهم خمس طبقات، النفح (140—142) اعمال الاعلام (ص : 2—28—43—35) العبر (135/4) المغرب في حلى المغرب (111/1) وكذلك مقاله لا في بروفنسال في دائرة المعارف الاسلامية (مادة اشبيلية) والمراجع التي أحالها اليها، البيان (125/2—127—128) وقد أورد نماذج من شعر ابن عبد ربه في مدح ابن حجاج.

(24) Seville.

(25) Caramona.

أبوه حجاج بكَرْكي(26) في الوقعة التي أسر فيها هاشم بن عبد العزيز فرأس بعده وثار ببلده عند ارتجاج الفتنة(27) واتخذ له جندا وأرزقهم طبقات، كفعل السلطان، فكمل في مصافه منهم إلى الخمس مائة فارس، ولم يجاهر بالمعصية في أكثر أوقاته، ولا خلع في جميع مدته. وكان مال مفارقته يرد على الأمير عبد الله في كل سنة ومدده يتوافى إليه في كل صائفة، وكان له رجال أكابر لشوراه يسميهم الأصحاب، وكان له قاض يقوم بالحكم، وصاحب مدينة يقيم الحدود، وكان فظاً على أهل الريب، قامعاً لأهل الشر منكلاً بهم، وكان منتجعاً على البر والبحر مقصوداً بالغرائب والطرائف من الأمتعة والآلة، كانت له طرز بمدينة إشبيلية حضرته تطرز على اسمه. وكانت مدينة قرمونة في يده، وهو الذي حصنها واتقن بنياتها، وفيها كان مربط خيوله، وبينها وبين مدينة إشبيلية كان تردداه سائر أوقاته، وكان جواداً ممدحاً مقصوداً معنيفاً يرتاح للثناء ويعطي الشعراء، ويتفقد أهل البيوتات والشرف بعطائه، وكان يقصده رجال معترضين لسيبه فيحميهم ويصلهم، وقد انتجعه شاعرهم الأكبر، أبو عمر بن عبد ربه، من بين جماعة الثوار بالأندلس، فأفضل عليه وعرف حقه ومدحه بأماديح كثيرة وهي بأيدي الناس مشهورة. ومن قوله فيه يصف بين مدينتي إشبيلية وقرمونة قصيدة له حسنة منها :

الا ان ابراهيم لجة ساحل ... من الجود ارست فوق لجة ساحل

(26) ضبطه ياقوت بالتحريك، بوزن بشكي وقال انه اسم حصن من أعمال أوريط «له ولاية وقرى». المعجم (454/4).
(27) يشير ابن حيان الى الفتنة الأولى (وهي غير الفتنة التي وقعت عقب سقوط الخلافة الأموية والتي تعرف باسم «فتنة البربر» التي بدأت أثناء حكم الأمير محمد واستمرت في عهد المنذر وعبد الله، ابني محمد، ولم تنته إلا في منتصف عهد الناصر لدين الله. وقد كان أول من أشعل شرارتها عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بالجليقي ساحبة ماردة من الثغر الأدنى عقب هروبه من قرطبة (سنة 261 هـ) اثر إهانة ألحقها به الوزير هاشم بن عبد العزيز. واعتصم بحصن الحنش، قرب ماردة. ومن هناك انطلقت ثورة واسعة النطاق بتوجيهه وقيادته، عجزت الدولة بكل ما تملكه من الموارد من المال والرجال عن القضاء عليها. وهذا العجز كان من نتائجه تشجيع الساخطين في مختلف أطراف البلاد على التمرد والعصيان، وكان في مقدمة هؤلاء وأخطرهم جميعا ابن حفصون الذي سيطلع ابن حيان ثورته بكثير من التوسع. وقد بدأ ابن حفصون نشاطه الثوري في جبال تاكرنا في سنة 270 هجرية. وفي مرحلة تالية التجأ الى حصن ببشتر. وقد استفحلت ثورته خصوصا في عهد الأمير عبد الله الذي كان يداهنه ويعترف بحكمه حينا كان يشعر بالضعف ثم لا يلبث أن يعود الى عصيانه حينا تشتد شوكته ويكثر أتباعه.

فاشبيلية الزهراء تزهى بمجده ... وقرمونة الغراء ذات الفضائل
إذا ما تجلت تنث من نور وجهه ... غدت هذه للناس في زي عاطل
وإن حل في هذي توحش هذه ... فيهدى برسل نحوها ورسائل

ذكر القاضي أبو الوليد الفرضي(28) أن محمد بن يحيى القلفاط(29) الشاعر العريض، قصد ابراهيم بن حجاج من قرطبة إلى إشبيلية مبتغيا جداه فمدحه بقصيدته النونية المطولة التي أولها :

ارزقت رحلتي فاهمت جفونا الخ.

هجا فيها عشيرته أهل قرطبة ولحد... عظماءهم، فافحش عليهم، ولم يستثن منهم سوى بدر، الوصيف، مولى الأمير عبد الله المحتوى على رأيه يومئذ. فلما أنشدها لإبراهيم مقته وحرمه وأساء ذكره فانصرف خائبا إلى قرطبة وابتدأ بهجاء ابن حجاج

(28) أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (351—303 هـ) المعروف بابن الفرضي : أديب محدث مؤرخ بقرطبة ودرس الفقه والحديث والأدب والتاريخ في مسقط رأسه على ابن زكريا يحيى بن مالك، وفي سنة 382 هـ رحل الى المشرق لأداء فريضة الحج وعرج في طريق عودته على القيروان حيث حضر دروس ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن علي بن محمد القابسي، ولما عاد الى الأندلس جلس للتدريس في قرطبة ثم عين قاضيا في بلنسية في عهد محمد المرواني، وقتل في داره أثناء ثورة البربر. كان ابن الفرضي عالما في الحديث والفقه والأدب، وفي علم الرجال. وضع كتبا من الكتب فيما يبدو، ولكنه لم يصل الينا منها سوى «كتاب تاريخ علماء الأندلس (جزآن) «المؤتلف والمختلف» في الحديث و «المشتبه» في أسماء رواة الحديث وكناهم» و «أخبار شعراء الأندلس». انظر أخباره في الصلة لابن بشكوال، طبعة القاهرة (251/1—256) (ترجمة 273) الحلة السيراء (88/1 و 370/2) نفح الطيب (الفهرس) جذوة المقتبس للحميدي طبعة القاهرة 1952 ((537)، الذخيرة (130/2/1) بغية الملتمس (ص 321) المغرب لابن سعيد (103.94.72/1) وفيات الأعيان (105/3—106) مطمح الأنفس للفتح بن خاقان، طبعة القسطنطينية 1302 هـ (ص : 51/13) مقالة محمد بن شنب في دائرة المعارف الاسلامية (مادة بن الفرضي) والمراجع الأجنبية التي أحال إليها هناك.
(29) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكرياء القلفاط القرطبي، ترجم له ابن سعيد في المغرب في حلى المغرب (111/1) ضمن النحاة والشعراء المشهورين بالهجاء في قرطبة، وقال انه هجا الأمير عبد الله بقصيدة منها قوله :

ما يرتجى العاقل في مده ... الرجل فيها موضع الرأس

ثم ذكر قصة وفوده على ابن حجاج وهجائه نقلا عن ابن حيان. وانظر عن القلفاط كذلك : الحلة السيراء (377/2) والجذوة للحميدي، وبغية الملتمس للضبي (ترجمة 314 ص : 113) والبغية للسيوطي (ص : 114) وبدائع البداهة لعلي بن ظافر طبعة بولاق (ص : 30) والنفح (294/3 و 295 و 126/4).

فقال شعره الذي أوله :

لا تذكري للبنين طول بكائي — فالبين برح بي وعز عزائي
ابغي نوال الاكرمين معاولا — ابغي نوال البومة البكماء

وبلغ الشعر لابراهيم فاحفظه، وأوصى اليه من قال له عنه : بالله الذي لا اله غيره لئن لم تكف عما اخذت فيه لآمرن من ياخذ راسك وانت فوق فراشك بقرطبة، فارتاع وكف عن هجائه.

وممن شهر من اضياف ابراهيم بن حجاج من فضلاء الناس الاعرابي العذري، يكني ابا محمد، قدم عليه من الحجاز، فاضافه واكرم مثواه واستبدع أدبه واستمتع بحديثه، فلم يزل في ضيافته واحسانه الى ان هلك عنده باشبيلية، وكان فصيح اللهجة ذا قطع من الشعر مستحسنة، منها قوله في بلوط الاندلس الفحصي المفضل لمّا طعمه ففاضل بين اتمر وبينه، وذكر ناقته :

تحن الى البلوط حتى اذا اتت — بلادا بها البلوط حنت الى النخل
لقد ذكرتني أذرُعات وهيجت — غرام فؤاد سرمد الخفق والخبل

ومن بديهته قوله وقد دخل على شرب من اخوانه باشبيلية ينتقلون ببسباس[30] رطب. دعوه الى الشرب فابى عليهم ومال على بسباسهم يرتعيه ويقول :

ان لم يكن كاس فبسباسا — نرعى اذا شرب الناس

قال ابو مروان حيان بن خلف بن حيان[31] في خبر ابي محمد الاعرابي الحجازي، ضيف ابراهيم بن حجاج، صاحب اشبيلية الحكاية التي ذكرها عنه ابو

(30) لم يذكر الفيرو زبادي ولا ابن منظور كلمة بسباس في معجميهما. انظر مختلف معانيها في المغرب والأندلس في قاموس دوزى المكمل للمعاجم العربية (83/1)، وقد استشهد بهذا النص الذي نقله عن ابن حيان، وبالكلمة التي وردت في روض القرطاس عنه.

(31) انظر مقدمة المحقق.

بكر الزبيدي[32] في كتاب طبقات النحويين واللغويين من تسوره على العربية، وهي انه شكر ابراهيم يوما في مجلس حلفه على فضل اسداه عليه، فقال في كلامه تالله ايها الامير، ما سيدتك العرب الا بحقك يقولها بالياء فانكرها ابو الكوثر الخولاني وكان حاضرا، فقال : يا ابا محمد ما هذا الشذوذ ؟ العلماء بالعربية عندنا لا يقولون الا سوّدتك، فقال : يخطئون يفصحون السواد السخام فانتهر ابراهيم ابا الكوثر وقال : يتسورون على الاعراب في لغتهم ويعارضون من ينطق بالسليقة.

فخجل ابو الكوثر، وكتب بالخبر الى يزيد بن طلحة العبسي المعروف بالفصيح، وكان اشهر من بغربي الاندلس من العلماء بالعربية، فاجابه ان المعروف : سوّدتك بالواو، فقال : لعل ما ذكره الاعرابي لغة لقومه، فعرض ابو الكوثر جوابه على الامير ابراهيم فلم يزد الاعرابي بذلك الا محكا ولجاجة، وشد شكيمته ابراهيم نصرة وعصبية، واحضر يزيد بن طلحة فوبّخه، وذهب الى تثبيت قول الاعرابي، فقال يزيد : اصلح الله الامير، ان بيان العلم ليس يجيء من جهة المغالبة وانما يصح بالانصاف واتباع الحقيقة، فليجبني ابو محمد عما اساله عنه، فقال له الاعرابي : قل فقال له يزيد: كيف تقول العرب : ساد يسود أو ساد يسيد ؟ قال الاعرابي : بل ساد يسود. قال يزيد : هذه الواو معها في الفعل فكيف تقول العرب السوّدد أو السيدد ؟ قال بل سوّدد. فقال يزيد هذه الواو أيضا ثابتة في الاسم ثم في أي منزلة عندكم عمر بن

(32) محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذبح الزبيدي الأندلسي الأشبلي أبو بكر 316—379 هـ شاعر وعالم باللغة والنحو، أصل أجداده من حمص، ولد ونشأ واشتهر باشبيلية، طلبه الحكم المستنصر الأموي فأدب ولي عهده هشاما («المؤيد بالله») ثم ولي قضاء اشبيلية حيث أقام حتى توفي بها. من أهم كتبه «طبقات النحويين واللغويين» (طبع في مصر سنة 1954) و «الواضح» الذي لا يزال مخطوطا. انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي، طبعة القاهرة 1326 هـ (ص : 34) بغية الملتمس للضبي (ص : 56) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ترجمة 355 ص : 383) معجم الأدباء (518/6) شذرات الذهب لابن العماد، طبعة بيروت (4/3) جذوة المقتبس (ترجمة 34—46) المغرب لابن سعيد (255/1) ورد اسمه فيه محمد بن الحسين، ووصفه صاحبه بأنه «إمام في النحو واللغة» وفيات الأعيان، طبعة احسان عباس (372/4—374) المطمح للفتح بن خاقان (ص : 52) يتيمة الدهر للثعالبي، طبعة دمشق 1303 هـ (409/1) نفح الطيب (الفهرس)، الانباه لعلي ابن يوسف القفطي (109/3) الوافي بالوفيات للصفدي، طبعة استنبول 1931 (351/2) جمهرة الأنساب لابن حزم، طبع القاهرة 1948 (2 : 387) ورد اسمه فيه أيضا تحريف محمد بن الحسين، الحلة السيراء لابن الأبار (241/1 و 37/2). انظر كذلك : Brock. s. 1 : 203.

الخطاب رضي الله عنه في الفصاحة ؟ قال الاعرابي : فوق كل منزلة. قال يزيد : فقد ثبت عندنا انه قال تفقهوا قبل ان تسودوا [وهو] حديث لم يطعن فيه احد من النقاد كما طعن في الاحاديث التي وقع فيها الغلط. فلج الاعرابي مع ذلك كله، وقال يا اهل الامصار ماذا صنعتم بالكلام ! قال حيان : اقول : قد انشدنا ابو العلاء صاعد بن الحسن(33) اللغوي في كتابه المعروف بالفصوص في معنى قول الاعرابي الحجازي في ترجيحه بين التمر والبلوط لاعرابية بدوية، نقلها زوجها عن البادية الى قرى النخيل كارهة فاحمدت النجعة لما طعمت التمر ثم حنّت الى وطنها فلما عاودته اعوزها التمر فتشهته، وقالت :

الا من لقلب لا يزال مكلفا ... تزايل ما بين القرية والفحل
يحن الى الارطاة حتى اذا اتا ... بلادا بها الارطاة حن الى النخل

ابن مروان

عبد الرحمن بن مروان يونس المعروف بابن الجليقي الماردي(34) إمام المردة، ذو الاخبار العظيمة والنزوات الشنيعة والفتكات المشهورة الذي غرب في شناعة الانباء

(33) صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي النحوي (ت 417 هـ) : روى بالمشرق عن عدد من الرجال ثم رحل الى الأندلس في عهد هشام بن الحكم وولاية المنصور بن أبي عامر (سنة 380 هـ) وصفه ابن خلكان بأنه كان عالما باللغة والأدب والأخبار، «سريع الجواب حسن الشعر». كان في رعاية منصور الذي أكرمه وأحسن اليه. جمع له كتاب «الفصوص» رفضه الناس لأن البعض اتهم صاحبه بالكذب. أراد مجلس المنصور العامري، من الأدباء أن يسخر بصاعد، وكان الرجل أعمى، فقال له : يا أبا العلاء ما الجربعل في كلام العرب ؟ فعرف صاعد على الفور مقصد السائل، فأطرق ثم ساعة ثم أجابه قائلا : هو الذي يعمل ستاء العميان ولا يعمل معهن ! ولما ظهر للمنصور كذبه وعدم تثبته رمى بكتاب «الفصوص» في النهر. وقد سجل بعض شعراء عصره هذا الحدث في البيت التالي :

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

انظر أخبار صاعد في الحلة السيراء (1/282—283) وفيات الأعيان (2/488—489) انباه الرواه (85/2) الجذوة، (ترجمة 509) وفيه أنه قلد كتاب النوادر لأبي علي القالي (وليس كتاب الأمالي كما ذكر ابن خلكان)، كما ذكر له كتبا أخرى، بغية الوعاة (ص : 267) نفح الطيب (الفهرست مادة صاعد).

(34) انظر أخبار ثورة عبد الرحمن بن مروان الجليقي وسبب انتفاضته في أعمال الأعلام، القسم الخاص بالأندلس (ص : 22)، الحلة السيراء 376/2) والمغرب لابن سعيد (364/1) البيان (135/2) العبر (133/4).

وأعيى شأنه على عدة من الأمراء وجلة الخلفاء حتى فارق الجماعة وجاور اهل الشرك ووالاهم على أهل القبلة، ثم بدا له غير ذلك آخراً، ففارق مجاورة الكفرة ولاذ بالطاعة، واقتعد مدينة بطليوس دار مملكة، وكانت دعوته عصبية المولدين على العرب وأخباره شنيعة كثيرة. وكان الأمير محمد هو الذي استنزله من مدينة ماردة مع أصحابه الأحابث، ابن شاكر، وابن مكحول، ورقط، وغيرهم، فأقام في مصافه مدة ثم شق العصا فيمن أطاعه من أصحابه، وخرج إلى قلعة الحنش(35) وكان أحد من أوقع بهاشم بن عبد العزيز مع سعدون ابن فتح السر نباقي بكركى في أيام الأمير محمد(36) فل جيشه وأسره فألفاه بيد أذفونش ملك جليقية ففكه الأمير محمد بفداء ثقيل، وفاء بعودته إلى الطاعة تحت الاغترار والقسوة، فجرت للسلطان معه خطوب طويلة، وهو الذي بنى بطليوس ومدنها، وكان ابنه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن رهينة عنده بقرطبة أقام بدار الرهن فيها مدة وآلت إليه إمارة بطليوس بعد جده وعمه وأخبارهم طويلة.

عبد الملك بن أبي الجوا :

اقتعد مدينة باجة وتحصن بحصن ماتلة(37) وله حظ من صنعة تشييد وعدة،

(35) الحنش : Alenge بالاسبانية، حصن يقع قرب ماردة.

(36) محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (202—273 هـ) أبو عبد الله، من ملوك الدولة الأموية بالأندلس. بويع له عقب وفاة أبيه (سنة 238) في قرطبة. كان عاقلا عادلا محسنا للرعية، وقد أقام صلات متينة بدولة بني مدرار بسجلماسة والدولة الرستمية بتيهرت فكان أمراء الدولتين يستشيرونه في كثير من أمور الدولة، وكان كثير الغزو لبلاد الأفرنج. وصفه ابن الأبار بأنه كان «أبين خلفاء الأندلس ملكا». انظر أخباره في المغرب لابن سعيد (119/1—120) نفح الطيب (الفهرست، وخصوصا — 350/1 — 352).

(38) نكتب أيضا ميرتلة ومرتولة، واسمها القديم (Mytlis)، تقع على نهر وادي آنه على مسافة 45 كيلومترا من مصبه ومارتلة في التقسيم الاداري الأندلسي كانت من مدن وحصون باجة في البرتغال الحالية، وكانت هذه الكورة تجاور كورة قرطبة من الغرب وتقع في جنوب كورة ماردة، ويصف ياقوت الذي يرسمها ميرتلة هذا الحصن بأنه «أحمى حصون الغرب وأمنعها من الأبنية القديمة على نهر آنه» المعجم (242/5). وقال ابن سعيد الذي يكتبها مارتلة انها من حصون باجة «وهو معقل جليل كان في أيدي المسلمين حتى تغلب بالأندلس» المغرب (406/1) وانظر كذلك النفح (329/4).

وكان قائما بدعوة المولدين معاندا لابن مروان، صاحب بطليوس[39] وابن بكر، صاحب اشكونبة فكانوا البآ على من خالفهم ويدأ على من خرج عنهم.

بكر بن يحيى بن بكر[40] :

اقتعد مدينة شنت مرية من الكورة اشكونبة[41] وبناها اتخذ عليها أبواب حديد ملبسة عجيبة الصنع، وكان له ترتيب وأهبة ورجال شجعان وعدة موفرة، وكان يتشبّه في سلطانه بابراهيم بن حجاج، وله أصحاب الرأي وكتاب للعمل وكان له عهد مؤكد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السبيل وقري النزال وحفظ المجتازين، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه. وقال ابن النظام يحيى بن بكر بن زلدف المتزي بكورة اشكونبة القائم بدعوة المولدة كان جده زدلف أعجمياً مولى لبكر بن نجاد الأوري، سمي ولده باسم مولاه فانجبت ولادته وسعت همته فثار ابن ابنه يحيى بن بكر أيام ثورة المولدين، أخريات الأمير محمد ببلد وتغلب على مدينة شنت مرية باشكونبة، وجمع الرجال، واستغلظ أمره إلى أن غلب على جميع كورة اشكونبة، توفي ابنه يحيى بن البكر فاظهر الانحراف إلى الطاعة ولاطف الأمير عبد الله بن محمد فولاه على بلده فاستوطن مدينة شلب[42] وسط الكورة وعمّرها وقويت [شو]كته بالرجال، وهو في ذلك مقيم على رأيه ورأي أهل بيته في عصبيته للمولدين والعجم وانحرافه عن العرب، يواصل على ذلك حلفاءه من أهل الجليقي بيشتر وأشكالهم، ويواليهم ولا يقطعهم إلى أن هلك في صدر دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد. ومن كبارهم الثغر الأعلى :

---

(39) Badajoz

(40) انظر البيان (137/2).

(41) هكذا يرد هذا الاسم خطأً في بعض الكتب القديمة، والصواب اكشونبة أو أخشونبة، وهو اسم بلدة رومانية قديمة تقع في المنطقة التي يسميها العرب شنتمرية الغرب (Santa Maria de Algarve) والتي تسمى حالياً فارو (Faro) في جنوب البرتغال. وقيل ان مدينة (Ocsomba) الرومانية التي حرف العرب اسمها كانت تقع في الموضع الذي تقوم فيه قرية ميلرو (Milro) الحالية في البرتغال، وهي تابعة لمركز Estoy، وكانت كورة اكشونبة تمتد من نهر يادي آنة الى المحيط الأطلسي. ويذكر عبد المنعم الحميري أن شلب هي قاعدة كورة اكشونبة (صفة الأندلس) (رقم 96 ص : 106) انظر كذلك معجم البلدان (240/1) وياقوت أيضا يسميها اكشونبة غلطا..

(42) Silves.

هلك في صدر دولة الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد. ومن كبارهم الثغر الأعلى:

محمد بن لب بن موسى بن موسى بن فرتون القسوى[43]

المتنزى بالثغر الأعلى على الأمير عبد الله، اول ولايته، وحاضر مدينة تطيلة وظفر بمحمد بن طملس، قائد الأمير عبد الله بحصن شنّة، فقتله على باب تطيلة[44] وعتا عتوا كبيرا،وكانت [له] مع انتزائه على السلطان ونكوبه عن الجماعة، حماية الثغر، ودأب في جهاد المشركين ولا يزال يجيش اليهم ويستنفر لغزوهم، فيجمع اليهم مطوعتهم من الثغر والموسطة، وفيهم غزا قرطبة فتحمل اثاره في جهاد الطاغية، ويروح سرارتهم (؟) من بلدي ألبة[45] وبنبلونة[46]، ولا يتاتى مع ذلك في اذى من حوله من محادية من المسلمين وبعث الغارات عليهم، وقد ملك طليطلة[47] في بعض أوقاته واستخلف عليها لب بن محمد ابنه [48] وعلا في الأرض علوا كبيرا، فصار آخر أمره أن حاصر محمد بن عبد الرحمن التجيبي المتنزى على سرقسطة فقتل وهو محاصر لها، وانفذ عبد الرحمان رأسه الى الأمير عبد الله فاسجل له على تطلية وطرسونة[49] واعمالها، فتمسك بالطاعة وكف اذاه وذاد العدو عن حوزته الى ان قتله العدو وجمعا من المسلمين معه، سنة اربع وتسعين ومائتين، اخريات أيام الأمير عبد الله.

---

(43) انظر البيان (139/2) والحلة السيراء (79/2).

(44) Tudèle

(45) Alva. وألبه هو الاقليم الذي يمتد عند منابع نهر ابْرُة على الضفة اليمنى الشمالية للنهر. وألبه يرد اسمها عادة مقرونا بكلمة قلاع عند الجغرافيين العرب. وقد ذهب البعض الى ان الكلمة تحريف اسباني لكلمة عربية lArabel وذلك لأن الاسم لم يظهر إلا بعد دخول العرب الى هذه المنطقة. وألبه في الوقت الحاضر احدى المديريات الثلاث التي يتكون منها اقليم Vascongads، وهو الاقليم الذي كان العرب يسمونه بلاد البشكونس. وألبه هي أكبر المديريات الثلاث مساحة، وقاعدتها هي lVitoria.

(46) Pampelune.

(47) Tolède

(48) انظر البيان (137/2) الحلة السيراء (230/1).

(49) ضبط ياقوت طرسونة بفتح أوله وثانيه، وقال انها مدينة بالأندلس بينها وبين تطلية أربعة فراسخ، معدودة في اعمال تطلية. المعجم 29/4). ذكر ابن سعيد طرسونة في المغرب (433/2) وذكر كتابا عنها بعنوان «كتاب المزونة في حلى طرسونة». خصص لها ابن المنعم ترجمة في صفة الأندلس رقم 123114 وقال انها كانت مستقر العمال والقواد بالثغور، وكانت عليها عشرة أبراج وبرشلونة ثم عدت من بنات تطلية عند تكاثر الناس بتطلية».

بنون موسى بن ذي النون[50] :

الفتح ومطرف كانا مشتركين في سلطانهما وانتزوا بكورة شنت برية[51] بلدهم فاقتعدوها دار منعة دان لهم [أهلها] فحموا السلطان. دخلوها وشادوا بها الحصون والمعاقل، وأحدثوا بها القرى والمنازل، فعمرت بهم وكثر أهلها وحمت مرافقها وحموا الأضداد دخلوها، وكان يحيى أسنهم ورأسهم، فكان أكثرهم شرا وأشهمهم نفسا، وأجرأهم على السلطان وألهجهم بالمعصية واثقلهم وطأة على الرعية، وأدومهم على قطع السبيل وإشاعة الفساد في الأرض وسفك الدماء واعتراض الرفاق. له في ذلك أخبار في الأرض شنيعة، وكان المستاثر دونهم بحصن والدهم، موسى، المسمى وله، كان أكبر حصونهم وأكثرها عدة. والفتح، أخوه الذي ابتنى حصن إقليش[52] ومدنه وجعل عدة لنفسه، وكذلك فعل أخوهما مطرف بحصن وبذة[53]. واتخذه واقتعده، وكان أبوهم، موسى بن ذي النون رجلا من رؤساء بربر شنت برية، سما للإمارة فاتخذ رجالاً من الأشرار حفوه ورأسوه على أنفسهم فأغار على سوام أهل طليطلة واكتسحه وذاك لعهد الأمير محمد سنة 260. وجرت بينه وبين أهل طليطلة فيها بعد خطوب طويلة، فكان الذي احرزه لولده هؤلاء ولعقبهم هذه الرئاسة الباقية وقال ابن النظام : ذو النون بن سليمن بن طويل بن الهيثم بن اسماعيل بن السمح بن ورد حيقن الهواري الحميري حليف لهم، والسمح هو الداخل منهم إلى الأندلس. نزل منها بكورة شنت برية بقرية أقاقلة، كان أول من نوه بذي النون باني بيتهم الباقي الشرف من خلفاء بني أمية، الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان سببه عنده، زعموا، أنه اعتل للأمير خصي من أكابر فتيانه الخاصة وهو مجتاز إلى قرطبة في قفوله من الثغر الأعلى فتركه عند سليمن بن ذي النون هذا، وكان وجه قومه ليمرضه ويقوم عليه، فإن برأ ألحقه به.

(50) انظر العبر (134/4).

(51) Santâver. وهي كورة كانت تمتد من حدود كورة سرقسطة الجنوبية الى كورة وادي الحجارة وطليطلة، وكانت تعتبر منطقة عسكرية من مناطق الثغر الأدنى أو الأوسط وقاعدته العسكرية هي مدينة سالم. كانت قاعدة الكورة أيام الخلافة والامارة ثم انتقلت الى اقليش.

(52) Uclés.

(53) Huete. ووبذة مركز لقسم إداري في مقاطعة كونكة (Cuenca) وتقع على مسافة 50 كلم غربي الأحوز. وتقع وبذة على نهر وبذة أحد نهيرات نهر تاجه.

فنعى ذو النون ذلك وتابع في تعليل الخصي والطافة حتى أفاق من علته، فجاء به الأمير محمد وأجزل صلته وأسجل له على ناحيته وارتهن منه موسى ولده فاستقام ذو النون على الطاعة إلى أن هلك سنة أربع وسبعين ومائتين، وولى مكانه ابنه الجوشن، فلم يلبث أن توفي سريعاً وولى مكانه أخوه موسى بن ذي النون الذي كان رهينة عند الأمير محمد، فلم يلبث أن نكث العهد ونبذ الطاعة وأغراه [داعي] الفتنة المستشرية بأرض الأندلس لدن قيام الأمير عبد الله، فأوضع فيها وجمع ألفافها وغزا أهل طليطلة في نحو عشرين ألفاً، وقد أوطأه أميرهم لب بن طريشة على أن يجر عليهم الهزيمة لحقد كان له عليهم. فلما واضعوا موسى الحرب وحمى وطيسها، انهزم لب بأصحابه فانهزم العسكر أجمعه ونزل السيف في عسكر طليطلة فحاز موسى منه ما أثرى فيه، وقوي على شأنه، فامتد شأوه في المعصية إلى أن هلك شارداً عن الأمير عبد الله في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين وكانت وقيعته العضمى بأهل طليطلة يوم[عيد] الفطر سنة أربع وسبعين ومائتين.

الفتح بن موسى ذي النون[54]:

صاحب حصن إقليش. ظهر في أيام الأمير عبد الله فاقتعد مدينة إقليش وشيد حصنها وامتنع بها وفاتن أهل طليطلة و قاتل ؟ غرارهم (كذا) إلى أن خرج يوماً إلى خيل مغيرة لهم فهزمها وأمعن في الطلب فغدر به رجل من أصحابه يعرف بالأقرع، كان له وتر عنده فأصاب منه غرة فطعنه بحربته طعنة كانت منها ميتته، وذلك في سنة 303 هـ.

يحيى بن موسى بن ذي النون :

كان من أنكر آل ذي النون وأمكرهم وأمرضهم طاعة مع إظهار الانحراف إلى الجماعة، وطاعته للأمير عبد الله، وكان قد ظافر محمد بن عبد الله البكري الرياحي المعروف بابن ازدبليس أيام انتزى بحصن ملقون، وشن الغارات على أهل قلعة رباح،

(54) انظر الحلة السيراء (230/1).

قومه الذين اخرجوه عنهم، فلما استنام إليه محمد غدر به يحيى فقتله وبعث برأسه إلى الخليفة الناصر لدين الله، أول ولايته بعد جده الأمير عبد الله، مفتونا إليه بذلك، فكان أول رأس بدا إليه في دولته، ورفعه على باب سدته في ربيع الآخر من سنة ثلاثمائة، فاسجل على بلده وهو معلن الطاعته يقطع الطرق، ويسلب الرفاق، ويتمرس بالخليفة إلى أن صح لديه غله فانفذ إليه الوزير عبد الحميد بن بسيل بالجيش فقبض عليه وارسل به إلى قرطبة مع ولده وأهله وذلك في سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فصفح عنه الناصر واثبته في العرفاء بالمصاف برزق واسع، وغزا معه سرقسطة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة فتوفي هناك.

مطرّف بن موسى بن ذي النون

أقطعه أبوه، موسى، حصن وبذة فبناه وحصنه وكان فيه مسكنه، ظهر في أيام الأمير عبد الله أيضا، فكان أجمل أهل بيته مذهبا، وأقومهم طريقة، أحمد الناصر لدين الله مذهبه لما ولي بعد جده عبد الله، فاسجل له على بلده ورفع من حاله فحضر معه أكثر مغازيه وجرى على استقامة في شبابه الى أن أسرهٌ سانشو[55]، صاحب بنبلونة وحبسه فهيأ وتيسر له الفرار من حبسه بالحيلة في ثلاثة نفر من أصحابه ونجا الى بلده، فعاد الى أفضل أحواله، وشاهد غزوة الخندق[56] مع الناصر لدين الله سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، فكرم فيها مقامه وازدادت عند الناصر لدين

(55) Sancho (سانشو) ملك نبرة (Navarre).

(56) دامت معركة الخندق بضعة أيام ولكنها بلغت أقصى عنفها وتقرر مصيرها في 11 شوال سنة 327 (أول أغسطس 939 م) عند مدينة شنت ما نقش (Simancos) سميت باسم خندق كان عبد الرحمن الناصر أمر بحفره تحت أسوار المدينة حتى يحصر عنده قوات العدو الفارة في حال الهزيمة، وكان الخليفة قد حشد جيشا ضخما في هذه المعركة يقدر عدده بنحو 20 ألف مقاتل، ولكن معظم هذه القوة كانت من المتطوعين ثم حدث خلاف بين قادة الجيش من الأندلسيين وحرس الخليفة من الصقالبة. ولذلك عندما شنت قوات ردمير (Ramiros III) ملك ليون، على المسلمين تراجعوا وتخاذل بعضهم وانهزموا حتى إذا وصلوا الى الخندق تساقطوا فيه وقتلوا بالألوف ونجا الخليفة بنفسه مع فل من جيشه. وهذه هي المعركة الوحيدة التي انهزم فيها عبد الرحمن الناصر وكانت آخر غزوة قادها بنفسه.

الله منزلته فاسجل له على مدينة افرج[57] من الثغر الأوسط، فلم يزل عليها الى أن توفي فيها في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

بنو المهاجر التجيبيون[58] المنتزون ببلد سرقسطة وأوليتهم :

قال : وكان الامير محمد بن عبد الرحمن اول من اصطنع هؤلاء التجيبيين الظاهرين بالثغر الأعلى عندما اشجاه بنو قسي المنتزون به، فهيأ عليهم هؤلاء التجيبيين واصطنعهم ونوه بهم وبوأهم مدينة قلعة ايوب من ذلك الثغر، وبناها لهم وحصنها وأدخل فيها زعيمهم ووجههم، عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن المهاجر التجيبي، وعقد له على قومه وأمره بجمعهم اليه وبنا لهم حصن دروقة[59] وغيرها وتعهدهم بالصلات وأجرى عليهم المعارف عند الغزوات فلما صارت سرقسطة[60] أم هذا الثغر في ملك الامير محمد على يدي وزيره القائد هاشم بن عبد العزيز، واشتراها من ابن لبّ، آخر أمراء بني قسي، المعروف بيد صبو رمند صاحب بليارش[61] وذلك في سنة إحدى وستين ومائتين، تداولتها ولاة الامير محمد وولاة ولديه من بعده الى أن

(57) فرج : ضبطها ياقوت بتحريك، وهي تعرف بوادي الحجارة (Guadajara) وهي بين الجوف والشرق من قرطبة، وهذا مدن بينها وبين طليطلة، انظر معجم البلدان (247/4) المغرب لابن سعيد (2/261—27—31—37123) وفيه ذكر لكتاب عنها بعنوان كتاب «الغرارة في حلى مدينة الحجارة» وصفة جزيرة الأندلس لعبد المنعم الحميري (مادة وادي الحجارة — الفهرست).

(58) أسرة عربية كبيرة في الأندلس ظهر نفوذها في البداية على حساب بني قسي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، ولكن نفوذهم برزت خصوصا في عهد ملوك الطوائف. وقد تفرعت هذه الأسرة الى فرعين بنو هاشم أصحاب سرقسطة، وبنو صمادح أصحاب المرية. كانت أسرة التجيبيين تقيم في ارجون في عهد الأمير محمد وكان عميدها عبد الرحمن بن عبد العزيز الذي اعترف بسلطان قرطبة في محاولة لانتزاع السلطة من خصومهم بني قسي، وهي أسرة تنتمي الى القوط الغربيين كان مقرها أيضا في أرجون. يمكن تتبع نمو هذه القوة وانتشارها في البيان لابن عذارى (الجزء الثاني — في عدة مواضع) وفي كتاب دوزى : Histoire des Musulmans d'Espagne leiden, 1861; Essai sur les Todjibes, les Beni Hachem de Saragosse e les Bani Somadih, Recherches sur l'Histoire d'Almerie. Paris. leiden, 1881 (1/211.281).

(59) Daroca. حصن ومدينة من عمل قلعة أيوب. وصفها ابن عبد المنعم الحميري بأنها تقع في سفح جبل لها ثلاثمائة وستون بابا، وهي احدى عجائب الدنيا، صفة الأندلس (رقم 74 ص : 76).

(60) Saragosse.

(61) Palars.

ولاها الامير عبد الله بن محمد، أحمد بن البرآء بن ملك القريشي[62] انفذه اليها من حضرته فتهيأ له ضبطها الى أن حسده على ذلك عبد الرحمن وولده وحركتهم الطماعيّة المهتاجة بالناس [في] ذلك الزمان من حب الفتنة، فذهب عبد الرحمن وولده الى الحيلة على البراء كيما يزيحانه عنها ويتملكان اسوة بالقائمين في البلاد، وفيهم المخالفون وتولى الابن محمد كبرها فواطأ أباه عبد الرحمان بن عبد العزيز على أن يوقع بينه وبينه خلافا يظهر معه السخط عليه والاتهام له فيقبض عليه ويضربه ويحبسه،ففعل عبد الرحمن وانتشر الخبر عنه وتراخى عبد الرحمن في باطنه عن سد حبس ولده محمدا فكسره وانطلق هاربا عنه في الليل فلحق باحمد بن البراء بسرقسطة واستجار به والده عبد الرحمن، وذكر له ما نكبه به وبسط لسانه في ذمه وعيبه فأظهر له ابن البرآءة الرثاية له، وأناله القبول، فالقى اليه بالطمأنينة، ومحمد يعمل بالفتك به دائما يرهف الحيلة ويوصي الى والده عبد الرحمن في السر مع ثقة الأبوية به ان يسرح اليه رجالا من نخبة اصحابه يثق بهم يأتونه في الوقت بعد الوقت على سبيل الهرب من والده عبد الرحمن، والرهبة من حقده عليهم، وابن البرآء يعجبه مجيئهم ويعدهم قوة له على ما يؤمله في البرآء عند غرة ان أصابها منه، فقتله، وذلك في شهر رمضان سنة ست وسبعين ومائتين، وملك سرقسطة فاطاعه أهلها، وبادر والده، عبد الرحمن بن عبد العزيز بالمجيء إليه يظن أن سعيه على ما بنا معه عليه، وانه سوف يصير البلد إليه، فاغلق محمد الباب في وجهه وخوف أهل البلد منه، ونصب الحرب له ووقف له فوق السور فلم يكلمه ولا ترك أحدا يخرج إليه، فولّى ابوه عنه وتركه وشأنه فتفرد محمد بملك سرقسطة وضبطها وما حولها، واستصلح الى أهلها فارتضوه وقاموا دونه، وخاطب الامير عبد الله بن محمد يخلع بطاعته ويذم عنده عامله، أحمد بن البرآء، ويقدح فيه ويسأل الاسجال له على البلد فأجابه الامير الى ذلك لشغله عنه وعمن سواه، فالتزم محمد الطاعة واستقام على الطريقة الى أن هلك الامير عبد الله، وولي ابن ابنه، الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، فبايع له واستقام على طاعته الى أن هلك صدر أيامه سنة إثنتي عشرة وثلاثمائة فصارت امارة سرقسطة واعمالها بايدي ولده مدة أيام الخلفاء بقرطبة.

(62) انظر رواية ابن عذارى في البيان (127/2) وهي مقتضبة جدا، ويبدو أنها منقولة عن ابن حيان.

ومن اصاغر الثوار المنحطين عن منازل هؤلاء المتقدمين، محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الاسلمي الخزاعي

ثار بحصن قليوسة من كورة تدمير ثورة المجرمين، فمرح في ميدان البغي وقتا فهلهل من لبوس الرياء تفرّد به عن نظرائه، كشف تحته من مناكر الافعال وقبائح الاستحلال، ما لم يأت الخلحون منهم باكبر اداة التخلف به الى أن أظهر الاقلاع وجنح الى طاعة أمير الجماعة، عبد الله في أخريات أيامه، فخاطبه وألطفه واسجل له على عمله، ومشى على بعض الاستقامة الى أن هلك الامير عبد الله وصارت الخلافة الى ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد، فوصل له حبل الطاعة مديدة الى أن تغشته من سطوه بكثير من أصحابه الثوار غشية خوف اركسته في غية، فنكث بالخليفة عبد الرحمن وجاهر بمعصيته واعد لحربه وتحصن بحصن لقنت، أمنع معاقله، واظهر التوبة والتبرء بالامر الى ولده عبد الرحمن بن محمد، وأقبل على التنسك والعبادة وحضور الصلوات في الجماعة والأذان والصلاة باهل حصنه عند مغيب الأئمة ويرجع في باطنه الى اخراج السرايا الى بلاد محاذية والسعي في الارض بالفساد، والاستحلال لغنائم المسلمين، وابنه عبد الرحمن ينوب عنه في التدبير، فحاربه أحمد بن اسحاق القريشي قائد جيش الخليفة عبدالرحمن، ووالى التضييق عليه الى ان قتل عبد الرحمن في بعض تلك الحروب، فعاد ابوه محمد الى تدبير أمره واجتهد في الدفاع عن نفسه، حتى غزته الدولة وانقشعت عنه الجولة، فالقى بيده ونزل الى الخليفة عبد الرحمن فاقدمه الى قرطبة فتوفي بها سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وقد وافى في سنه على المائة.

ابن وضاح عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن يحيى بن وضاح مولى عبد الملك بن مروان

ثار أيام الفتنة بمدينة الورقة من كورة تُدمير[63] واضطرب على الامير عبد الله وعلى ابنه الوالي بعده، يدنو تارة ويعلو أخرى ما بين طاعة ومعصية حتى لزه قرن الدولة المقبلة فألقى بيده إلى الخليفة عبد الرحمن فأنزله إلى قرطبة ورعى له ولاءه، فقدمه وأكرمه واستعان به في كثير من أعماله إلى أن توفي بحضرته سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

ابن فرانك زعال بن يعيش بن فرانك النفزاوي :

انتزى على الأمير عبد الله بحصنه « أم جعفر » من بلد الجوف[64] الذي ورثه عن سلفه، فاقتصد في مذهبه وتمسك بحبل من الأمير عبد الله مدة طلق أيامه على استقامة من سيرته عشرين سنة، إلى أن مات بام جعفر، بلده فخلفه ابن عمه، عبد الله بن عيسى بن قوطي، ومكث مؤمراً في قومه خمسة أعوام، إلى أن ضربت دولة الجماعة بعطن بقيمها عبد الرحمن بن محمد، فاستنزله فيمن استنزل من أهل الخلاف ومُحي ذكره، وكان أول من اقتعد بلدهم، أم جعفر، دار إمارة جده فرانك بن لبّ بن خالف النفزاوي، كان ساكنا بقرطبة في المكان المنسوب إليه بربض الرصافة، فاستدعاه قومه لبرأسهم لما هاجت الفتنة، فلحق بهم وقوموه عليهم، فدبر أمرهم تسعة أعوام، وتوفي بالحصن، فخلفه ابن عمه عيسى بن قوطي، فمكث أميرا فيهم اثنتي عشرة سنة الى أن توفي فخلفه ابن عمه، زعال بن يعيش المقدم ذكره.

السّرنباقي :

سعدون بن فتاح السُّرنباقي، صاحب عبد الرحمن بن مروان الجليقي ونظيره في التمرد واللعنة والاجتراء على السلطان والخروج عن الجماعة، وكان من أبطال الرجال وفتاكهم، وأولي المكر والدهاء والرجولة فيهم، بفلوات أرضه وطرقها دليلا ماهرا داهية انتزى على السلطان بحصن فقبروا له ما بين وادي تاجة[65] بمدينة قَلَنْبريّة، جرت له خطوب عظيمة وأسرته المجوس الخارجون بساحل الأندلس الغربي، أيام الأمير محمد ففداه منهم بعض تجار اليهود يبتغي الربح معه فقارض اليهودي إلى أن هرب عنه واخفر ذمته وأخسره ماله، وداخل الجبل الذي ينسب اليه بين قلنبرية وشنترين[66] فعاث في أهل الملتين المسلمين والنصارى، وجرت له خطوب عظيمة الى أن قتله أذفنش[67] الطاغية، صاحب جليقية[68].

ابن السليم :

منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم، أبي عكرمة بن يزيد بن عبد الله، مولى

(63) Tudmir. هو الاسم القديم لكورة مرسية، نسبة الى تُدمير أو تيودومير بن عندوس، حاكم هذه المقاطعة عند الفتح الاسلامي للاندلس، وهو الذي عقد معاهدة مع عبد العزيز بن موسى بن نصير، سمحت له بالاحتفاظ ببعض الاستقلال بمملكته، وقد حولها عبد الرحمن الداخل الى كورة عادية بين كور الأندلس، وقد كانت مصالحة عبد العزيز لتدمير على المعاقل، وعلى أداء الجزية، وكان أهم معاقل المقاطعة حصن اريولة الذي كان قاعدة تدمير، ولما اختطت مرسية في سنة 216 هـ، حولت القاعدة اليها وأخذت الكورة كلها اسم مرسية. وقد أورد ابن عبد المنعم الحميري نص المعاهدة التي صالح بها عبد العزيز تدمير في صفة الاندلس المقتبس من الروض المعطار (ص رقم 64 ص 62) المغرب لابن سعيد (2/271—275) كتاب الجغرافيا لابن سعيد تحقيقنا الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية 1983 (ص. 167) معجم البلدان (5/107) القارة الافريقية للادريسي، تحقيقنا (ص 285) مخطوطة رسالة الجغرافية لمجهول، تحقيقنا (ورقة 49 وجه بغية الملتمس للضبي (رقم 675 ص 259) وكذلك Alemany Balufer Geografia de la Peninsula Iberia : غرناطة (ص : 96—99).

(64) الجوف اقليم في بلاد العرب الجنوبية بين نجران وحضرموت ، وجوف السرحان منخفض في الجزيرة العربية شمالي نجد ناحية الشام عن وادي السرحان. والمقصود هنا جوف الأندلس، وهي كما يقول ياقوت «أرض مطمئنة أو خارجة في البحر في غربي الأندلس، مشرفة على البحر المحيط» معجم البلدان (2/188).

(65) تاجة أو تاخة (Tage) نهر يمر في غرب اسبانيا وسط البرتغال ويصب في المحيط الاطلسي يبلغ طول مجراه 1006 كلم. تقع عليه مدينة لشبونة.

(66) Santarem تقع في البرتغال الحالية على مسافة 67 كلم شمالي لشبونة. انظر معجم البلدان (3/367) وفيه انها مدينة متصلة بأعمال باجة في غربي الأندلس. المغرب لابن سعيد (1/410—414) صفة الأندلس للحميري (رقم 104 ص 113) وفيه أنها «على جبل عال كثير العلو جداً».

(67) اذفنش : الفونس الثالث، وهو الذي انتهز فرصة الفتنة التي مزقت المسلمين في عهد الأمراء محمد ومنذر وعبد الله، ومدّ حدود مملكة ليون حتى شاطىء نهر دويرة.

(68) جليقية (Galice) بكسرتين ولام مشدودة وياء ساكنة. كما ضبطها ياقوت الذي قال انها ناحية على ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الاندلس في اقصاه من جهة الغرب. المعجم (2 /157). وغليسية الحالية تتمتع باستقلال داخلي منذ سنة 1980، وتمتد اراضيها على 29434 كلم2 ويبلغ عدد سكانها 2695000 نسمة.

سليمن بن عبد الملك، ثار منذر هذا بمدينة بني السليم[69] المنسوبة إليهم من كورة شذونة في أيام الأمير عبد الله، فاقتصد في سيرته ولم يخلع في نبذ طاعة إلى أن قتله مملوك له يسمى غلنده في أيام الأمير عبد الله، وخلفه وليد بن وليد فصار إلى الطاعة عند هبوب ريحها بالخليفة عبد الرحمن بن محمد.

محمد بن عبد الكريم بن إلياس :

محمد بن عبد الكريم بن الياس هذا امتنع بقرية ورد[70] من كورة شذونة، بلده، وسعى للفتنة سعيه، وراسله الخليفة عبد الله، وداراه فانحرف إليه وقبل الإسجال له على بلده، فاستكف شره ومشى على شأنه مع ابن ابنه الخليفة عبد الرحمن الوالي بعده، فأقره بحصنه إلى أن ضربت الدولة بعطن فاستنزله إلى جواره بقرطبة فيمن استنزل من الثوار وكرم منزلته بها وشرف فيها عقبه.

خير بن شاكر :

أقام بدعوة المولدين والعجم على العرب بشوذر[71] من كورة جيّان وظاهر زعيم هذه الدعوة، عمر بن حفصون، وذلك سنة سبع وسبعين ومائتين، في دولة الأمير عبد الله، وضاد سوّار[72] صاحب دعوة العرب الثائر بحصن غرناطة، [73]، من كورة

(69) مدينة ابن السليم هي مدينة شذونة (Medina Sidonia) وهي غير مدينة سالم (Medinaceli) وقد ذكر ابن عبد المنعم الحميري في سياق الحديث عن مدينة شذونة ان «مدينة شذونة تعرف في عصرنا بمدينة ابن السليم» صفة الأندلس (ص 162—163). وقال ان بني سليم قد انصرفوا اليها بعد خراب مدينة قلشانة. ومدينة شذونة في الوقت الحاضر مركز إداري تابع لمديرية قادس على نحو 40 كلم الى شرقها. وعن ثورة بني السليم انظر البيان لابن عذارة (135/2).

(70) ورد في الاحاطة باسم حصن ورد.

(71) شوذر هي : (Jodar) الحالية، وهي غير شوذر التي تقع شمالي غرناطة، وشوذر تابعة لمديرية جيان.

(72) ترجم ابن الأبار لسوار بن حمدون القيسي المحاربي في الحلة (ترجمة (56—1 / 47—154) وقال إنه ثار بناحية البراجلة من كورة البيرة في سنة 276 هـ (وهي السنة الثانية من ولاية الأمير عبد الله) فهو يؤرخ هذه الثورة قبل تاريخ ابن حيان بسنة واحدة، وهذا أيضا هو التاريخ الذي أورده ابن عذارى في البيان (2/133—134). انظر كذلك أعمال الأعلام، القسم الخاص بالاندلس (31/3) والاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (27/4—272). ولقد خصص الأخير لسوّار ترجمة طويلة وصفه فيها بأنه «كان بعيد الصيت، رفيع الذكر، شجاعا، محبّا في الظهور» انظر كذلك جمهرة انساب العرب (ص 248).

(73) Granada.

البيرة[74]، فقصد حصون العرب بالناحية فأوقع بهم وأباد خلقا منهم، فاحتال عليه الأمير عبد الله، لدى عميده عمّر بن حفصون، وعمر يومئذ جانح إلى طاعة الأمير عبد الله، فكاتبه يحذره من خير من أجل ميله الى ديسم بن اسحق وأن يغير ما بينه وبين ابن حفصون ويغريه به، وكان خير يواليهما معا، ويقوم بدعوتيهما، فأفسد ضمير عمر على خير وانفق ان استدعي خير من عمر مددا من خيله يقري به على بعض من يحاربه، فأرسل اليه مددا قوّد عليهم المعروف بالاحيمر وكان من سهام مراميه المصيبة، فواطأه في السرّ على الفتك بخير، ففعل، وانفذ رأسه الى ابن حفصون فأنفذه الى الأمير عبد الله بقرطبة مستحمدا اليه بكفاية شأنه.

عمر بن مضم الفترولي المعروف بالملاحي [75].

كان من انبرابر من قرية الملاحة[76] من كورة جيان وكان جنديا متنونا عند العامل بحاضرتها فوثب عليه وغدره وضبط القصبة وظافر سعيد بن هذيل[77] المنتزي بحصن المنتلون[78] من جيان قربه، وعاث فيما يليه وانتشر شره، فأخرج الأمير عبد الله القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة[79] لحربه، فاحتال أحمد عليه بمواطأة سعيد بن هذيل والوشاية به اليه وتخويفه من غدره وموافقته على تخذيل أصحابه الذين أمده بهم عند اللقاء به، فاستجاب سعيد لذلك ووافقه [ولمّا] التقوا والتحمت الحرب حر أصحاب سعيد بن هذيل على ابن مضم الهزيمة وتقاعد عنه حماته من أهل الحاضرة فاعتصم بالقصبة، ودافع عن نفسه وطلب الأمان فأمنه القائد ابن أبي عبدة وقاده به الى قرطبة[80].

(74) Elvira.

(75) انظر البيان (136/2).

(76) تقع الملاحة في جنوب غربي غرناطة، وهي ما تزال قائمة حتى اليوم. والى قرية الملاحة ينتسب أيضا أبو القاسم الملاحي، مؤلف كتاب «تاريخ علماء البيرة».

(77) انظر البيان (136/2).

(78) Montéléon.

(79) انظر البيان 141/2.

(80) Cordoue.

فهر بن أسد :

كان من الحشم في مصاف السلطان بقرطبة فسما للفتنة أيام اتجاجها وكان له أخ مرتهن عند السلطان في السجن فلطف في تخليصه حتى أخرج اليه يوم عيد بملطي موكل به فقتل الملطي وخرج مع أخيه ذلك، فافترس [إلى] حصن (تش ؟) فصار فيه ولفف أهل الفساد اليه فعاث فيما يليه وجرد السلطان اليه الجيش مرة بعد أخرى فتعذر عليه قهره الى أن كاتب سعيد بن وليد بن مستنّة المنتزى بكورة باغة(81) فأخذه سعيد لاحنة كانت عليه، فتقرّب به الى الأمير عبد الله وجيء به الى قرطبة فصلب بها إزاء باب القصر المسمى باب العدل.

سعيد بن هذيل :

كانت ثورته بحصن المنتلون من كورة جيان، دخل اليه إثر قتل عبد الملك بن محمد، فبني قصبتها وحصنها وملك اقليمي (تش ؟) والمنتلون حوله وأعلن بالخلاف، صدر أيام عبد الله، فغزى اليه القائد عبد الملك بن عبد الله بن امية بالجيش فأذعن بالطاعة والتزم قطعيا من الجباية فحمله ثم نكث وعاقد عمر بن حفصون، عميد الشقاق، وغزته الصوائف فلم تنل [منه] مدة الأمير عبد الله إلى أن ولي بعده ابن ابنه الخليفة عبد الرحمن، فغزا سعيد بن هذيل وحاصره وأذعن بالطاعة ونزل عن الحصن وسكن قرطبة، فيمن سكنها من المستنزلين وتصرف للسلطان الى أن نفي بقرطبة، وقبل [من] كان [بـ] المنتلون بعد اخراجه عنهم قد انتقضوا على السلطان وقبضوا على عاملهم أحمد بن عبد الوهاب، فقيدوه وحبسوه وجاهروا بالمعصية، فدعا السلطان أميرهم سعيد بن هذيل الى الخروج نحوهم بالجيش وتعديل ميلهم فأرشد في ذلك الى ابنه عبد الله بن سعيد وضمن وكفايته وغناءه فاسجل له الناصر لدين الله على بلدهم وأخرجه بالجيش اليهم، فأحسن تدبيرهم حتى أذعنوا وعادوا الى الطاعة وسكنوا الى عبد الله باعادة الألفة، فأقره الناصر لدين الله عندهم الى أن توفي أبوه

(81) Priego.

سعيد بقرطبة في مغيب عبد الله، ثم بدا له منه تعذر واستخفاف فلم يحتمله فاستنزله فيمن استنزل، وذلك سنة عشرة وثلاثمائة فلحق بالمصاف ولزم قرطبة يتصرف في المغازي الى أن توفي بقرطبة.

قال الرازي : والى سعيد بن هذيل وقت خلعانه عمر بن حفصون وسعيد بن وليد بن مستنة واجتمعوا ثلاثتهم في عسكر ضخم ضمهم فشنوا الغارة الى باب حاضرة جيان وهي يومئذ في طاعة السلطان واستاقوا ما لا يحاط به من أموال الرعية وبرز اليهم قائد السلطان، أحمد بن محمد بن أبي عبدة في جيشه وقد ازوروا بأجمعهم الى حصن جريشة فقاتلهم هنالك قتالا شديدا آل بهم الى أن هزمهم القائد هزيمة مُسَبِّطرة وأكثر القتل في أصحابهم فانقلبوا بخزية، وتكررت الصوائف على سعيد بن هذيل فلم يعط الضمة وطفق يسالم مرة ويحارب أخرى، الى أن انقضت أيام الأمير عبد الله.

سعيد بن وليد بن مستنة(82) :

صاحب عمر بن حفصون وتاليه في التمرد واللعنة، ثار بكورة باغة واقتعد حصونها الأشبة، ووافق ابن حفصون في الرأي والمعصية والميل على العرب مع العجم والمولدة، وداخله في سائر أموره، فاستفحل شره وعمّ أذاه واصطفى من حصونه التي استولى عليها أربعة حصون لا مثيل لها في المنعة الغالية والنظرة و«القمونش» و«اقوط»، الى عدد غيرها، لا تعد لها في الحصانة، قام معه في بعضها بنو مطرح الثلاثة، حارث وعون، وطالوت، فسطوا على أهل الطاعة وأحدثوا الأحدث المنكرة حتى خربت مدينة باغة بفتنة سعيد بن مستنة واتخاذه عليها لهذه الحصون الأشبة التي لا يغيب غوارها في كل ساحة، وغزاه الأمير عبد الله بنفسه الغزوة المعروفة بكركبولية من حصونه وتكرر عليها قواده بالصوائف المغيرة فلم يعط الضمة وعلى يده حدث الحدث الشنيع في ابراهيم بن خمير، القائد، واكثر ابن مستنة من قتل العرب وإبادتهم وإرجالهم عن الخيل، وحمل المولدين عليها. وكان مع سوء فعله يجنح الى

(82) انظر البيان (136/2).

السلم مدة ثم ينتقض ويجدد موالاة ابن حفصون ومعاقدته، وربما تلون عليه تلونه على السلطان فتجري بينهما خطوب طويلة، وامتدت الأيام بابن مستنة حتى طوي أمد الأمير عبد الله وتخلف بعده.

بنو هابل الأربعة، أكبرهم منذر بن حريز[83] :

منذر بن حريز بن هابل، ثار ببعض حصون جيان في أيام الأمير عبد الله وخلع الطاعة وأطلق الغارة وبنى حصن بختوبره (؟) وبنى اليه حصن مرغلية وحصن شنت اشتبين[84] وجمع اليه أهل الفساد وأفحش العناد فحاربته الصوائف مع القواد وآل الى المسالمة وإداء الاتاوة على تمريض في الطاعة وقطع به مدة الأمير عبد الله الى أن تلاه ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد، فهصره فيمن هصر من هؤلاء الأخابث ومال الى الطاعة ونزل الى الحضرة.

أبو كرامة هابل بن حريز بن هابل :

ثار أيضا ثورة أخيه منذر أيام الأمير عبد الله وخلع واختلفت به الأحوال من انس ونفار أيام الأمير عبد الله الى أن ولى كبره ابن ابنه عبد الرحمن الوالي بعده فقصده فيمن قصد من نظرائه وألقى عليه كلكله فخضع لصولته فاستنزله مع منذر أخيه، وأسكنه قرطبة، فنكث بعد حين وهرب من قرطبة فدخل حصن مرغريطة الذي كان لأخيه وأظهر التمسك بالطاعة، وخاطب يستلطف الخليفة ويوثق على نفسه شرط الطاعة، ويسأل إقراره بحصنه على أن يقيم الخدمة ويغزو في الجيش متى استنهض الى جهة، فقبل منه ذلك الخليفة عبد الرحمن وأقره بحصنه وأسجل له عليه.

عامر بن حرير بن هابل :

ثار عامر هذا بحصن شنت اشتبين[84] من حصونهم بثورة إخوته أيام الأمير

(83) انظر البيان (136/2).

(84) San Estéban.

عبد الله عند ارتفاع الفتنة. فظاهر وحارب بحربهم وسام بسلمهم الى أن استنزله الخليفة عبد الرحمن والمسلمين معه بشنت مانكش في الغزوة المعروفة بالخندق سنة سبع وعشرين وثلاث مائة.

عمر بن حريز بن هابل :

رابع الاخوة، ثار بثورتهم وشاهدهم في حروبهم الى أن استنزله الخليفة عبد الرحمن استنزالهم، فأثبت في شرف الملاحق اثباتهم وتصرف في الخدمة الجندية تصرفهم، الى ان غزا مع الخليفة غزوته الى بطليوس سنة سبع عشرة وثلاثمائة فأصابه سهم في قتال باجة هلك منه.

ابن عطّاف العقيلي :

إسحق بن إبراهيم بن صخر بن عطّاف بن الحصين بن الدَّجْن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن يحيى بن عامر بن مالك بن خويلد بن سمعان العقيلي[85] كان من أهل المعاقد أيام الجماعة يشهد مع الأمير محمد وقواده الصوائف ويقوم بين يديه المقاوم ويخطب على رأسه في مجالس المحافل وأيام التبريز للمغزي، فلما ثارت الفتنة وتميزت الفرق، ودخل اسحق هذا حصن منتشية[86] فبناه وحصنه وامتنع فيه من ابن حفصون وأهل الخلاف واستمسك بالطاعة على تعززه على العمال الى أن ضربت دولة الجماعة بطعن فاستنزله فيها الخليفة عبد الرحمن الى قرطبة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وبها توفي.

(85) انظر حول نسب بني عقيل جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص 274). خصص ابن الأبار ترجمة وافية للحصين بن الدجن العقيلي في الحلة السيراء (2/354–355) انظر كذلك البيان لابن عذاري (136/2).

(86) منتيشة هي (Montes) بلدة صغيرة في كورة جيان اندثرت تماما في الوقت الحاضر، وصفها ياقوت بأنها حصينة مطلة على بساتين وأنهار وعيون. المعجم (5/207–208) وانظر كذلك المصدر المذكور :
Alomany Bolufor, la Géografia de la Peninsula Iberia en los escritores Arabes, Granada 1921 (P. 94)

سعيد بن سليمن بن جودى[87] :

أمرته عرب غرناطة من كورة البيرة أيام الفتنة عند مقتل أميرهم الأول سوّار الذي تميز بهم عن المولدين في أيام الأمير عبد الله بن محمد، وخاطبوا عبد الله يسألونه العقد له عليهم ففعل وسجل له فضبط أمرهم وحارب أعداءهم وجدّ في منافرة كبيرهم عمر بن حفصون ومباينته وتعصب للعرب قومه وآثرهم حتى هوت اليه أفئدتهم وقصدوه من كل كورة حتى لجأه البكريون من أهل قلعة رباح وقاتل ابن حفصون وأصحابه من كل جهة، فظهر عليهم وهابه ابن حفصون هيبة لم يهبها أحدا، ممن مارسه، إذ لم يلقه قط إلا علاه وهزمه. ولقد دعاه في بعض أيامهم الى المبارزة، فلم يجبه ابن حفصون اليها وحاد عنه وواجه يوما في بعض أيام الجلاد، وقد ضبث به سعيد وأباه يحيد عنه فعلاه سعيد وهجم عليه فألقى عليه ذراعه واجتذبه إلى الأرض فما نجاه منه إلا أصحابه الذين انقضوا على سعيد فأنقذوا عمر من يده[88]. وكان سعيد بطلا باسلا وأديبا شاعرا وانبسط كثيراً على أصحابه واستخف بهم حتى دبر عليه كبيران منهم، محمد بن عثمان بن سيد أبيه، ويزيد بن عبد السلام، حيلة قتلاه بها سنة أربع وثمانين ومائتين في أيام الأمير عبد الله، فلم ينتظم للعرب أمر بعده ونسبوه إلا أنه أصر [على] الخلاف للأمير عبد الله والمروق عنه وعزوا اليه أبياتا من الشعر نفث بها فيما يعتقده من ذلك وجعلوها ذريعة الى قتله، منها :

قل لعبد الله يجدد في الهرب ... نجم الثائر عن وادي القصب
يا بني مروان خلوا ملكنا ... إنما الملك لأبناء العرب
قربوا الورد المحلى بالذهب ... واسرجوه ان نجمي قد غلب

(87) سعيد بن سليمان بن جودي بن سباط بن ادريس السعدي (ت 284 هـ) أبو عثمان من هوزان، يعد من الأدباء الملوك، وكذلك بطلا وشاعرا وخطيبا ترأس القيسية بعد مقتل سوّار بن حمدون، واستولى على حاضرة البيرة فأقطعه الأمير عبد الله كورتها. قتله أصحابه ونسبوا ذلك الى مخالفته الأمير عبد الله. ترجم له ابن سعيد المغربي في المغرب (105/2) والحميدي في الجذوة (ص 213) والضبي في البغية (ص 294) وابن الخطيب في أعمال الاعلام (ص 31.27) وفي الاحاطة (418/1) وابن الأبار في الحلة السيراء (154/1—160).

(88) نقل ابن الأبار هذه الفقرة عن ابن حيان وذكر ذلك.

مشتهرة بالنسبة اليه لم يقتدر أحد بعده ممن تعاطى الشدة يبلغ اليها، جمع حديثة الى قديم الأبوة، إذ كان جده ابن أسباط قد تولى الشرطة للخليفة الحكم بن هشام. ولسعيد هذا أخبار بعيدة.

ابن اضحى محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني[89] :

من أكابر أبناء العرب بكورة البيرة وكانت بينه وبين سعيد بن جودى المنتزين فيها الى حصن غرناطة أيام الفتنة عداوة شديدة أوجبت على ابن أضحى الهرب عنه بنفسه الى غير مكان، وسعيد يجد في طلبه ويبذل المال فيه الى ان مضى سعيد لسبيله، فأمن من محمد جانبه واستدعاه أهل حصن نوالش[90] يمنع منهم وصار عندهم مستمسكا بالطاعة على ما به من عزة، وخاطب الأمير عبد الله يسأله الاسجال له على ما بيده عقب أشياء دارت بينه وبين ابن حفصون أبان فيها عن صدق ولايته فأتاه عبد الله ذلك، واستقام على ولايته الى أن هلك عبد الله فأمضاه فكان قيامه بالعرب سبع سنين، وكان من أكبر ما نقمه عليه أصحابه استهتاره بالنساء ونهمه فيهن وانحطاطه في طلبهن إلى ما يقبح ذكره، فله فيهن وفي سوائهن أخبار سائرة. وقال أبو بكر بن عبادة : الشاعر هو سعيد بن سليمن بن حودي بن اسباط السعدي، من هوازان أبا عثمن، تغلب على قلعة غرناطة بكورة البيرة أيام الأمير عبد الله ودانت له العرب المتميزون عن المولدين أيام الفتنة، وأظهر موالاة الأمير عبد الله والتمسك بالجماعة، فعقد له الأمير عن جند دمشق وكان فارسا شجاعا رابط الجأش وشاعرا مفلقا، فصيح اللسان جميل الشارة مليح الاشارة تعد له عشرة خصال تفرد بها في زمانه لا يدفع عنها : الجود والشجاعة والفروسية والجمال والشعر والخطابة والشدة والطعن والضرب والرماية. وله زرقة بعيدة المدى الى بعض المناظر المعتلية

(89) ترجم له ابن الأبار في الحلة (378/1—388)، ومعظم عناصر هذه الترجمة منقولة عن ابن حيان، وذكره ابن سعيد (106/2) باسم محمد بن اضحى الهمداني، وابن الخطيب في أعمال الاعلام (ص 27) وابن عذارى في البيان (137/2).

(90) نولش (Noalejo) بلدة صغيرة في مديرية جيان على 47 كلم جنوبها قرب حدود مديرية غرناطة وعلى مسافة 30 كلم منها الى الجنوب الشرقي يقع حصن اللوز الآتي ذكره في مديرية غرناطة.

الامير عبد الرحمن بن ابنه الوالي بعده على سبيله الى أن ضربت دولة الجماعة بطعن فاستنزل ابن أضحى هذا عن حصنه فيمن استنزله من الثوار، وذلك في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وكان ابن أضحى هذا مع رجولته أديبا بينا يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل والمقاوم فيحسن القول ويطيب الثناء وله أخبار ومعرفة.

أبناء المهلب(91) من بيوتات البرابرة بكورة البيرة :

خليل وسعيد، ثارا ثورة نظائرهما بجهتها أيام اضطرمت الفتنة فملك خليل منها حصن قرذيرة، وملك سعيد حصن اشبرغرة، وكلاهما من كورة البيرة وأظهرا مع اعتزازهما، الاستمساك بالطاعة، فاسجل لهما الأمير عبد الله على ما في يديهما ونابذا عمر بن حفصون، كبير المنافقين وصاحبه سعيد بن مستنّة، فأقاما على سبيلهما الى أن توفي خليل منها أيام الأمير عبد الله، وبقي أخوه سعيد بعده، وقد اجتمع له عمل الحصنين معا الى أن توفي أيضا. وقد كرت دولة الجماعة بالخليفة عبد الرحمن بن محمد فاستنزل أولاد الثوار فيمن استنزل من الثوار.

ابنا جرج :

عبد الوهاب بن جرج(92) :

مولى أبي عثمان عبيد الله بن عثمن وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن جرج، كان [من] الموالي بالبيرة عند اهتياج الفتنة فيها أيام الأمير عبد الله مذ تميز واجتمعوا الى حصن بكور ليمنعوا أنفسهم واحتاجوا الى رئيس يضم نشرهم، فاستدعوا عبد الوهاب هذا اليهم وأمروه عليهم فقام بتدبيرهم وبنى الحصن فشيده وامتنع [فيه] هو ومن معه من انبساط أهل الباطل عليهم مع تمسكهم بطاعة أمير أهل الجماعة الى ان فسدت سيرة أميرهم عبد الوهاب فيهم واشتدت وطأته عليهم ونقموا عليه أشياء أخرجوه لها عن أنفسهم فتوفي إثر ذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وكان الموالي قد

(91) انظر البيان (137/2) الاعلام (ص : 27).
(92) انظر البيان (137/2).

أخرجوه لها عن أنفسهم فتوفي إثر ذلك سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وكان الموالي قد
أخرجوه عن حصنهم باخراج عبد الوهاب ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن جرج، وكان مصافيا له ومعينا على أمره، حاضرة شوذر من كورة جيان وأدخله فيه فأقام به على حال مضطربة الى ان استنزله الخليفة عبد الرحمن على همل الفرقة بدولة الجماعة فيمن استنزله من الثوار ونقله الى قرطبة فصيّر في المصاف، ملحق التمام وخرج مع الوزير القائد أحمد بن اسحاق القرشي الى تدمير فحارب معه حصن لقنت(93) وأصابه هناك حجر عرادة هلك منه، وله عقب باقون بقرطبة.

فهؤلاء مشاهير الثوار باطار الأندلس المفارقين للجماعة الموقدين لنارالفتنة المكتمل عددهم عند قعود الأمير عبد الله مقعد أخيه المنذر في الخلاف، وان شذت منهم أسماء زعانق من أوشاب فيهم واتباع ضم سلكوا في الخلافة سبيلهم ولم يبلغوا شأوهم فأعرضنا عنهم لقمأة أحوالهم، دفع الأمير عبد الله الى ممارستهم وتقويمهم عن الطريقة وذيادهم عن الغواية وتناولهم باللين والشدّة من معاناة ذلك طوال مدته تحت معارضة دولة الفرقة لمراسة ما ادعى عليه الى أن مضى لسبيله، وبعده ضاء صبح النصر ودنا ميقات الفتح من منحه الله كرة الجماعة وألزمه طائر السعد [ابن] نجله، فانقادت له الأمور مذعنة. وسنذكر من أخبار الأمير عبد الله المنغص الموهبة مع هؤلاء القاسطين على الناس ومنتهى مآثره في معاملتهم وسجالة في محاربتهم ما أدت اليه المعرفة، على أنه قلّ في جنب الاستيعاب له ولله العظمة سبحانه والإحاطة عز وجــــلا.

ذكر الثناء عن الامير عبد الله بكرم خلاله وتقريضه بجميل خصاله الى مادسة عيابه خلال ذلك من مساوئه وما اتصل بذلك :

ذكر عيسى بن أحمد الرازي عن أبيه أحمد بن محمد، قال : كانوا يعدون الامير عبد الله من أصلح خلفاء بني أمية بالأندلس وأمثلهم طريقة، وأتمهم معرفة، وأمتنهم ديانة. كان يتهجد بالليل ويقوم ليالي شهر رمضان بالاشفاع مع الأئمة المرتبين لها بالمسجد الجامع بقرطبة، وكانت نيته في ذلك الورع الراغب في الخير، رحمه الله،

(93) (Alicante)

ونضر وجهه. اخبرني محمد بن حامد المؤدب، وكان من اصحاب بقّي بن مخلد(94) قال : كنا إذا ذكرنا أبناء الخلفاء أوضح الشيخ بقّي في ذكر الولد عبد الله بن محمد ووصفه بالصفات الجميلة والمذاهب الراضية، وحدث عن فتيان القصر الخاصة، أنه قال : كان الامير عبد الله كثيرا التلاوة للقرآن مثابرا على درسه، لاينفك كل يوم عن تقديم حزب منه يبدأ بقراءته، وكذلك ينظر في شأنه، وكان حافظا له محبا لمن حفظه ومستثقلا لمن ضيعه يخل بالرجل الضخم عنده إنه لا يحفظه القرآن أو بعضه ولو اجتمعت فيه كل خلة حسنة، وكان بسيط اليد بالصدقات على الفقراء وأهل الحاجة وأولى الزمانة يسهم لهم من مال الجبايات إذا وردت عليه سهما يأمر بإخراجه وتفرقته على كل صنف من الضعفاء والمساكين شكرا لله واستزادة من بركة المال، وكان لا يقدم أمرا ولا يؤخره إلا عن مشورة أهل العلم والفقه، وذكر أبو صالح أيوب بن سليمن أن الامير عبد الله كان متصرفا في فنون متحققا منها بلسان العرب بصيرا لغاتها وأيامها، حافظا للغريب والأخبار، آخذا من الشعر بحظ وافر، وله في الشعر منه شعر صالح، جيد المذهب بديع المعنى، وكان محمد بن وليد(95) بن غانم يقول : كان لأمير عبد الله بن محمد أحد البلغاء الفصحاء لم يسمع لأحد بمثل ايجازه إذا أملى ولا مثل بلاغته إذا كتب، وكانت توقيعاته حسانا قد جمعت لطافة اللفظ وصحة المعنى، قد أتبت من شواهد ذلك فيما أوردته من نكته عند ذكرى له مع مناجيب إخوته، ولد الأمير محمد بن عبد الرحمن، في أيامه ما فيه دلالة كافية أغنت عن إعادته. قال الرازي : وهو الذي وصل الأزج المعروف بالساباط من قصره الى المسجد الجامع لصقه فكان يأتيه من هناك ويشهد الصلاة كل يوم جمعة، فإذا انقضت الصلاة انصرف عن المسجد الجامع عن طريقه ذلك المستور الذي اخترعه الى قصره فارتقى الى السطح الأكبر على بابه القبلي، باب السدة، فقعد هناك لأهل بيته من قريش وغيرهم ومعه وزراؤه وخاصته، ودخل عليه بعدهم وجوه الموالي والفقهاء وأعيان من الناس قد تخيروا للدخول عليه ومجالسته، وكان قد خص قعوده للعامة يوم الجمعة لايخل به، رتب قعوده فيه لهم بمجلس له عند الباب الذي فتحه عند ركن القصر وسماه باب العدل، وهو باب قبلي رسمه بأن لا يأتيه منه إلا متظلم أو رافع كتاب بظلامة لا يصد حاجبه أحد عنه نظرا للناس وتسهيلا لسبيل انصرافهم، وكان مجلس الأمير عبد الله قبل الخلافة وبعدها أعمر مجالس الملوك للفضائل وانزهها من الرذائل، وأجمعها لطبقات أهل الآداب والتعاليم، فكانت كل نادرة تدور على الأفواه وتغلغل في الألسنة لا يستقر قرارها إلا في مجلس مذاكرته ولا يفك عويصها إلا بين يديه وكان ممن يكثر مجالسته ويصل مؤانسته موسى بن محمد بن حدير(96) المعروف بالزاهد، وكان محدثا ظريف المشاهدة مليح العبارة، إخباريا ممتعا حافظا دولة مواليه بني أمية، أديبا مفننا مفوها بليغا بينا يقرض أبياتا من الشعر حسنة بديهة وروية فشهد مجلس مذاكرة الأمير عبد الله يوما من ذلك، وهو حافل باهل الأدب والمعرفة وقد أفاضوا فيما كانوا يفيضون فيه من أبواب المذاكرة حتى مرّ ذكر الشيب وذمه وكان الامير عبد الله شديد التكره له، فقال لجلسائه : أي شيء ترونه في ذم الشيب أبلغ ؟ فلم يحضر لأحد شيء إلا موسى بن محمد فقال : احسن ما قيل عندي قول الأول :

94) بقّي بن مخلد بن يزيد (201—276 هـ) أبو عبد الرحمن : حافظ مفسر محقق من أهل الأندلس. ترجم له الحميدي في الجذوة، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر سنة 1966 (ترجمة رقم 79 ص : 116—119) فقال انه رحل الى الشرق فروى عن الأئمة وأعلام السنة الذين من بينهم الامام أحمد بن حنبل، وكتب المصنفات الكبار وبالغ في الجمع والروايات ورجع الى الأندلس «فملأها علما جما، وألف كتبا حسانا» اختلف في تاريخ وفاته فقيل إنه مات سنة 276 هـ وقيل 273 هـ. وصفه المقري بأنه «أحد الأعلام وصاحب التفسير والمسند» النفح (518/2) وذكر ابن الفرضي قائمة طويلة من أساتذته في المشرق وقال انه سمع بافريقية من سحنون وعون بن يوسف وذكر له «تفسير القرآن» و «مسند النبي ﷺ». وقال انه ليس لأحد مثله «تاريخ علماء الأندلس» (ترجمة رقم 283 ص 91—93) والمغرب كذلك الحلة للسيراء، والمغرب لابن سعيد (52/1—45) وتذكرة الحفاظ (48/2) وطبقات الحنابلة لابن يعلى، طبعة دمشق سنة 1350 هـ. (ص 79) والبغية للضبي (ص : 229 وفيه أنه ولد في سنة 231 هـ. والمنتظم (100/5) والمرقبة العليا (ص 18) وطبقات المفسرين للسيوطي، طبعة ليدن 1839 (ص 9).

95) انظر أخباره في الحلة السيراء (124/1 و 162 و 374/2).

(96) بنو حدير من البيوتات الأندلسية الكبرى التي كانت تقاسم النفوذ في عهد الامارة ثم الخلافة في الأندلس مع بني أبي عبدة، وقد كان بنو حدير، من موالي البيت الأموي بالمشرق وكانوا يعتبرون من الشاميين، وكذلك كان كل من موسى بن محمد بن حدير وعيسى بن أحمد ابن أبي عبدة من أكبر رجال الدولة، وقد ولى الأول الذي يكنى أبا الأصبغ الوزارة لعبد الرحمن الناصر ثم استحجبه الخليفة في سنة 309 هـ وكان موسى الى جانب ذلك، أديبا فصيحا غزير العلم حلو الحديث. ولما توفي سنة (320 هـ) لم يستحجب الناصر أحدا بعده. انظر أخباره في الحلة (120/1—237) البيان لابن عذاري (182/2 و 208)، نفح الطيب (356/1 و 176/3)، الجذوة (ص 316)، بغية الملتمس (الترجمة رقم 1320)، الإحاطة لابن الخطيب (650/3) المغرب لابن سعيد (185/1).

اقول الضيف الشيب ادخل مفرقي	نصيبك مني جفوة وقطوب
حرام علينا ان تنالك عندنا	كرامة بر أو يَمُسُّكَ طيب

استحسنها الأمير وقال اكتبها لنا يا موسى وزدنا إن كانت فيها عندك زيادة، فقال له، والله ياسيدي ما عندي فيها مزيد. وتباطأ الوصيف باحضار الدرج والدواة الى موسى، وموسى مطرق الى أن تأتا له القول في الزيادة التي استمطرها منه الأمير، فقال قد جاءني، يا سيدي، بسعدك، بعض الذي اردته، واندفع فوصل البيتين :

فيا شر ضيف حل بي وحلوله	يخبّرني ان الممات قريب
وان جديدي كل يوم الى بلى	وإني من ثوب الشباب سليب
فما طيب عيش المرء إلا شبابه	وليس إذا ما بان عنه يطيب
سأرقيك يا ضيف المشيب قرى القلى	فما لك عندي في سواه نصيب
وأبكي على ما قد مضى من شبيبتي	بكاء محب قد جفاه حبيب
مضى مسلما لمفني عليه مدى المدى	فليس إلى يوم التناد يؤب

فسر الأمير عبد الله بما أتاه موسى وأثنى على قريحته وقال عبادة الشاعر : كان الأمير عبد الله بن محمد أديبا بليغا بينا ذاكرا كاتبا شاعرا. قال الرازي، قال لي الفقيه أبو صالح : كان الأمير عبد الله متصرفا في جميع العلوم بصيرا باللغة والغريب وأيام العرب وسير الخلفاء. دخلت عليه يوماً فخلا بي وبسطني وذاكرني فما أخذت في الفن من الأدب، ولا خطر ببالي خبر للعرب إلا بَدَرني اليه بالحفظ وأفادني في أكثر الزيادة. ولقد أنشدني شعرا له في الزهد بديع المعنى جيد الوصف استحسنته، وما أعلمني شاهدت خليفة مثله، وكان عفير بن مسعود يقول : عنيت بشعر عباس بن

ناصح[97] شديدا وقصدت الجزيرة بلده الى بعض ولده فرويته عنه وتفقته، وعلى ذلك فلم أبلغ منه الا ما بلغه الأمير عبد الله حفظا له وتنويها لفنونه وإدراكا لغريبه، ولقد كان يعرف الذي قال منه في المشرق والذي قاله بالأندلس، ويحكي من أخبار عباس ما لا يحكيه أهله ولا رواته. وقال المرواني : لحقت الأمير عبد الله ورأيته في موكبه غير مرة، فرأيت رجلا جميلا ضخما، جميل الرواء، حسن الجهرة، نبيلا يملأ العين بهاء. وذكر الحسن بن محمد بن مفرح[98] قال : قال لي محمد بن وضاح : كان الأمير عبد الله من الصالحين المتقين العالمين، العاملين زوى الحديث كثيرا وطالع الرأي وأبصر العلم وتفقه ونظر في السنن وحفظ القرآن وثقف القراءة وقام بالكتاب، وراعي الفرائض والنوافل وأكثر من الصوم والصلاة وكان يلتزم الصلوات الخمس في المسجد الجامع لعتق قصره [لكي] يسهل عليه الخروج لها من القصر عند الآذان فيدخل الجامع من غربي المسجد من أول أبوابه المعروف بباب الوزراء، فإذا الناس تراؤه قاموا له صفا على أقدامهم حتى يصير بداخل مقصورة فيجشم صنحاؤهم من ذلك مؤنة، فكتب اليه الفقيه سعيد بن خمير : أيها الإمام، ارضى الله قدرك من المتقين وإنما يقوم الناس لرب العالمين، وهم يميلون لك قياما إذا رأوك فلا ترض لرعيتك بغير الصواب، فهذا الذي يزلفك لكريم الماب (كذا)، فإن العزة لله جميعا لا شريك. ومن تواضع لله رفعه، والذكرى تنفع المؤمنين، وإنما يتذكر من ينيب، قال : فأوصى الأمير الى العامة الحاضرين في المسجد الجامع ألا يقوموا اليه إذا خرج ويلزموا مجالسهم، فلم

(97) ترجم له ابن سعيد في المغرب باسم عباس بن ناصح الجزيري (نسبة الى الجزيرة الخضراء التي ولي قضاءها) وقال انه ولي قضاءها مع شذونة. وقال الحميدي انه يكنى أبا العلاء وأنه رحل به أبوه صغيرا فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا اللغة العربية ثم رحل به أبوه الى العراق فلقي الأصمعي وغيره من الكوفيين والبصريين، وكان بن ناصح شاعرا أثيرا عند الخلفاء الأمويين، وخصوصا، عند الحكم الربضي الذي روى المقري نبذة عن اتصاله به، وكذلك الوزير ابن الخطيب في الاحاطة (481/1). وقيل انه لقي أبا نواس خلال تجواله في المشرق. انظر أخباره في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ترجمة رقم 881—291/1) الذي قال إنه ترجم له أيضا في كتابه عن النحويين، المغرب لابن سعيد (48/1) نفح الطيب للمقري (343/1—344 و 261/2، 262 و 423/3). وانظر كذلك تاريخ الأدب الأندلسي لاحسان عباس، طبع بيروت 1960 (ص 36—37).

(98) ذكر ابن الخطيب في الاحاطة (83/1) لابي بكر الحسن ابن محمد بن مفرج القيسي «كتاب في اعلام الرجال»، ونقل عنه ابن سعيد في المغرب حلي المغرب (46/1). انظر كذلك نفح الطيب (643/2).

بنته أكثرهم من ذلك، ومضوا على عادتهم ، فابتنى هذا الازج المعروف بالساباط المائل عقده فوق الطريق، ما بين قصره والمسجد، ووصله بباب شرعه اليه من قصره الى مقصورة المسجد الجامع [و] وصل يخرج منه مستترا على الناس متى أراد الصلاة في خاصته من خدمه الخصيان وبطانته في خفيه، فيقضي في داخل المقصورة ما شاء من فريضة ونافلة لا يراه أحد في مجيئه ولا في انصرافه، ولا يتكلف له مؤنة قيام وارصاد للخروج، فكان أول من اتخذه من خلفاء بني أمية بالأندلس فاتبع سبيله فيه كل من جاء منهم بعده. وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : وكان الأمير عبد الله بن محمد من أفاضل خلفاء بني أمية بالأندلس(99) بني الساباط(100) طريقا من قصره الى المسجد الجامع تمكينا لمشاهدته صلاة الجامعة مع الناس فيه، فاستوى له وواضب [على] الصلاة في المسجد بمصلاة الى جانب المنبر طول مدته الى ان أتاه أجله، رحمة الله وبركاته عليه. وقال معاوية بن هشام الشبينسي(101) : كان الأمير عبد الله بن محمد أول من أظهر التواضع من خلفاء بني أمية بالأندلس فاقتصد في ملابسه واختصر حلى مراكبه، وفتح للعامة بابا محدثا بخارج قصره دانيا من مسكنه اقترب اليهم منه سماه باب العدل، يناديه متظلموهم ومستضعفوهم من قبله فيسرع إجابتهم ويأمر بأخذ وقائعهم فلا يختزل حاجتهم دونه ولا تحجب مظالمهم عنه، ولا يزال ينزع من أجل ذلك المظالم ويؤمن الخائف، فعظم الانتفاع بهذا الباب جدا.وانتعشت الرعية بنهجه وهو أيضا أول من فتح تلقاء قصره بابا الى المسجد الجامع من سوره الغربي اللاصق بالجامع واتخذ بينهما أساباطا تحت ازج معقودة من ضخام الحجارة فوق ظهر الطريق الرحب الشارع الى باب القنطرة، من أبواب المدينة، وصله بمقصورة

(99) قول ابن حيان اقتبس من الذاكرة بدون شك. ونص ما ذكره ابن عبد ربه كما يلي : «ثم تولى عبد الله بن محمد التقي النقي، العابد الزاهد التالي لكتاب الله... فبنى الساباط، وخرج الى الجامع والتزم الصلاة الى جنب المنبر حتى أتاه أجله، رحمه الله، يوم الثلاثاء للنصف من صفر سنة ثلاثمائة. وكانت له غزوات، منها غزاة بلى التي أنست كل غزاة تقدمتها». انظر العقد الفريد تحقيق أحمد أمين وآخرين، طبعة بيروت (4/497ـــ498).

(100) في دائرة المعارف الاسلامية (1/878) : «الساباط : طريق مسقوف بناه الأمير الأموي، عبد الله».

(101) هو معاوية بن محمد بن هشام بن الوليد ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي من أهل قرطبة ويكنى الشبينسي (ت 298) من كبار الفقهاء والعلماء في أيام عبد الرحمن الأوسط، ونسبة الشبينسي الى الشبانسي سنة حملها عنه من أحصد هشام الرضي. وللشبينسي كتاب في تاريخ الأندلس بعنوان «دولة بني مروان بالأندلس» ينقل عنه ابن حيان كثيرا. انظر ترجمته في الاحاطة (1/101) الحلة السيراء (1/40، 125) المغرب لابي سعيد (1/115) التكملة لابن الأبار (رقم 1074).

الجامع بباب شارع فيها كان يجيء من قصره في هذا الساباط مستترا عن أعين الناس فيمن يخفّه من خدمه وخواصه حتى يصير الجمع لا بد منه متى حضر قرطبة، وشهد كثيرا من الصلوات الفرض في غير الجمعة، وكان من خصاله أنه يعظم أقدار أهل العلم ويعرف حقوقهم ويستدعيهم كثيرا الى نفسه ويستفتيهم في أحكامه ويشاورهم فيما يطرق من أحداث زمانه قال معوية : حدثني أبي، قال : كان ما رأيت الأمير عبد الله في كثير من ركبانه في البلد إذا مر بشارع المبطلة الآخذ من باب عبد الجبار المطموس من أبواب المدينة الى فحص المطرف وما وراءه من شرقي قرطبة فدنا من دار الفقيه الشيخ الصالح بقّي بن مخلد قدم فتى من أكابر خصيانه بالسلام منه الى بقّي والسؤال عن حاله. فإذا أبلغه الخصي ذلك بادر بقّي الى النهوض نحوه فربما وجده واقفا ينتظر خروجه اليه، أو رجع رسوله جوابه، فيخرج بقّي اليه ويدنو منه فيقضي حقه ويخفي الدعاء له ويقف معه مليا كاشفا عن حاله مستدعيا لدعائه. فإذا قضى وطره من ذلك نهض الأمير لسبيله، وكان كثيرا ما يستحضر بقّي الى القصر فيأنس بمذاكرته ويقتبس من معرفته ويستمع لنصيحته ويصغي لموعظته، فكان لذلك من مبرته واتصال منفعته للناس باسعافه يكثر الثناء على عبد الله والتزكية ويوضح في ذلك كثيرا إذا أجراه في مجالس، سمعته يستجلب دعاء الناس له. قال ابي : وكان من عادة الأمير عبد الله ان يشهد الصلوات في المسجد مع العامة ويتهجد فيه منفردا في ليله ويصلي اشفاع رمضان مع الأئمة ويواظب [على] القراءة في المصحف فلا يخل كل يوم بورده منه.

وقال معوية : ما علمنا للأمير عبد الله بناء في مدة خلافته كلها غير منية الناعورة على شط النهر أسفل قرطبة المتصلة بمصلى فحص المصارة العتيق، وكان اشتراها أيام والده الأمير محمد. فأنشأها منية عجيبة واسعة الخطة أرادها للفرجة فأوسع خطتها وأكثر غراساتها واقتصد مع ذلك في الانفاق عليها، وقد قرأت كتاب شرائه لها بما حوها من أحقالها المحيطة بها من حليل البيطار، سنة ثلاث وخمسين ومائتين فنوه بها ملكه لها، غير ان ابتناءه له كان قصدا مشبها بفعله في جميع شؤونه ثم انتقلت هذه المنية من بعده الى ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد، ولها حظ من اجتبائه

أمال اليها عزمه فبلغ بها العناية التي كان قصده لها في ما تناوله بقوة جد لم يخذله.
قال : واصطفى الأمير عبد الله في خلافته أيضا منية نصر الخصي، اثير الأمير عبدالرحمن بن الحكم، جده، الموفية على شط النهر أيضا بعدوة الربض الى جانب مقبرة الربض العتيقة وصارت اليه بعد نصر مخترعها وكلف بها فشيد بنيانها واتقن مصانعها، إلا أن ذلك [كان] في حد الاقتصاد والاختصار اللذين لم يفارق مذهبه فيهما [في] آخر وقته قسم أوقات نزهته وفرجته بين هاتين المنيتين الصيفيتين فطفق يتردد اليهما إذا تفرغ لهما ويتفرج فيهما الى ان مضى لسبيله. وقد كان شعراء وقته اعتمدوه في وصف المنيتين هاتين وغبطوه بهما بأشعار حسان أجادوا فيها يطول القول بها.

باب الذم :

قال : وعلى ما عددناه من محاسن هذا الأمير عبد الله المنغصة دنياه بتوسع فتاق الفتنة، وتضيق نطاق الخطة، وقصور مقدور الجباية عن غرض النفقة ما حس له غياب الطغيان عليه حال التزكية له وغلوه الرثاء تحت قناع التقوى وطرقوه البخل طبيعة لا تزال الخطة أبدا على قدر وسعه ويحمل على المعتذر عنه وجه معذرته، فلم يكن يرجى غدق نداله ولو أن البحر خزانته، فغمصوا دينه بما كان من هوان الدماء عليه وإسراعه إلى سفكها، حتى من ولديه وإخوته ومن خلفهم من صحبته، ورعيته، آخذا لأكثرهم بالظنة مقويا في اتيانهم الشبهة، أخبارهم معه في سوء المصار معروفة، وأثبتوا شدة بخله بأبين من ذلك من مشهور قبضه لكفه على القريب والبعيد، وضنه بالقليل [من] الربح على الولي الحميم، فقد تحدث عنه وليه وحميمه وربيه وحظيه، ابن ابنه، وارث ملكه، الخليفة عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، وكان أثيرا عنده وأسكنه معه في قصره، وكفله بعد أبيه، وتفرس النجابة منه فخرجه بأدبه وأجهد في تعليمه فحركت حاله عما قليل عنده حتى أدناه من نفسه وأطلعه على مهم أخباره فجعله كاتب سره، فذكر عبد الرحمن انه ركب معه يوما الى ناحية الرصافة(102) للنزهة فادركه

(102) ذكر ياقوت في المشترك عشرة مواضع تسمى الرصافة (ص 205) والرصافة هذه مدينة بالأندلس أنشأها عبد الرحمن الداخل وسماها رصافة هشام باسم جده.

وقت صلاة فريضة فنزل لقضائها في الصحراء. قال عبد الرحمن : فبادرت للترجل عن بغلي للأخذ بركابه قضاء لحقه ووفاء ببره، فأهملت البغل وسائسي على بعد مني لم يدن من مكاني لخصوصيته، فذهب البغل على وجهه هاربا واتبعه فرسان الموكب راكضين فأعتهم وطال مقامي قائما على قدمي حتى أخذوه فردوه الي وشق ذلك على الأمير جدي، فلما ركبنا قال لي : يا عبد الرحمن مالي أراك بغير خصي وصيف يخفك ويحفظ عليك هذه العورة من زوال دابتك؟ فقلت له : يا سيدي، لم يأن لي بعد ان اتخذه ولا فضل من راتبي ما به أناله، فقال : لا عليك، إذا انصرفنا الى القصر، إن شاء الله، فذكرنا، ننظر لك. قال : فلما انصرفنا وأنا نازل في القصر معه، عجلت بتذكيره حرصا على إنجاز وعده، ولا أشك في أن الوصيف حاصل في يدي، فقلت له : وعدك الكريم، يا سيدي، سرني بانجازه، فقال لي : نعم وأومأ الى وصيف بين يديه بشيء لم أسمعه، فدخل وجاءه بشكيمة حرير ابرسيم مليحة الصنعة فقال لي : دونكها، يا عبد الرحمن، فإنها من أعد العدد لك فادفع ما عراك فطوقها دابتك تحت اللجام متى ركبت، وخذ بطرفها متى نزلت، فإنه [لا] يمكنها الانفلات، متى كان في يدك، فسقط في يدي للخيبة، وتجملت له بإظهار المسرة للعطية وعذرته في نفسي مع تسخيطي لمعرفتي بغلبة الطبع عليه. وقد حكى عنه حفيده عبد الرحمن أيضا أنه أمره يوما باكتتاب خطاب اليه لبعض أعماله بأمر سال فيه عويصا من مطالبيه يختبر عبد الرحمن بذلك وقد رأى نهوضه في أدبه فاستقل بما عرضه له من ذلك وأصابه نصه. فلما قرأ ما كتبه سره وأثنى عليه وقال : قم الى تلك الكورة لعتاق في مجلسه فخذ تلك الدجاجة بما معها من الرقاق فإنها هيئت لفطري وقد آثرتك بها مباركا لك فيها، فقمت أهرول أريه فرحي بها وأنا أعجب من اقتصاره في انباه همتي [بهذه] مثلها، وكانت دجاجة فائقة خلاقية الصنعة عطرية النشرة، قبضت عليها باليمن وأوجبت عليها السكر الجسيم فتخيلت السرور في أساريره، وأخباره في هذا البخل كثيرة. قضى الله بأن كرهه الى ابن ابنه ووريثه، الخليفة من بعده، عبد الرحمن بن محمد، فاجتنبها من لدن نشأته واعتاد نقيضه في ندى الكف وسماح النفس، فإنما أراد الممتدحين لجده من الشعراء والخطباء والقصاد اليه من البلاد على ما يقدره عليهم

جده في صلاتهم فيتمم يقاضيها [كذا] من عند نفسه متحاملا على ذاته الملفقة من تراثه في أبيه وارتزاقه من جده على اشتمال الضيق عليه، فأكسبه ذلك جميل الثناء بعد جده وصار من أسباب إجتباء به [كذا] لمكانه.

قال أبو مروان : وقد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم(103) بذم هذا الأمير عبد الله بالذي تقدم ذكره من إسراعه في [سفك] الدم في نوادر الأخبار الذي سماه نقط العروس، فذكر أنه كان قتالا تهون عليه الدماء مع الذي كان يظهر من عقبه، فإنه احتال على أخيه المنذر وواطأ عليه حجامه بأن سم له المبضع الذي قصده به، وهو نازل بعسكره على ابن حفصون فكانت به منيته، وتطوق دمه ثم قتل ولديه معا بالسيف واحدا بعد آخر، محمدا والد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، وأخاه المطرِّف، ثم قتل أخوين له معا أيضات، قتل هشاما بالسيف والقاسم أخاه بالسهم [بالاضافة] الى من قتله من غيرهم.

ذكر الشعراء :

قال : كان الأمير عبد الله، على ضنه بالمال وقتره للعطاء بسجية الأدب الذي

(103) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384—496) أبو محمد : من أكبر علماء الأندلس وأحد أئمة الاسلام، صاحب المذهب الظاهري، وكان خلق كثير ينتسبون الى ذلك المذهب ويسمون «الحزمية». كانت ولأبيه من قبله رئاسة في قرطبة وتولى الوزارة، لكنه اعتزل السياسة وانصرف للبحث العلمي والتأليف. وقد كان فقيها متضلعا وحافظا يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة. انتقد كثيرا من العلماء بجرأة وحدة فتمالأ البعض على بغضه وعملوا الى تضليله فناصبه العامة العداء وأبعده الملوك ترضية لهم فاعتزل الى بادية لبلة وتوفي هناك. قيل انه صنف نحوا من 400 كتاب أشهرها «الفصل في الملل والأهواء والنحل» و «المحلى» طبع في 11 جزءا و «الاحكام لأصول الأحكام» و «ابطال القياس والرأي» و «طوق الحمامة» وغيرها. أنظر أخباره في نفح الطيب في المجلدات (1—2—3—4—7) المغرب لابن سعيد .109 .164 .354 ،405) (44/1 .45 .92 .103 الحلة السيراء (الفهرس) الاحاطة (94/1 ،209) آداب اللغة العربية لجرجي زيدان (96/3) لسان الميزان (198/4) الذخيرة لابن بسام طبعة القاهرة، (1358—1364 هـ) بغية الملتمس (ترجمة رقم 1204 ص 403) وفيه ان أصله من الفرس وأول من أسلم من أجداده يدعى يزيد، وكان مولى ليزيد بن أبي سفيان، وفيات الاعيان (325/3—330) الجذوة للحميدي (ترجمة رقم 708)، ص 308 وما يليها) أورد اسمه فيه بتحريف علي بن سعيد متجاوز أباه، وقال ان مولده في ليلة الفطر سنة 384 هـ، طبقات صاعد، (ص 86) المطمح (ص 45) المعجب للمراكشي، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 (ص 30) تذكرة الحفاظ (ترجمة 1146) عبر الذهبي (235/3) تاريخ الحكماء (ص 156) شذرات الذهب (2993) مجلة المقتبس (2/1 .96) كتاب معجم الفرق والمذاهب الاسلامية (مادة ابن حزم) والمراجع الأجنبية التي أحيل اليها، الصلة لابن بشكوال (رقم 888).

فيه يكلف بالشعر ويرتاح للثناء فيستدعي المديح من شعراء زمانه وفيهم يومئذ كثرة وبعضهم بحال ستر وصيانة لا يحتاجون في حفظهم الى الاقتراب من رب الدولة فلا يخلو من إهداء الشعراء أشعارهم اليه عند ما يحدثه الله لديه من فرحة وترحة، على علم منهم بنزارة عطائه فيرتاح اليها، ويصلهم بما قد عودهم عليه فيربح عليهم بما يحرزه من بارع أقوال صواغهم في مديحه، مما يضاهي قدره ويخلد ذكره، فهاتيك أماديحهم لجودتها بأفواه الرواة سائرة، وكانت في عدتهم تعميده كثرة سدا(؟) عدها باسم زعيمهم وسابق حلبتهم الفحل الخنذيذ والصانع المجيد أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، وقد مدح أباه الأمير محمداً أول ما مدح من الخلفاء لأول نبوغه، فشعره قليل فيه. أول ما قال في المديح والأوصاف والثناء بأخيه المنذر بن محمد، وقد انطلق مرح العنان فأجاد المديح وتصرف في الافتنان، وثلث بالأمير عبد الله، وقد تنقحت أشعاره وانقادت له بدائع معانيه وغرائب اختراعاته فجاء بالأدب في صناعته واستأخر الى أيام الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن، ففيها استفرغ القول واستنزف الحمد وبذ الفحول المصاعب، فعلا ذكره واستطار بارق شعره، وكان ابن عبد ربه(104) اطلس فكان محمد بن يحيى القلفاط يلقبه طلاس ويذكره بذلك في شعره، وقد كان الذي بينهما صالحا ففسد بأسباب المزاح، فانقلب عداوة صريحة، وكان السبب في ذلك أنهما تماشيا يوما في الطريق فنظر القلفاط الى ابن عبد ربه يدرم مشيته فاتحا بين ساقيه فقال له : لا أظنك ادريا يا أبا عمر ؟ فقال له : كذبتك عرسك، يا أبا عبد الله، فأغضبه وسرى الشر بينهما، فسبق القلفاط الى هَجْوِه، فقال في ذلك قصيدته المفحشة التي أولها :

(104) أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم، أبو عمر : الأديب الامام وصاحب العقد الفريد، من أهل قرطبة. كان ابن عبد ربه شاعرا كبيرا، ولكنه غلب عليه الاشتغال بأخبار الأدباء وجمعها. كان من الشعراء الذين أثروا بأدبهم حيث كان يتمتع بشهرة عارمة. انظر : بغية الضبي (137) والتكملة، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وفيات الأعيان (110 — 112) وكتاب جبرائيل سليمان جبور اللبناني : «ابن عبد ربه وعقدته» والبداية والنهاية (193/11) ومقالة بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية (223/1) ويتيمة الدهر (360/1). ومعجم الأدباء (211/4) وبغية الوعاة (ص 161).

يا عرس احمد اني مزمع سفرا فودّعيني سرا من أبي عمرا

فاهتاج الشر بينهما، وكان القلفاط في الهجاء أمس طريقا من ابن عبد ربه. وذكر بعض الأدباء أن ابن عبد ربه والقلفاط اجتمعا [يوما] عند بعض الوزراء أيام تفاسدا وتهاجيا، فقال الوزير للقلفاط : كيف حالك اليوم يا أبا عبد الله مع أبي عمر، فقال القلفاط بديهة :

حال طلاس لي عن رائه وكنت في تعدد أبنائه

فتأتى لابن عبد ربه أن أجابه مسرعا فقال :

إن كنت في تعدد أبنائه فقد سقى أمك من مائه

فقطعه ابن عبد ربه، فعجب الوزير من قوة بديهته وقال : غنيمة الكلام بعد سلامة الجواب. وكان القلفاط يقول في كتاب العقد [الفريد] تأليف ابن عبد ربه الذي كان يزهى بنظمه، «ذلك عقد الثوم، لا عقد الدر»، وأخبارهما كثيرة.

ومن أحسن ما امتدح به ابن عبد ربه الأمير عبد الله بن محمد لأول جلوسه في الخلافة قوله في قصيدة له مفضلة أولها :

أرقت وقلبي عنك ليس يفيق وأسعدت أعدائي وأنت صديق
وصد الخيال الواصلي منك في الكرى يصدك عني فالفؤاد مشوق
تعلم منك الهجر لما هجرته فليس له في مقلتي طريق
وتأبى عليّ الصبر نفسٌ كئيبة وقلب بألطاف الهموم رفيق
سهاد ودمع بالهموم توكلا فذا موثق فيها وذاك طليق
رشا لو رآه البدر يشرق وجهه لا ظلم وجه البدر وهو شريق
دقيق فرند الحسن اما وشاحه فيفهو واما حجله فيضيق
بغصّ زمان الوصل لما تطلّعت لوامع في رأسي لهن بريق
سلام على عهد الشباب الذي مضى إذ العيش غض والزمان أنيق
وإذ لبنات الخِدْرَ منّي تطلّع كما لمعت بين الغمام بروق

غياطل كالآرام اما وجوهها بُدُور(105) ولكن الخدود عقيق
سفرن قناع الحسن عنها فأشرقت مصابيح أبواب السماء تروق
أشبه تعاج الرمل هل من بقية ولو سبب من وصلكنّ دقيق
لقد بتُّ حبلَ الوصل وهو وثيق حسام من الهجران ليس يليق
فلا نيل إلا ان اخالس لحظة ولا وصل إلا ان ينم شهيق
وان تبسطُ الآمال في ساحة العلى رجاء يداوي الشوق وهو يشوق
وإني لأبدي للوشاة تبسما وانسان عيني في الدموع غريق

أطال النسيب ثم خرج إلى المدح فقال :

ولي قولة في الناس لا أبتغي بها من الناس إلا أن يقال صديق
ألا تشكرون الله إذ قام فيكم إمامُ هدى في المكرمات عريق
واحكم حكم الله بين عباده لسان بآيات الكتاب طليق
خلافة عبد الله حج على الورى فلا رفث في عصرها وفسوقُ
إمام هدى أحيا لنا مهجة الهدى وقد جشأت للموت فهي تفوق
حقيق بما نالت يداه من العلى وما نالنا منها به فحقيق
يدبر ملك المغربين وإنه بتدبير ملك المشرقين خليق
تجلت رياح الخيف عن نور عدله كما در في جنح الظلام شروق
وثقف سهم الدين بالعدل والتقى فهذا له نصل وذلك فوق
واعلن أسباب الهدى بضميره فليس له إلا بهن علوق
وما عاقه عنها عوائق ملكه وأمثاله عن مثلهن تعوق
إذا فتحت جنات عدن وأزلفت فأنت بها للأنبياء رفيق

وهي طويلة بعيدة جدا واحسانه فيها سائر مشهور.

قال : وكان المصلي حلبة الشعراء أيام الأمير عبد الله [و] بعد أحمد بن عبد ربه

(105) وردت في العقد الفريد (116/6) كما يلي :
عطبل كالآرام اما وجوهها درّ ولكن الخدود عقيق

[جاء] عبيد الله بن يحيى بن ادريس[106] الخالدي، ابن أحد بيوتات الشرف المولد، في هذه الدولة المروانية، وكان من سراة الناس وأدبائهم وعلمائهم، مال بطبعه الى صوغ القريض فأبدع فيه جدا وجارى ابن عبد ربه، فلم يبعد عن تجويده، وكان يعارضه كثيرا في إحسان قصائده ولا يقصّر عن مداه. وأول اشتهارة بالشعر كان في دولة الأمير عبد الله، وأول مديحه ففيه، ثم امتد به طول الحياة بعده، فمدح ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد، وابنه الحكم بن عبد الرحمن، فعلت طبقته وبعد صيته وكثرت غرر شعره، وانبعث الشعر منه وهو حدث السن فبانت براعته وكان غزير القول تواتيه القوافي وتنقاد له الأعاريض فشعره كثير وإحسانه مشهور. ومنهم :

عبيديس بن محمود[107] الكاتب الشاعر :

وكان من جملة كتاب القصر وله أدب غزير وطبع معين مال به الى قول محكم له بالتجويد وخرج من قرطبة الى عبد الله بن أميه المعروف بابن الشالية الثائر برومته من جيان فاستكتبه عبد الله بن أميه استخصه فكتب له وامتدحه بشعر كثير وقد كان مطبوعا يسهل القول عليه ومكانهما معلوم وكلامهما مخزون.

---

(106) ترجم له الحميدي في الجذوة (ترجمة رقم 767—251/1) وقال انه من أهل قرطبة يكنى أبا عثمان (بسبب عدم الخلط بينه وبين سميه عبيد الله بن يحيى الليثي عبيد الله بن يحيى الليثي) أخذ العلم عن عبيد الله بن يحيى وأسلم بن عبد العزيز وغيرهما، وقال عنه الحميدي انه كان «متفننا في ضروب العلم، وكان الشعر أشهر أدواته لم يتقدمه في أحد في وقته، مع معرفته بالآثار وجمعه السنن وحفظه للغريب والمثل»وترجم له الضبي ترجمة مختصرة في بغية الملتمس (ترجمة رقم 974 ص 342—343) وقال : هو عبيد الله بن يحيى بن ادريس الوزير، أبو عثمان كان وافر الأدب كثير الشعر. كان مع علمه ومع خطورة المناصب التي كان يشغلها (كان صاحب الشرطة ثم وزيرا) متواضعا شريفا فكان، وهو وزير يؤذن بنفسه في مسجده. توفي انسلاخ ذي القعدة سنة 352 هـ. انظر كذلك القطعة التي حققها محمود علي مكي من المقتبس طبع دار الكتاب العربي بيروت (ص 72، 3، 6، 16، 28، 46 والتعليق (رقم 17 ص 415). كان عبيد الله واليا على طرطوشة، اعمال الثغر الأعلى ويبدو مما ذكره ابن عذاري أنه استمر على شغل هذا المنصب حتى سنة 347 هـ. على الأقل. انظر كذلك البيان (92/2). يرد اسمه فيه بتحريف عبد الله بن يحيى.

(107) انظر ترجمته أعلاه.

اسماعيل بن بدر[108].

كان نجومه في دولة الأمير عبد الله واشتهاره واستحاره في أيام ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد، فغرره مشهورة وطبقته عالية ومنهم من أعلام قريش من أهل بيت الخلافة الشريف المشهورة معرفته بلقبه واسمه :

المنذر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المنذر بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم. كان من أهل العلم البارع والفهم الثاقب والقيام على العربية والتصرف في قول الشعر خلا ان طبعه مال به منه الى فن الهزل والاغراب في ذكر ما لم يسبق اليه فلفلح في ذلك وغرق، فإذا جد أحكم واعتدل، وهو القائل :

لئن كرمت فروعك من قريش — لقد خبثت فروعك من نزار
فنصفك كامل من كل مجد — ونصفك كامل من كل عار

ومنهم : **مالك بن محمد بن مالك بن عبد الله بن عبد المالك بن عمر بن مروان بن الحكم المعروف بالعرواني :**

كان من ملأ أهل الأدب في زمانه ومن أجلّ قريش في نصابه. كان من الشعراء المفلقين المطبوعين وممن عني [زيادة] على ذلك بطلب العلم ورواية الحديث وتفنّن في ضروب الأدب وحفظ النحو واللغة، فكان له من براعة الاملاء وبلاغة الترسيل حظ وافر وتصرف في أعمال السلطان الرفيعة وحملت عنه أشعار بديعة. ومنهم :

---

(108) ترجم له ابن الأبار في الحلة (ترجمة رقم 98—254/1) باسم اسماعيل بن بدر بن اسماعيل بن زيادة، أبو بكر، وقال انه كان مولى نعمة لبني أمية، وولى اشبيلية للناصر بن عبد الرحمن بن محمد، وكان أثيرا لديه ومادحا له، وعاش الى أول دولة ابنه الحكم. سمع اسماعيل الحديث من بقي ابن مخلد والخشني وغيرهما، وخصص له ابن الفرضي ترجمة في تاريخ علماء الأندلس (الترجمة رقم 216—66/1) وأضف الى ما تقدم ان «صناعة الشعر غلبت عليه وطارت باسمه وكان به العمى... ولي "حكام السوق فحمد أمره فيها». ووصفه الحميدي في الجذوة (الترجمة رقم 300—163/1) «بانه شاعر أديب مشهور» أورد له نموذجا من شعره، وترجم له الضبي في بغية الملتمس بنفس العبارات المتقدمة (الترجمة رقم 545 ص 215). وذكر ابن عذاري في البيان (159/2) ان عبد الرحمن الناصر ولى اسماعيل بن بدر كتابته الخاصة. توفي اسماعيل بن بدر في أول ولاية المستنصر بالله سنة 351 هـ.

محمد وعمر :

ابنا ابراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية بن المنذر القريشي المعروفان بابني المصنوع. كانا من أهل الأدب الرصين والشعر المطبوع، استأخر محمد منهما حتى لحق ورود أبي علي[109] القالي إلى الأندلس، فأخذ منه واستكثر واستوسع واستخفر وغلب عليه من فنون جمعه علم اللغة ففاق فيها زمانه.

ومنهم : صفوان القرشيان :

أبو بكر أحمد بن عثمان بن أبي صفوان وأخوه. كانا أديبين شاعرين لهما عند الرواة نوادر جمة.

وهذه جملة من أسماء من أحصاه [العد] [ومنهم]

مقدم بن معافي القبْري :

كان مطبوعا سلس المقادة حسن الديباجة إلا أنه كان يخل بمعانيه بعض الاخلال.

ومنهم، وفي عدادهم ممن كان يصرف القول ويستخبر في المعنى ويجيد في كل ما يتناوله من القريض :

(109) اسماعيل بن القاسم بن عيذون (288—356 هـ) أبو علي القالي اللغوي، جده سلمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي : ترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان (226/1—228) ووصفه بأنه احفظ أهل زمانه للغة الشعر ونحو البصريين. نشأ في منازل جرد على الفرات الشرقي ورحل الى العراق فعلم في بغداد، ثم رحل الى الأندلس (سنة 328 هـ) واستوطنها وقربه الحكم بن المستنصر الذي قيل انه هو الذي رغبه في الوفود عليه، ومثل بتشجعه على التأليف بواسع العطاء. وقد مات أبو علي في كتبه بقرطبة. أهم كتبه، هو كتاب الأمالي «(طبع) و «الأشعار والأخبار»، وله أيضا «البارع» و «المقصور والممدود» و «الأمثال» وهو مرتب على حروف المعجم. والقالي نسبة الى قاليقلا، من أعمال ديار بكر. انظر سيرته وأخباره في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (164/1) وفيه قائمة لشيوخه ولمن أخذوا عنه وفي مقدمتهم أبو بكر الزبيدي النحوي (انظر أعلاه)، نفح الطيب (في عدة مواضع وخصوصا في الأجزاء (1—2—3—4—6) جذوة المقتبس (ص 154) انباه الرواة (204/1) بغية الملتمس (الترجمة رقم 547 ص 216) المغرب لابن سعيد (186/1، 217) الاحاطة (183/1—184) ورد اسمه فيه أبو علي البغدادي، بغية الوعاة للسيوطي (ص 198) معجم الأدباء (25/7) وفي فهرست ابن خير ثبت بـ395 من الكتب التي أدخلها الى الأندلس.

أحمد بن قريض بن قلزم :

وكان ملحقا في الديوان، فكان الغزو يلحقه فيحمل القائد أحمد بن محمد بن أبي عبدة كل السفر عنه، ويقوم بمؤنته ذاهبا وجائيا ويحسن اليه فيحسن أحمد بن ابراهيم مدحه ويكثر القول فيه حتى لا لف الغزو بعد نفاره عنه وشكواه ثقله، فأشعاره في ذلك مشهورة. ومنهم :

قاسم بن عبد الواحد العجلي :

كان متفنّنا في العلوم مع براعته في الشعر، وله رحلة حج فيها ولقي [خلالها] جماعة من أهل النظر فاستبحر. ومن قوله في الرقيق :

استحيت الأغصان من قده ... وحار ماء الحسن في خده
والمسك يستحييه من طيبه ... لطيب ما يرشح من جلده
اني لمشتاق الى ريقه ... طوبى لمن لم يشرب من برده

وقتل هذا العجلي غيلة فيما بين عقب سنة ثلاث وتسعين [ومائتين] وصدر سنة أربع وتسعين. بعدها خفي خبر مقتله ومن دهاه حتى وجد بعد أيام قتيلا في بيته قد تزلغ لحمه وداد، فعوجل دفنه في داره على حاله دون أن يصلى عليه، وتكلم الفقهاء يومئذ في خبره، فأفتى زعيمهم محمد بن عمران بن لبابة[110] بأن يصلى على قبره واحتج بحديث النبي ﷺ في القتيل الذي بلغه دفنه دون صلاة عليه فصلى على قبره الى أيام. ومنهم :

(110) هو محمد بن عمر بن لبابة، أبو عبد الله (ت سنة 314 هـ) القرطبي الفقيه مولى عثمان بن عبيد الله بن عثمان، كان مقدما بين أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتوى وكان مقدما لدى الأمير عبد الله ومشاورا له وقد انفرد بالفتيا أول أيام الناصر لدين الله، ولكنه كان ينقصه العلم بالحديث والرواية. انظر أخباره في النفح (وخصوصا في الأجزاء 1—2—3) تاريخ ابن الفرضي (الترجمة 1189 ص : 34) المغرب لابن سعيد (154/1—155) وفيات الأعيان (145/6) الحلة السيراء (274/1).

سعيد بن عبد ربه[111] :

الأديب المتطبب ابن أخي أبي عمر الشاعر، وكان يضرب في صوغ الشعر بنصيب وافر وكان مطبوعا، ومن قوله :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق ... وبعد اتساعي في مواهب خالقي
ومن بعد اشراقيَّ في ملكوته ... أرى طالبا رزقي الى غير رازقي

ومنهم[112] :

إسحق بن اسماعيل المعروف بالمنادي :

قيل إنما سمي المنادي وهو أول ما صحح :

قف بالطلول الدارسات فنادى ... أين الظباء السالبات فؤادي

ومنهم :

سعيد بن عبد القط وأخوه :

وكانا بليغين بالقلم واللسان وشاعرين مستحسنين، ومن الشعراء المعلمين المتقدمين في صوغ الشعر، مع علم اللسان والبصر بالعربية، والحفظ للغة، والاقتدار على قرض الأشعار والتصرف في فنونها والامضاض بأهاجيها :

محمد بن يحيى [الملقب بالقلفاط][113] المغربي... المعلمين وإيثاره... [و] محمد بن اسماعيل المؤدب [وكانا] يتنازعان الأشعار. وأخباره وأشعاره حسنة وقد مدح الأمير عبد الله وكثيرا من أمراء الفتنة.

ومنهم :

(111) سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه، أبو عثمان : طبيب شاعر أندلسي وهو ابن أخي صاحب العقد الفريد. عمي في أواخر حياته. انظر ترجمته في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة (ص : 489). وصفه بأنه طبيبا فاضلا وشاعرا محسنا، وله في الطب رجز جليل) توفي نحو سنة 340 هجرية.

(112) انظر خبر مقتله في العقد الفريد (131/2) وفيه أنه لما دخل الرسول برأسه على علي بن يحيى المتوكل، قام علي بن الجهم يخطر بين يدي المتوكل ويقول : أهلا وسهلا بك من رسول : جئت بما يشفي الغليل برأس اسحاق بن اسماعيل.

(113) انظر أعلاه.

زيد بن مسعود بن سليمن الحجوي المعروف بزيد البارد :

وكان متصرفا في العلوم، أديبا جامعا شاعرا مطبوعا، جامعا للدواوين، حسن النقل، مقيدا للكتب على أمثاله احتذى صاحبيه أحمد بن بشير بن الأغبس ومحمد بن أرقم وكان حسن الضبط للغة والعناية بها واستأدبه الوزير أبو عثمن عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة[114] لولديه جهور بن عبيد الله، ومن مستحسن شعره :

فررت بنفسي من وصال الى هجري ... وقد لاح لي بعض الملالة من أمري
وقلت بقاء الحب خير مغبة ... وأرجى لعودات الوصال مع الدهر
فلا خير فيمن باع آجل أمره ... وما يرتجى من ذاك بالعاجل النزر
فيا قمرا بل شمس دجن إذا بدا ... وبل هو فينا ثالث الشمس والبدر
أجرني من الوجد الذي لو علمته ... لخلت بأن النار تقدح في صدري
وصن حلتي عن أن تذال وانني ... اداري عليها الكاشحين وما تدري

ومنهم :

غفير بن مسعود :

وكان شاعرا محسنا متصرفا في أنواع الأدب راوية لشعر عباس بن ناصح، حسن القيام به.

ومنهم من جلة الموالي أصحاب السلطان عبد الملك بن جهور الوزير وعبد الملك بن عمر بن شهيد الوزير، وكلاهما شاعر محسن وأديب بارع. ولابن جهور منهما الشفوف على صاحبه بغزارة قوله وندارة بدائعه، وإنما ظهرت واستبرعت في أيام الخليفة الناصر لدين الله فنوادرهما معا كثيرا سائرة. ومن نمطهما في ولاية السلطان وصحبته :

محمد بن عبد السلام المعروف بابن قلمون :

كان غزير القول يغترف من بحر ويتقدم في نوعي الكلام من النظم والنثر، على

(114) انظر الحلة السيراء لابن الأبار (230/1 ـ 231).

أن النظم غلب عليه فكان له في الترسيل شأو ومدد صار به أحد المرسلين البلغاء بالأندلس مع تحققه بالبيان وطبعه في البلاغة. ومن نمطه في االشعر والترسيل :

عمر واحمد ابنا فرج :

حفظا من مشاهير الشعراء وتحارير الأدباء الذين والوا امتداح الأمير عبد الله وتحروا مسرته وأخذوا جوائزه الى عدة سواهم أعرضنا عنهم من المتنابين بحضرته ومن المنحطين عن الدخول من أصاغر طبقتهم لتخلفهم عن مداهم [و] قد أتينا بذكر من سنح لنا منهم إتماما لفائدة الباب الذي أدّانا الى ذكرهم فختمنا به الأبواب المفردة من منشور أخبار الأمير عبد الله، فلنأخذ الآن في اجتلاب ما انتهى إلينا من الأحداث الجارية في دولته وتقييدها بالتاريخ على نسق سنيها، حسبما علمناه فيما قبله وبالله المعونة عليه.

ابتداء نسق تاريخ سني خلافة الأمير عبد الله على تواليها واختلاف الحوادث الجارية فيها بقية سنة خمس وسبعين ومائتين :

ذكر عمر بن حفصون[115]:

قال عيسى بن أحمد الرازي : كان أول ما نظر فيه الأمير عبد الله من أمور سلطانه عند استواء الأمر له وقعوده على سرير ملكه أمر الخبيث عمر بن حفصون، أهم الأمور عليه وأعمها اذى لرعيته، فابتدأ بالحيل مغالطا له في سوء اعتقاده ومؤكدا للحجة عليه، فأرسل اليه ابراهيم بن خمير رسولا لأخذ بيعته وبيعة من قبله فاقتضاها منه فيما خاله سهله رسله واشخص معه ابنه حفص بن عمر في قوم من وجوه رجاله الى باب الأمير عبد الله، فأنزل الأمير عبد الله [حفصا أفضل منازل الوفود وكرّم مثواه ووصله ووصل أصحابه على مقاديرهم، وصرفه وصرف جميعهم مكرّمين الى عمر وولّى الامير عبد الله عمر] بن حفصون كورة ريّة أشرك معه عبد الوهاب بن عبد الرؤوف،

(115) انظر أعلاه (ص 20 هامش 1).

أخرجه عاملا من قبله فأظهر عمر قبوله واستمسك بالطاعة شهورا أنفذ فيها أمر الأمير عبد الله وهو ينافقه ثم لم يبعد أن عاد الى غية فانتقض وانتكث وكشف بالمعصية وجهه وبسط الى الرعية بكل جهة، وامتد إلى أهل الأموال فلم يدع مالا قدر عليه عند من ظن به وسارع في الغارات وقطع السبيل فعمت معرّته كورة ريّة والكور المجاورة لها وأضرم في البلاد سعيرا وأخرج حفص بن المرة[116] قائده الشديد التمرد واللعنة في خيل له غليظة، الى نواحي استجة[117] وأشونة[118] وما يليها من عمل قرطبة فشمل أهلها والسابلة فيها مباية وذكرهم بإخافته، وضج الناس الى الامير عبد الله من بليته فأخرج الامير عبد الله نحو اللعين حفص، القائد، عبد الملك بن مسلمة الباجي في جيش كثيف كيما يكشفه عن تلك الناحية ويؤنس أهلها، فانتقيا بمكان من كورة استجة بين حيزها وحيز أشونة ووقعت بينهما حرب صعبة ظهر فيها حفص على أصحاب الأمير فهزمهم وقتل عبد الملك بن مسلمة فاستفحل عند ذلك شر عمر بن حفصون وقويت أطماعه في هدم سلطان الجماعة، فكاشفه وترك البقية وطرد عامله عبد الوهاب بن عبد الرءوف عن كورة ريّة وتفرد بضبطها ومد يده الى ما فيها من حصون الطاعة ففتحها حصنا حصناً، فالتاث أمر الكورة وما جاورها جدا واشرأبّت نفوس الناس الى فتنة وتفاقم هذا الوقت ما بين العرب والمولدين والعجمة واستعملوا العصبية وتميزت أحزابهم بعضهم الى بعض بكل جهة فعادوا إلى الجاهلية وتسافكوا الدماء، ودانوا بالاستباحة، وتحزبت المسألة مع المولدين، وتميزت إليهم نصارى الذمة فصار جميعهم إلباً على العرب، قائمين بدعوة عمر بن حفصون، إمام تلك النحلة، فاضطرمت كور الأندلس كلها عما قليل بفتنة نار وتأججت سعيرا[119] حاشى الثغور، فإن أهلها تحاموا هذه النحلة ومضوا وأكثرهم على طاعة السلطان مدة، فيها سار عبيد الله محمد، عامل جيان إلى عبد الله بن خنجر، وهو مخالف على السلطان بحصن جريشة من جيان ساع بالفساد في الأرض،

(116) انظر الحلة السيراء (155/1)، والاحاطة لابن الخطيب (279/3).

(117) Ecija : بلدة متوسطة تقع على ضفة نهر شنيل، فرع الوادي الكبير، في جنوب غربي قرطبة. انظر وصفها في جزيرة (ص 14—15).

(118) Osona : بلدة تقع في جنوب شرقي اشبيلية وهي من كور استجة؛ وصفها ابن عبد المنعم بأنها حصن ممدن كثير السكان (نفس المصادر (ص 23) وهي تقع غير بعيد من مدينة مورور.

(119) انظر الحلة السيراء (146/1- 147).

فنزل عليه بمن كان من رجال السلطان وحاصره واخذا بكظمه الى أن وافاه كتاب الأمير عبد الله بالقفول عنه إلى حصن أرجونه[120] الأهم عليه وتجد له بناة، وبنا حصن أندروش، بقربه [وقام بـ] تحصينهما وضم الرعية الى سكانهما فلما انصرف ابن أبي عبدة عن ابن خنجر طمع فيه فحشد عليه البراجلة[121] والاسناد، معهم رئيساهم نابل والشميس، فخرج بهم نحوه وأقبل إليهم ابن برطيل من جهة تدمير ممددا لهم فاعترضوا عبيد الله بن أبي عبدة، بجبل افركلس ومعه فرسان هرتونه، فيهم محمد بن إسماعيل وأخوه ثواب فنزلت الحرب بينهم ونصر ابن أبي عبدة، فهزم ابن خنجر واصحابه وقتل منهم خمسة وسبعين رجلا واعتصم فلهم منه بالجبل بما كان منه واعتلى في الناس ذكره.

الفتنة :

وفيما انقضت كورة شذونة على السلطان وصار أهلها الى الخلعان، فاتصلت فتنتها بكورة الجزيرة وريّة ولبلة واضطرمت البلاد نارا، وازداد السلطان عجزا لاتساع الفتون عليه، وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية، فاطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلواا لحرمات وتخلقوا [بـ] أخلاق الجاهلية، واتخذوا الحصون والمعاقل المنيعة وارتقوا اليها واذلوا البسائط.

وفيمًا امتد الفاسق عمر بن حفصون الى حصن بني خالد المسمّى الفنتين فنازله، وقصد استباحة آل خالد ليكهم (كذا) الطاعة فاستجمعوا لدفاعه واستمدوا بزعيمهم جعد بن عبد الغافر، عامل السلطان بكورة البيرة، فجاءهم بنفسه فيمن معه، فاشتدت ظهورهم معه وقووا على مدافعة عمر وشدوا قتاله فانحاز عنهم بنوا وصبر ذلك على وجه المصالحة فلما تولى الخبيث عنهم بنوا ثلمة من حائط حصنهم وأمنعوا تحصين قصبته وأقاموا فيه أعزة.

(120) ضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون وجيم مضمومة، وقال انه بلد من ناحية جيان بالأندلس ونسب اليها شعيب بن سهيل الأرجوني. المعجم (144/1). وقال صاحب الروض المعطار انها مدينة وقلعة بالأندلس، ونسب اليها السلطان محمد ابن يوسف الأرجوني، من بني الأحمر. صفة الأندلس (رقم 6 ص 12) وأرجونة التي تسمى بالاسبانية Aragona تقع في جنوب غربي أندوجر، على مقربة من نهر الوادي الكبير ذكرها كل من ابن الخطيب في الاحاطة والمقري في النفح في عدة مواضيع.

(121) عدة حصون كانت تقع في جبال البشرات التي ترتفع في جنوب غرناطة والبراجلة بصفةً عامة، مجموعة من أقاليم كورة البيرة يسمّى كل منها برجالة، مثل برجلة اندبقه وبرجلة أبي جرير. الخ...

وفيها استدعى أهل طرطوشة[122] قاصية الثغر الأعلى، منقطع دعوة الاسلام بالأندلس من الأمير عبد الله عاملا ينفذه اليهم فاستعمل عليهم عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلام من بني عبد السلام ممن أهل البيرة في شعبان من هذه السنة ونفذ اليهم.

وفيها أيضاًاستدعي عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي[123] صاحب بطليوس من الامير عبد الله تجديدا للاسجال له على ما بيده منها ومن ذواتها، وذكر استمساكه بالطاعة بإجابة الى سؤاله، وجدد له الاسجال له على ما في يده فأقام على سكونه.

وفيها أيضا خاطب البحريون الذين اختطوا مدينة بجّانة[124] بالساحل القبلي واتخذوها قاعدة لهم وفرضة لأهل العدوة من تلقائهم، عملوا ذلك آخر أيام الأمير محمد والده، وتزيد عملهم في تمهيدها من بعده، فكتبوا الى الامير عبد الله عند جلوسه في الخلافة بعد يسألونه إقرار اليهم عليهم واعفائهم من غيرهم، وإباحتهم البنيان حوالي قصبتهم بجّانة والتوسع في أغراضها لتكاثر الناس عندهم، فاجابهم الى ما سألوه من ذلك فاوسعوا الاختطاط بأرض بجّانة صدر خلافة عبد الله، حتى اتخذوا بها عشرين حصنا، مثل وادي بجّانة والحامة[125] والخابية وبرشانة[126] وعاليه وبني

(122) Tortosa من مدن الأندلس القديمة ومن قواعد الثغر الأعلى. تقع على ضفة نهر أبرو جنوب غربي إشبيلية، وهي في سفح جبل. قال ابن عبد المنعم الحميري انه «كان لها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياع، وقلعة، وإنشاء للمراكب الكبار من خشب جبالها، وجبالها الصنوبر الذي لا يوجد له نظير. صفة الأندلس (رقم 115 ص : 124ـ125).

(123) انظر أعلاه.

(124) Pechina : بلدة تقع على نهر أندرش، على مقربة من المرية في شمال شرقيهما كانت في الماضي من أهم قرى ارش اليمن.

(125) كذا ورد في الأصل والأولى قراءة الحمة التي يذكرها ابن الخطيب باسم «حمة بجانة» في الاحاطة (162/2) ويعرو ابن الابار الحلة (157/1) محمد بن اضحى الهمداني الهاوي صفة جزيرة الأندلس ص : (38 ـ 39) انه يوجد قرب بجانة مكانان يسمى كلاهما حمة أحدهما حوالي المدينة، والآخر في شرقيها، وفي كلتا الحمتين مياه معدنية يستشفى بها ولكن الجوفية منهما أغزر ماء من الشرقية «وأنجع للأسقام وأصلح للأبدان». وأما حصن الحماية (Alhama) الذي ذكره كل من ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص 60) والمقري في النفح (88/5) فهو يقع في عمل جليقة.

(126) Purchena: بلدة تقع على نهر المنصورة غربي مدينة المنصورة وشمالي نهر المرية، وصف ابن عبد المنعم الحميري حصن برشانة بأنه يقع على مجتمع نهرين، وهو من أمنع الحصون.

طارق وحصن ناشر وغيرها، حموها وواطنوها هم ومن نزل بهم وجاءهم الناس من كل جانب فأمنوا عندهم وأكثروا ببلادهم.

وفيها عزل الأمير عبد الله عبد الرحمن بن امية بن عيسى بن شهيد المعروف بدحيم عن خطة الحجابة وولاها سعيد بن محمد بن السليم مع الوزارة، عزل حفصا عن الوزارة والمدينة، وولى مكانه محمد بن وليد بن غانم سنة ست وسبعين ومائتين[127].

وفيها عزل الأمير عبد الله، عبد الله بن الأصبغ عن خطة السوق وولى مكانه الفقيه أبا صالح أيوب بن سليمن وكانت لقبوله ولايتها قصة مذكورة.

وفيها غزا بالصائفة الأمير عبد الله نفسه غزاته الأولى إلى الحصون التي انقلبت عنه إلى عمر بن حفصون، وكان القائد لها معه عبد الملك بن عبد الله بن أمية، فاستقرى تلك الحصون وانتهى الى حصن ببشتر، قاعدة الفاسق عمر بن حفصون، فأفسد ما حوله من الغلات والثمار وشحن الحصون التي عادت الى الطاعة، بالرجال وخلف بحاضرة ريّة[128] محمد بن دنين قائدا على من وضعه فيها من الحشم وكان ابن دنين هذا فارسا من فرسان العرب، مقدما في وجوههم. وجال الأمير في تلك الناحية مجاله ثم قفل الى قرطبة فوصل الى قصر الخلافة بعد نيف وأربعين يوما، فلم يكد

(127) انظر الحلة السيراء (1/124—162 و 2/374).

(128) وتكتب أيضا ريّة وهو الأصح كما عند صاحب الروض المعطار. أوردها ابن حوقل باسم ريو. ويقال ان أصل إسمها مشتق من كلمة (Regio) أي إقليم. وهو اسم أكورة صغيرة تمتد جنوب الوادي الكبير، كانت تضم مدنا مثل أرشذونة (Archidona) ومالقة. ذكرها ابن عبد المنعم باعتبارها كورة في قبلي قرطبة، ولم يورد ما يفيد أنها مدينة. وقد ذهب دوزي الى ان إسم للأقاليم قبل حلول العرب بالأندلس كان Malacitana Regio وانه لم توجد مدينة بهذا الاسم وان الأصطخري الذي اعتبرها مدينة قد أخطأ. وأوردها الادريسي على أنها إقليم قاعدته مالقة. ولكن ابن القوطية يقول انها كورة قاعدتها ارشذونة وربة وعند ابن خلدون هي مالقة، وقد اختفت ريّة في عهد ملوك الطوائف ولم يرد ذكرها في التعليق المنتقي. راجع صفة الأندلس للرازي (ص 98—99) أبحاث دوزي (1/317—324). وصفة جزيرة الأندلس للحميري (رقم 81 ص : 79) والقارة الافريقية وجزيرة الأندلس للادريسي تحقيقا (ص 258، 298) والمغرب لابن سعيد (1/423) وفيه ذكر لكتاب «النفحة الزهرية في حلى مدينة باسم ريّة» وابن سعيد يتفق مع ابن خلدون فيقول «ان رية تعرف الآن بمالقة، وفي القديم رية». انظر كذلك معجم البلدان (3/116) الذي قال صاحبه انها كورة واسعة لكنه لم يذكر لها مدينة.

يستقر فيه حتى خرج اللعين عمر بن حفصون إثر قفوله في جيشه وعدته الى ناحية استجّة متألفا لأحزابه من أهل الخلاف، فاستألف عوسجة من أهل الخليع التاكرني وعاقده ومن معه من أهل تاكرُنا[129] وتقدم إلى حصن الصطبة[130] فأخرج عامل السلطان منه وملكه، وصار الى حصن أشونة فصار في قصبته أيضا واستدعاه عند ذلك أهل استجّة الهاوون اليه فأدخلوه فيها وخالفوا السلطان، فانزعج الأمير عبد الله لفعله وأخرج اليه عند ذلك عمّه المنذر بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم[131] بالجيش. فلما صار المنذر بمحله شوش وافي كتاب المارق عمر بن حفصون الى الأمير عبد الله يعتذر [فيه] مما فعله ويختلق عذرا فيم أوجبه ويلوذ بصفحه وينوي [القيام] بطاعته ويسأله إجداد تأمينه والعقد له على ما في يده. أرسل اليه بذلك رجلين من قريش أصابهما باستجة فاستمسك الأمير برأيه في الدفع بالتي هي أحسن فقارب عمر وأجابـ[ـه] الى مراده وعقد له بعد ان خرج اليه ابراهيم بن حمير المنتوري عليه أمينا قرره على ما التزمه واقتضى ايمانه، وصرف عنه الأمير عبد الله عمه المنذر بالجيش الناهض نحوه لانعقاد هذا الأمان له، وولاه الأمير في هذا الوقت كورة ريّة، وهي ولاية عمر الثانية، وعزل عنه الحصون المنضوية الى العرب منذ بدت الفتنة، واستقامت أحواله مدة، وهو في ذلك مصرّ على إلغائه مستشعر الوثبة.

(129) أوردها ياقوت في معجم البلدان برسم تاكرني بتحريف وضبطها بفتح الكاف وكسره نقل عن السمعاني بضمها وتشديد النون وقال هو الصحيح. المعجم (2/6—7) وضبط الكاف أيضا ضبطه ابن سعيد في المغرب (1/330) وذكر بعض ما كتب عنها «كتاب المعني في حلى مدينة تاكرنا» وقال انها كانت كورة ثم خربت. وكلمة تاكرنا منتقلة حسنة وهي اسم القبيلة بربرية والاسم بربري يوجد ما يماثله في المغرب ومنه تكرونة في تونس والتاء علامة التأنيث في البربرية، ولكن دوزي ذهب الى أنها هنا حرف إشارة وهو مخالف للصواب. وذكرها عبد المنعم الحميري في صفة جزيرة الأندلس (رقم 63 ص 62) وقال انها تقع بقرية من أستجة، وهي مدينة أزلية تنسب اليها الكورة ولكنه صحح نفسه بعد ذلك وقال انها اقليم من أقاليم استجة قاعدته رندة، وهو الصحيح، وقد كانت تاكرنا مما استولى عليه أبو نور بن أبي قرة اليفرني في بداية ما يعرف باسم (فتنة البربر) انظر الاعلام لابن الخطيب. طبعة ليفي بروفنسال (ص 238) ينسب الى تاكرنا عدد من الأعلام منهم الشاعر أبو الروح عيسى بن عبد الله التاكرني الذي ترجم له المقري في النفح (2/606—607).

(130) ذكر ابن عبد المنعم الحميري اصطبة في صفة الأندلس (رقم 18 ص : 23) وقال انها مدينة تقع على 25 من قلشانة، ومنها الى قرطبة أربعة أيام، ومن الأميال مائة ميل وعشرة أميال. واصطبة تكتب أيضا استبة وتسمى بالاسبانية Estepa

(131) انظر عن المنذر بن عبد الرحمن جمهرة الأنساب لابن حزم (ص 98) نفح الطيب (1/351).

خبر ثورة سوار بن حمدون[132] المحاربي القيسي في العرب بكورة البيرة واشتعال الفتنة فيما بينهم وبين العجم المولدين

قال عيسى بن احمد (الرازي) : وفي صدر هذه السنة ثار سوّار بن حمدون القيسي بناحية البراجلة من كورة البيرة وقد انضوت اليه بيوتات العرب من كورة البيرة وجيان وريّة وغيرها، عندها تميزت الأحزاب بالعصبية وشبّوا نار الفتنة. وكان مبدأ رئاسة سوّار هذا انه كان صاحبا ليحيى بن صقالة[133] أول الخارجين بالبراجلة، بهذه الدعوة، وكان لابن صقالة استبصار شديد وحمية، فصبّ على المولدين والعجم منه ومن أصحابه آفة عظيمة. ثم انه وادع أهل حاضرة البيرة الذين [كانت] دعوتهم للمولدين والمسالمة، وعقد بينه وبينهم أمانا مؤكدا حلفوا له عليه ايمانا مغلظة توثق بها منهم واطمأن اليهم فجعل ياتي حاضرتهم فينزل فيها ويقيم الأيام، وهم يرصدون منه غرة أصابوها في بعض قدماته اليهم فثاروا عليه بغتة وقتلوه، فرأس أصحابه بعده سوّاراً هذا فاشتد به أمرهم وقام طالبا بثأر صاحبه، ابن صقالة وكان فارسا شجاعا، محاربا، فكثر أتباعه واشتدت شوكته واعتزت العرب به، فلفف جموعا وحمى ذمارها وسعى الدرك ثأرها فقصد في جمعها الى حصن منت شاقر[134] واجتمع فيه [من المولدين والنصارى أصحاب نابل والشمنس المارقين اللذين تقدم ذكرهما في] قصة عبيد الله بن محمد أبي عبيدة[135] نحوا من ستة آلاف رجل فنازلهم سوار بالعرب حتى قهرهم وأخرج نابلا رئيسهم القيّم فهمّ به وملكه، نابل قد انتزعه قبل من يحيى بن صقالة، صاحب سوّار فاسترده سوّار الى ملكه ثم دار سوّار فيمن

(132) سوّار بن حمدون بن يحيى الالبيري القيسي المحاربي (ت 277 هـ) زعيم ثائر وشاعر مجيد ثار في كورة البيرة في سنة 276 هـ. والتفت حوله بيوتات العرب لقتال المولدين والأعاجم. انظر جمهرة الانساب (ص 248) والحلة السيراء (80/1—83) والمغرب لابن سعيد (105/2).

(133) انظر الحلة السيراء (148/1) والاحاطة (83/4).

(134) Monte sacro حصن يقع على هذا الجبل الذي يطل على سهل غرناطة.

(135) انظر البيان (152/2).

معه الى حصون المسالمة والنصارى يفتحها حصنا حصنا ويقتل من يظفر به منه فيها، ويغنم أموالهم، حتى استباح حصن المار منها واستأصل جميع أهله، فقطع التوارث بينهم لانقطاع نسلهم وعظم عتوه واستكباره حتى ضجّ منه أهل قَسْطلّة[136] وهي حاضرة البيرة، ودعوا للمولدين والعجم فاحتشدوا لقتاله وعليهم يومئذ جعد بن عبد الغافر[137] من آل خالد، عامل من قبل الأمير عبد الله فاغزوه بسوّار ودعوه الى قتله وكف أذاه عن طاعتهم للسلطان، فخرج بهم في جمع عظيم برز اليهم سوّار فيمن معه وناشبهم الحرب فاعتركوا في ماقطها برهة ثم كرّ عليهم سوّار وصدقهم الحملة فانهزموا وركبهم السيف، فقتل منهم خلق حرزوا بسبعة آلاف، واسر سوّار جعدا وأطلقه فأوصله الى مأمنه، وقيل بل فادى بجعد من كان في ارتهانه من عيال سوّار، واتبع سوّار أهل الحاضرة في هزيمتهم تلك الى بابها، فهي وقيعته الأولى المعروفة بوقيعة جعد، فغلظ أمر سوّار ومن معه وانبسط بهم فاستبق حينئذ الى حصن غرناطة، بالقرب من مدينة البيرة، وكاتبه عرب النواحي الى حدود قلعة ربّاح وغيرها فساروا إلباً معه على المولدين ونكالا لهم، فارتفع من هذا الوقت ذكر سوّار وبعد صيته، وختم على قلوب أعدائه، أهل الحاضرة، وأخذ بمخنقهم فلم تهنأ لهم معه معيشة، وأخذوا في مكايدته فخاطبوا الأمير عبد الله يبثونه كربهم ويسألونه استكفاف أذاه واستمالته فراسله الأمير عبد الله يستميله ويستلطفه وأظهر الامتثال الى طاعة الأمير عبد الله، والقبول لكرامته، فكاتبه عند ذلك أهل الحاضرة من ثروة (؟) وقد اشتد خوفهم من أن يعاودهم غيب بهم فيصطلمهم، فخطبوا اليه الموادعة والتوثيق بالايمان المغلظة والافلاع عمّا دعت اليه الحمية، فرّق لهم وأجابهم الى ما أرادوه وتم معهم السلم، فارتفعت بينهم الحرب، وهدأت الحال وانبسط كل منهم في قراهم وتطعموا العافية ونجح سوّار بما تهيأ له على أعدائه المولدين وأكثر الفخار بنفسه وقومه قيس، فشهر من قوله ذلك قصيدة طويلة أولها :

(136) تسمى بالاسبانية Calzalila وتبعد عن جيان Jean بنحو عشرين ميلا الى الشمال. ذكرها ابن سعيد في المغرب وضبطها بتشديد اللام، وذكر كتابا عنها بعنوان «كتاب الأهلة في حلى قرية قسطيلة» ونسب اليها أبا الوليد يونس بن محمد القسطيلي، من شعراء القرن السادس الهجري. انظر المغرب (328/1) وكذلك النفح (165/1).

(137) انظر البيان (152/2).

صرم الغواني يا هنيد مودتي — إذ شاب مفرق لمتى وقذالي
وصددن عني يا هنيد وطالما — علقت حبال وصالهن حبالي

أكثر الفخار فيها وألمّ بالمعنى وهي طويلة، ثم قال ان الأمير عبد الله عزل جعد ابن الغافر عن كورة البيرة لإرضاء سوّار، وولى مكانه عمر بن عبد الله بن خالد، مشتركاً مع سوّار بن يحيى فأظهر سوّار عند هذا اخلاص الطاعة وخرج في جمعه إلى الحصون المنصوبة الى طاعة عمر بن حفصون فأوقع بهم وغار عليهم وانتقض عليه أهل حاضرة البيرة بهذا السبب ونكثوا العهد الذي عاهدوه عليه وأحشدوا لحربه واستدعوا أخلاقهم من كل جهة واستكثروا من الاجلاب عليه بخيلهم ورجلهم فخرجوا نحوه الى حصن غرناطة في نيف وعشرين ألفا وبرز اليهم سوّار وحده في عدد قليل، ومعه رجال بيوتات العرب من أهل البيرة وغيرها وقد تقدم اليه أهل [الحاضرة] في صميم مقاتلتهم وأنزلوا ردودهم بخلقهم على موقف من جبل اقليم الفخار(138) مما يلي مدينة غرناطة من ناحية الشرق، يرهبون لكثرتهم، وتقدم جمهورهم لحرب سوّار ومن معه، وفي القوم فرسانهم وحماتهم، فتقدموا يريدون الباب الشرقي من غرناطة، فخرج إليهم سوّار في أصحابه من ذلك الباب وتناوشوا الحرب، فلما التحمت وشب ضرامها انسل سوّار في موكب من نخبة فرسانه في المامقط فانحاز منه الى أصحابه وانحاز لهم فضلة القتال بعده وانحش (كذا) عنهم فخالوا الى المكان الذي فيه رد أهل البيرة فحمل عليهم ونادى شعاره، فانذعروا فرقاً منه وانفضوا هاربين قدامه يمنة وشمالا وبصرتهم حماتهم الجائلون في المامقط فلم يشكوا ان ممدداً جاءهم من ورائهم فولوا منهزمين، وأعمل سوّار وأصحابه السيف والرماح فيهم الى باب البيرة، فأكثروا فيهم القتل جدا، فيقال ان قتلاهم في هذه الوقيعة كانوا اثنى عشر ألفا، وهذه وقعة سوّار الثانية المعروفة بوقعة المدينة، وقد ذكرها سعيد بن جودى السعدي صاحب سوّار بن حمدون والوالي رئاسة العرب بعده، فقال شعره :

(138) هو أحد شعب سلسلة جبال سيرا نفاذا المشرفة على غرناطة تسمى حاليا : Mont Alfacar.

يقول بنو الحمراء لو أنّ جنحنا — يضر لعشاكم بشؤبوب وابل
وضقتم به ذرعا وحاشت نفوسكم — وما منعتكم مانعات المعاقل
فقد كان طرد الجنح إذ طر نحونا — كذبّان حسو أو كدود المزابل
وهاجت شآبيب الحتوف عليكم — برعد وبرق سحّم وهواطل
لظلت سيوف الهند تحصد جمعكم — حصاد زروع أينعت للمناجل
ولما رأونا راجعين اليهم — تولوا سراعا خوف وقع المناصل
فصرنا عليهم والرماح تنوشهم — كوقع الصياصي تحت وهج القساطل
فلم يبق منهم غير عان مصفد — يقاد أسيرا موثقا في السلاسل
وآخر منهم هارب قد تضايقت — به الأرض من جوى وبلابل
بها من بني عدنان فتيان غارة — ومن آل قحطان كمثل الأجادل
يقودهم ليث هزبر ضبارم — محش حروب ماجد غير خامل
أرومته من خير قيس نما به — الى المجد قدما والعلى كل فاضل
أخو ثقة محض النجار مهذب — له حسب زاك كريم الأوائل
له سورة قيسية عربيّة — بها ذاذ عن دين الهدى كل جاهل
لقد سل سوّار عليكم مهنداً — يحزّ به الهامات حز المفاصل
به قتل الله الذين تحزبوا — علينا وكانوا أهل افك وباطل
سما لبني الحمراء إذ حان حتفهم — بجمع كمثل الطود أرعن رافل
تضيق له الأرض الفضاء ضبارم — عظيم شديد الركض جمّ المواصل
أدرتم رحى حرب فدارت عليكم — بحتف به أفناكم الله عاجل

وهي طويلة. وقال في شعر له آخر في ذكر هذه الوقيعة العظمى :

فما كان إلا ساعة ثم غودروا — كمثل حصيد فوق ظهر صعيد

ولسعيد بن جودى في مديح سوّار بن حمدون وذكر وقيعته الأولى بأهل حاضرة البيرة وأسره لجعد بن عبد الغافر عامل الأمير عبد الله عليهم، وأخذه بثأر يحيى بن صقالة أميرهم قبله، قصيدة طويلة منها :

قد طلبنا بثأرنا فقتلنا — منكم كل مارق وعنيد
وقد قتلناكم بيَحْيى وما ان — كان حكم الله بالمردود
هجمتم يا بني العبود ليوثا — لم يكونوا عن ثأرهم بقعود
فاصطلوا حرّها وحز سيوف — تتلظى عليكم كالوقود
لم تزالوا تبغونها عوجا — حتى وردتم للموت شر ورود
جاءكم ماجد قد جرى الى المجد حتى — نال بالسبق غاية التمجيد
ونمته للوجود اباء صدق — وجدود ما مثلهم من جدود
هبرزي مهذب من نزار — وعميد ما مثله من عميد
بطلب الثأر ثار قوم كرام — أخذوا بالعهود بعد العهود
فاستباح الحمراء لم يبق منهم — غير عان في قيده مصفود
قد قتلنا منكم ألوفا فما يعدل — قتل الكريم قتل العبيد
قتلوه لما أضاف إليهم — لم يكن قتله برأي رشيد
قتلته عبيد سوء لئام — وفعال العبيد غير حميد
لم يصيبوا الرشاد فيما أتوه — لا ولا كان جدهم بسعيد
قد غدرتم به بني اللؤم بعد — يمين قد أكدت بعهود
فلئن كان قتله غدرة ما — كان بالنكس لا ولا بالرعديد
كان ليثاً يحمي الحروب وحصنها — وملاذاً وعصمة المضفود
كان فيه التقى مع الحلم والبأ — س وجود ما مثله وجود
عال مجد الأمجاد مجدك يا يحيـ — ـى قديماً وقت كل مجيد
فجزاك الإله جنة عدن — حيث يجزى الثواب كل شهيد

قال عيسى [الرازي] : وكان سوّار بن حمدون ورئاسته للعرب وقيامه بطلب [ثار] يحيى بن صقالة صاحبه، في صدر سنة ست وسبعين ومائتين، فكان أمره في رئاسته نحو العام، يزيد أو ينقص، وكان السبب في قتل سوّار لما أذل المولدين من أهل حاضرة البيرة وأثخن فيهم، لاذوا بعمر بن حفصون، صاحب دعوتهم، وخلعوا طاعة الأمير عبد الله، واستعانوا عمر فجاءهم في جيشه وأدخلوه حاضرة البيرة، فحشدهم

ومن ينضوي اليهم أهل حصونهم وناهض سوّاراً في جماعتهم، وكان سوّار استمسك برجالات للعرب من الثلاث كور : كورة البيرة، وجيان، وريّة. فلما وافى عليه عمر بن حفصون بجمعه ناشبهم الحرب فلاقوه بجمهورهم فاشتد القتال بينهم واستحر الجلاد، فجال المولدون جولة صعبة جرح فيها عميدهم، ابن حفصون، جراحا مثخنة، وأصيب جماعة من فرسانهم وانقلب منهزما على عقبه، ودارت الدوائر عليه، فعطف على أهل الحاضرة الذين استجلبوه يطلبهم برم ما تشعث من عسكره فأغرمهم مغرما فادحا، واستعمل عليهم قائده حفص بن المرة وترك عند طائفة من خيله ووكله بمغاداة سوّار ودرك النيل لديه، فانصرف ابن حفصون إلى حضرته فأعمل حفص جهده ووكده في مكاءدة سوّار وطلب غرته المقدر المتاح لمواتاة ابن حفصون املاء له ولم يدع حفص الحيلة على سوّار حتى أراده إذ بلغ وقته، وذلك أنه انبسط عليه ببعض غاراته حتى دنا اليه يوما وقد أكمن أكثر خيله حوله وظهر له مستغيرا بجانب من حصنه في خيل يسيرة خرج اليه سوّار مبادرا لأول الصبحة من غرناطة في نفر قليل [و] لم يحترس من الحيلة التي تبادرها أولو الحزم [كثيرا وقد كان صدرا فيهم فاصحر لعدوه، وخرجت الكمائن من حوله] فأحدقت به وقتل وجيىء بجثته الى البيرة فملأتهم شماتة وفرحة، وذكر ان الثكالى من نسائهم قطعن لحمه مزقا وأكله كثير منهن حنقا عليه لما قد نالهن به المرة بعد المرة من الثكل في بعولتهن واليتم في أبنائهن، وكان قتل سوّار في سنة سبع وسبعين ومائتين، فقتلت العرب بمقتل سوار وكل [جماعة] وحدها بما نزل فيه، فنزلت لإمارتها بعده سعيد بن سليمن بن جودي[139] صاحبه وعلقت امالهو له فقام بأمر العرب وضم نشرها إلا أنه لم يسد مكان سوّار ولا بلغ مداه في السياسة، على انه كان شجاعا بطلا وفارسا مجربا قد تصرف مع فروسية في فنون العلم وتحقق بضروب الأدب فاغتدا أديبا نحريرا وشاعرا محسنا، فاتصل قيامه بأمر العرب الى ان قتل غلية بيد أصحابه في ذي القعدة من سنة أربع وثمانين ومائتين.

(139) سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن ادريس السعدي، أبو عثمان (ت 284 هـ) ثائر شجاع ويعد من شعراء المليث، كان من أبطال هذه الحرب التي دارت بين العرب والموالي والعجم. ترأس القيسية بعد سوّار، واستولى على حاضرة البيرة، فأقصاه الأمير عبد الله إياها. قتل غيلة بسبب امرأة. انظر الحلة السيراء (258/1) والمغرب لابن سعيد (105/2) والجذوة (213) والبغية للضبي (ص 294) وأعمال الأعلام لابن الخطيب 35.

وقام بأمر العرب بعده محمد بن أضحى بن عبد اللطيف الهمداني(140) فتمسك بموالاة الأمير عبد الله الى آخر مدته. ولكل من ذكرنا من هؤلاء الأمراء أخبار محمولة ونوادر سائرة يطول القول بها، ولله تعالى الإحاطة.

ووجدت بخط عبادة الشاعر قال : كان سبب إشتعال الفتنة بكورة البيرة أيام الخمل في دولة الأمير عبد الله أنه لما ثار يحيى بن صقالة القيسي بدعوة العرب الذين بغت عليهم العجم والمولدون وارتقى في حصن منتشاقر من البرجلة فبناه وحصنه وتجمعت إليه العرب فيه، فلم يبعد ان ثار رجل من المولدين [يعرف بنابل يدعو بدعوة المولدين خلافه فتجمعت اليه جماعة من المولدين] والنصارى، جمعهم وقصدهم حصن منتشاقر، فنازل يحيى بن صقالة ومن فيه وحصرهم حتى قهرهم وقتل عددا كبيرا منهم ونجا يحيى بن صقالة في فلهم فقصد بهم مدينة البيرة وفيها غشي المولدين ، وكان قد عاقدهم وانعقدت الايمان بينهم وبينه فلم يلبثوا أن غدروا به وقتلوه، وذلك في سنة ست وسبعين ومائتين. وهرب سوّار، صاحبه، في بقية أصحابه وقد يئسوا من كورة البيرة [لانقلابها] عليهم ووطنوا على الموت إن لم يجدّوا في حماية أنفسهم فرأسوا سوّاراً عليهم ونهض بهم الى حصن غرناطة، فدخلوه معهم وملكه، ونظر في تخليصه ودس الى من يرى رأيه ممن العرب يدعوهم اليه وخاطب زعماءهم [بكورة جيان وغيرها فأتوه من كل أوب واستجمعوا عنده وسموا لأخذ ثأرهم من أعدائهم]، فاحتشدوا عند سوّار، وانعقدت كلمتهم وقصد سوّار حصن منتشاقر، فأحاط بهم وحصرهم ولم يزل ينازلهم حتى غلب عليهم وقتلهم أجمعين وأخذ أموالهم ثم مشى من هناك الى حصون المولدين والنصارى يفتتح ويغنم حتى غلب على أكثرها، واستباح أهلها، فامتعض أهل حاضرة البيرة لما جرى على أهل دعوتهم وأضحوا الى جعد بن عبد الغافر، عامل الأمير عبد الله، عندهم ودعوه الى المسير بهم الى سوّار ونظمهم للقتال، فأجابهم الى ذلك وحشدهم وأحلافهم فقصد بهم سوّاراً في خلق عظيم فدارت الحرب مليا بينهم ثم هزم جعد وأسر، وقتل من أهل البيرة أزيد من سبعة

(140) انظر ترجمته في الحلة السيراء (378/2ـ379).

آلاف، وحمل سوّار الجعد الى غرناطة، فكان عنده حتى أرسل أهله بفدائه فخلى سبيله، فتعرف هذه الوقعة عندهم بوقيعة جعد. وتلاها من [الوقائع] الثانية المعروفة بالمدينة، ما كان أطم وأدهى، وذلك أن أهل البيرة لما استقلوا من نكبتهم في هذه الوقعة تضاعفوا جعدا على ثأرهم من أهل غرناطة وسموا لدرك ثأرهم لديهم واستغاثوا الأمير عبد الله ليغيثهم على سوّار، وقد أوسعهم شرا وأكثر الفساد في أرضهم حتى كاد يتلف الكورة، فعزل الأمير عبد الله عند ذلك جعدا عنهم وولى عليهم ابن عمه عمر بن عبد الله بن خالد، فاحتشد له أهل المدينة وحلفاؤهم في جموعهم العظيمة وقصدوا حصن غرناطة والنحو بالحرب على العرب وصدقوهم القتال الى أن انكشف أهل البيرة أقبح انكشاف وولوا أدبارهم فأتبعهم سوّارا والعرب الى باب الحاضرة وأذرعوا القتل فيهم، فقيل ان قتلاهم فيها أحصوا ببضعة عشر ألف رجل. ورجع سوّار وأصحابه الى حصنهم أعزة. قال عبادة : وحكت مشيخة من عرب غرناطة أنه لما وقع التمايز بين أهل الحاضرة وازروا الى حصن غرناطة وسوره مثلوم. وضعوا أيديهم في بنيانه وسدوا ثلمة وقد كرّ [عليـ]هم أضدادهم المولدون من أهل الحاضرة بالمنازلة، فكانوا يقاتلونهم بالنهار ويبنون سورهم بالليل بالشمع، فبيناهم كذلك إذ رموا في بعض الليل بطاقة فيها أبيات من الشعر قالها الشاعر المعروف بالعبلي(141) شاعر البيرة المحامي عن المولدين، واسمه عبد الرحمن بن أحمد، ينسب الى قرية عبلة التي منها أصله، وهي :

منـــازلهم منهم قفـــار بلاقـــع	تجارى السفا فيهـا الرياح الزعازع
وفي القلعة الحمراء تدبير زيفهم	ومنها عليهم تستـديـر الوقائـع
كما جددت آباؤهـم في خلالها	استنتنـا والمرهفـــات القـواطـع

قال أبو رجاء عثمن بن سعيد(142) : فاشتد ذعرنا لهذه الأبيات حتى لو أحاطت بنا عساكر أهل الأرض ما وجدنا مزيداً في الذعر ووقع منها موقع الهواتف

(141) انظر الحلة السيراء (153/1) وقد أورد ابن الأبار بيتين من شعره.

(142) ترجم له ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس (305/1) باسم عثمن بن سعيد بن هشام بن عبد السلام بن عبد الرؤوف، أبو رجاء، وقال انه من أهل البيرة «وكان عظيم الجاه في أهل موضعه، وتوفي في سنة خمس وعشرين أو ست وعشرين وثلاثمائة.

بالنذر، وحركنا شاعرنا المعروف بالأسدي، واسمه محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي(143) أسد بني خزيمة، شاعر العرب القائم فيها مقام العبلي في المولدين، وكان كل منهما يحرض قومه ويناضل عن مذهبه، ويصف ما يجري لقومه على أضداهم من الوقائع المخزية، فلهما في ذلك أشعار كثيرة وكل منهما كان بعيد المدى في فرط المعصية.

قال عثمن: فلما حركنا أسدنا ذلك للرد عنا أخبل الشدة ذعره وكدّ خاطره، فبعد لاي ما انبعث ببيتين هما :

منازلنــا معمــورة لا بلاقــــع ... وقلعتنا حصن من الضيم مانــع

وفيها لنـا عــزّ وتدبيــر نصرة ... ومنها عليكـم تستتب الوقـائـع

حكي لنا أنه عملها في الليل ثم اختل وارتج عليه فكأنه ما قال شعرا قط، وظل مطرقا حتى سمع قائلا يقول :

ألا فادّنــوا منها قريـبا لوقعـــة ... تشيب لهـا ولدانكم والمراضـع

قال فحفظت البيت واستبشرت به ونهضت الى أضحى بن عبد اللطيف الهمداني، وكان خاصتي من المشيخة فأنبأته بما سمعته، فقال : بشّر بما سمعت يا بن أخي،فما أحسبه إلا هاتف صدق في هؤلاء الأجانب فإنهم بغوا علينا، وقد وعد وقد وعد الله من بغي عليه بالنصر، فاتفق أن كانت العرب عليهم الى سبعة أيام الوقيعة المشهورة التي هلك فيها منهم سبعة عشر ألفا :

ومن مشهور قول الأسدي الذي رد فيه على العبلي وناقضه في كلمته التي أولها :

قد انـقصفت قنـاتهم وذلّــوا ... وزعـزع (144) ركـن عزهــم الاذل

(143) انظر الحلة السيراء (156).

(144) في رواية ابن الأبار : وضعضع بدلا من زعزع، ويتلو هذا البيت في تلك الرواية البيت التالي :

فما طالت دمنتهم لديهم ... وما هم عندنا في «البيرة» طلّ

و«البيرة» يراد به كورة البيرة.

قال الأسدي :

قد احتـل الأحبـه واستقلــوا ... لطيتهــم بليـــل واحزالــــوا

فطل الدمع من جـزع عليهم ... إذ احتملـوا بسـح ويستهـل

سأصرف همتي عنهـم وأسلـو ... بهجوي معشرا كفـروا وضلــوا

لواء النصـر معقـود علينــا ... بتأييــد الالــه فمــا يحــل

إذا ما استمـلأت أسد وقـيس ... رأيت الشرك قد خضعوا وذلوا

ومـن قحطـان والحيّين بكـر ... وتغـلـب أسد غاب ما تفـل

وهي طويلة ، وله في تحريض العرب من كلمة :

يا أيها العـرب النـاءي محلتهم ... أنتم نيام ومن يشنأكـم سهـر

ما عيش عدنان دون الحي من يمن ... أو عيش ذي يمن قد خانها مضر

ان السهام إذا ما فرقت كسرت ... وان تجمعن تبقى ليس تنكسر

أنتم قليــل كثير في عنائكــم ... وغيركم قليــل فيكـم وإن كثروا

أليس منكم نبي الله أكرم من ... يرى الإله ومن جاءت به السور

وصاحباه أبو بكـر خليفتــه ... وخدنه المرتضى من بعـد عمـر

ومعشر هاجـروا في الله ربهـم ... والتابعون وقد أووا وقد نصـروا

قل للقبائل من هود ومن أدد ... تقبلوا النصـح إذ قلناه أو مذروا

ما ان تركت لكم نصحا لمنتصح ... والنصح عند ذوي الألباب مدّخر

وله في رثاء سعيد بن سليمن بن جودى بن اسباط، أمير العرب بعد سوّار، من كلمة طويلة :

لا ساغت الراح لي من كف ساقيها ... حتى تقرب نفسي من تمنيها

وإن أرى الخيل تردى في اعنتها ... لثأر من كان قبل اليوم يرضيها

يا قاسم بن عياض دعوة فلقت ... صمّ الصخور فلم يسمع مناديها

بلغ ربيعة والحيّين من مضر ... وآل عد إذا حلت واديها

وآل سعد فقد اضحت وليس لها ... راع يخوط قضاياها بعد راعيها
من بعد ما اتت الافاق مذعنة ... طوعا له واجابته عواصيها

ولمقدم بن معافي(145) في رثاء سعيد بن جودي :

من ذا الذي يطعم أو يكسي ... وقد حوى حلف الندى رمسُ
لا اخضرت الأرض ولا اورق السعود ... ولا اشرقت الشمس
بعد ابن جودي الذي لم ترى ... أكرم منه الجن والانس
دموع عيني في سبيل الأسى ... على سعيد أبدا حبس

وليحي بن أخي يحي بن صقالة، أول الثوار بالدعوة العربية في مدح سوار وذكر وقعة أهل البيرة من قصيدة ناقض فيها العبلي، شاعرهم، على روى قصيدته اللامية، وقال انها لسعيد بن سليمن بن جودي القائم بامر العرب، بعد سوار بن حمدون :

لسوار على الاعداء سيف ... أباد ذوي العداوة فاضمحلوا
لقد ذلت رقابهم بصغر ... فصادمهم شديد البأس صل
سقاهم كاس حتف بعد كاس ... بها نهل العبيد معا وعلوا
وقد رفعت لسوار قناة ... بها خضعت رقابهم وذلوا
قناة المجد مركزها عزيز ... حماها مانع لا يستذل
قتلت بواحد سوار الفا ... والفهم بواحدنا يقل
فأكثر قتلنا لهم حلال ... بما ارتكبوه ظلما واستحلوا
أضاف اليهم رجل تقي ... فجاءوا فيه أمرا ما يحل
فاوردنا رقابهم سيوفا ... تشب النار منها إذ تسل

(145) ترجم له الحميدي في الجذوة رقم 833 ص : 355، باسم المقدم وقال انه شاعر معروف في أيام عبد الرحمن الناصر، وذكر له نموذجا من شعره في قصيدة مدح بها سعيد بن المنذر، وترجم له كذلك الضبي في بغية الملتمس (رقم 1356 ص : 460)، انظر شعره في سعيد بن جودي في الحلة السيراء (538/3) وقد أورد الأبيات الأربعة. كما أورد المقري في النفح الأبيات الثلاث منها وذكر بعض أخبار المقدم بن معافي. ولما تحدث المقري في الجزء السابع (ص 5-6) عن موشحات ابن الخطيب وأزجاله نقل عن أستاذه قوله : «وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس المقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله، وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه صاحب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهما، فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح، صاحب المرية».

فقد سفكت دماؤهم وطلت ... وليس لنا دم يوم يطل
رواق المجد مضروب علينا ... منيع الجانبين فما يزل
سمونا فوق عرش المجد قدما ... وعرش المجد فيه لنا المحل
ورثنا المجد عن أباء صدق ... وارثكم بني العبدان ذل
واخضعنا رقابهم فذلت ... فليست ما حييتم تستقل

قال : ولما ان ظهرت العرب على حاضرة البيرة وسجل الأمير عبد الله لأميرهم، سعيد بن جودي على الكورة فدخل الحاضرة، أتاه شاعرهم، عبد الله بن أحمد العبلي(146) بشعر يمتدحه فيه، فاستمع له وامر له بجائزة. فلما ولى ذكر بعض من حضر بخبره وما كان من تحريشه وتغييره وتحريضه على العرب، وقال له :

انسيت قوله : وقد « انقصفت قناتهم وذلوا »، الشعر المشهور له ؟ فاقتدح سعيد نارا وامر بعض بني صقاله باخذ هذا العبلي وإخراجه وان يقتله ويرمي به في بئر غامضة لقوله :

فما طلت دماؤهم لديهم ... وها هم عندنا في « البئر » طل

ففعل ذلك العقالي ما أمره به سعيد ومضى لسبيله.

خبر الفتنة بلَبْلَة(147):

قال عيسى(الرازي) : وفي سنة ست وسبعين ومائتين ثار بمدينة لَبْلَة أيضاً

(146) كذا في الأصل، ويلاحظ أن المؤلف ذكره من قبل باسم عبد الرحمن.

(147) Niebla بالاسبانية : مدينة قديمة في غرب الأندلس، وتعرف بلبلة الحمراء. ووصفها ابن عبد المنعم الحميري بأنها «مدينة حسنة أزلية متوسطة القدر ولها سور منيع ونهرها يأتيها من ناحية الجبل». صفة جزيرة الأندلس (رقم 158 ص 168—169) ونقل ابن سعيد في المغرب (339/1) عن الرازي أن لبلة «جامعة لكل وجه من الفوائد محوة بصنوف الخيرات جمعت بين البر والبحر، والزرع والضرع». وقد ذكر كتابا عنها عنوانه «كتاب نيل القبلة في حلى كورة لبلة» وانظر كذلك القارة الافريقية وجزيرة الأندلس للادريسي، ومعجم البلدان (10/5). ذهب ليفي بروفنسال الى أن أصل لبلة اللاتيني هو Ilipla، ولكن بعض الباحثين يرجحون أن يكون Nebula. وقد افتتح المسلمون لبلة على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في سنة 94 هـ. وخرجت نهائيا من يد المسلمين على يد الفونس العاشر في سنة 655 هـ. (1257 م). انظر كذلك صفة الأندلس للرازي(رقم 158) ص 169) ولبلة في التقسيم الاسباني الحالي قاعدة لكورة تحمل نفس الاسم تمتد شمال كورة اكشونبة. ومدينة لبلة تقع على مسافة خمسين كيلومترا في غربي اشبيلية على ضفة النهر الأحمر (Rio Tinto).

المعروف بابن عمرون من العرب واسمه عثمن، فتعصب على المولدين والمسالمة فثاروا معه على عمرون بن سعيد القريشي، عامل الأمير عبد الله عليهم فدخلوا عليه بدار الامارة ونهبوا رحله واخرجوه عن المدينة وانضوت الى عمرون جماعة تقدم بهم مستغيرا، ومعه رجالات العرب حتى اغاروا على قرى إشبيلية واتصل خبره بالامير عبد الله فاخرج اليه عثمن بن عبد الغافر من آل خالد مستصلحا فلاينه عثمن ولاطفه واستدعاه الى الطاعة ووعده بالاحسان حتى رجع عن المعصية وفرق جمعه وسكنت جهته [مدة] مديدة، ثم لم يلبث ان بدا له وهيج الفساد، فانبعثت الفتنة واشتعلت بالكورة كلها بين العرب والمولدين وتواثبوا بكل مكان وصاروا احزابا، فامتاز ابن عمرون ومن قام معه الى حصن قرقية[148] واعتصموا به وانضوى اليهم عثمن بن عبد الغافر وحزبه، وامتاز أضدادهم المولدون في جماعتهم الى العرب بحصن قرقية فجيش عثمن بن عبد الغافر على المولدين وخرج اليهم فلقيهم وواقع بهم فهزمهم، وقتل منهم عددا كبيرا حتى خرج ابن عبد الغافر من كورة لبلة وثار بفتنة المولدين بمنت ميور[149] المعروف بابن خصيب، وثار بجبل العيون[150] من حصون لبلة المعروف بابن غفير، فاتصلت الفتنة بكورة لبلة كلها وامتدت شرقا الى ما يتصل بها من قرى اشبيلية وغربا الى ما يتصل بها من كورة باجة وعظمت فيها الحادثة.

(148) ضبطه ياقوت في معجم (329/4) قرقية بالكسر والسكون، وقاف مكسورة وياء مثناة من تحت خفيفة، وقال انه بلد بالأندلس من نواحي لبلة.

(149) يكتب أيضا بكلمة واحدة منيميور، كما في أعمال الأعلام لابن الخطيب ويسمى بالاسبانية Monte Myor أي الجبل الكبير.

(150) Gibraleon بالاسبانية : ذكر ابن عبد المنعم الحميري مدينة باسم جبل العيون صفة الأندلس (169).

باسم الله الرحمن الرحيم

ذكر انبعاث الفتنة بكورة اشبيلية

في سنة ست وسبعين ومائتين هاجت الفتنة بكورة اشبيلية واضطرب أهلها على سلطان الجماعة الأمير عبد الله ثم خرجوا الى المعصية. فذكر محمد بن عبد الله بن الأشعث القريشي في كتابه المؤلف في أخبار اشبيلية قال : لم تزل الأحوال بكورة اشبيلية منذ ملك بني أمية ساكنة والطاعة فيها مستقيمة حتى كانت أيام الأمير عبد الله بن محمد، السابع منهم، ذات الأنباء الشنيعة. ففيها نجمت بالأندلس نواجم الفتنة بكل بلد منها، واتسعت الفتن بكل ناحية واشتملت الفرقة على كل فرقة حتى واقعها أهل اشبيلية، فكان أول من أظهر الخلعان بها واثنى بأهل المعصية، وسعى في تفريق الكلمة كريب بن عثمن بن خلدون[151] وكان أمير سوء مصرّ على الغش مبغضا للخلفاء. فلما ارتضم أهل الكور حوله في الشقاق وتتابعوا في المعصية سما الى مناعاتهم فخالف سلمين بن محمد بن عبد الملك الثائر بكورة شذونة وعثمن بن عمرون الثائر بكورة لبلة، وجنيد بن وهب القرموني، من البرابر البرانس، وعاقدهم، وجميع أصحابه وكانت دعوة كريب هذا من العرب في يمن من قبل حضرموت ودعوة ابن عبد المالك الشذوني فيهم من لخم، ودعوة ابن عمرون اللبلي فيهم أيضا من خشين، فلما ظهر تألبهم في عربيتهم ناغاهم الموالي والمولدون من أهل حاضرة اشبيلية بتوالدهم فحالفوا المضريين من العرب والبتر من البرابر من أهل كورة مورور مضادين لكريب بن عثمن في فعله ودعوته اليمانية فتألبوا وتعاقدوا، فتميزت عنهم جميعا فرقة أهل الطاعة المستمسكة بالجماعة، فلم يدخلوا مع أحد من الفريقين في شيء من المعصية وأقاموا على حريتهم في التمسك بدعوة السلطان، وفيهم رجال صدق من قريش ومواليهم من العرب والبرابرة وغيرهم منهم من قريش ابن الأشعث ووليد وحكيم ابن هشام بن وثان، من الأمويين عثمن بن العمر بن أبي عبدة وحسان بن عامر ابن أبي عبدة

(151) انظر الحلة السيراء (376/2).

ووهب بن بسيل وأصبغ بن يحي بن فهر ومحمود بن أبي جميل، ومن العرب عبد الله بن مذحج الزبير وزيد وعباس ابنا عبد الله بن يشتعر الالهاني واسميعل وعبد الله ابنا محمد بن الدب الغولاني، وجميعهم من دعوة اليمن، ووليد وابراهيم ابنا عمر بن عبد قيس البصري، من دعوة مضر وغيرهم. كانت أعين الجماعة من أهل الحاضرة وغيرهم شاخصة الى هؤلاء النفر يأتسون في الثبات على دعوة السلطان ولا يجسر كريب ومن معه على مخالفتهم وقد وجست قلوب الناس من كريب ومن معه وأيقنوا بالبلاء متى ما تخلفوا عليه وهابوهم شديدا. فلما تعذر على كريب وأصحابه أمر الحاضرة خرج عنها واستوطن قرية بالشرف تدعى البلاط، وأخذ في استهواء أهل الشرف[152] (وأكثرهم من دعوة حضرموت، فاستجاب له أكثرهم وبعث رسله الى لبلة وشذونة وغيرها يدعون الى رأيه، واستترت أخباره على الحاضرة لبعده عنها، وولى الأمير عبد الله موسى بن العاصي بن عبد الله بن ثعلبة كورة اشبيلية)[153] وقد ظهرت أعلام الفتنة فيها وفيما يليها، وكان حازما فسكنت به الثائرة، ودس كريب بن عثمن وخليفته جنيد بن وهب البرنسي رسليهما الى بربر ماردة[154] ومدلين يستدعيانهم للغارة على كورة اشبيلية، ويشهيانهم بكثرة غنائمها، وقلة المدافعين عنها، يريدان بذلك تشتيت أمر السلطان وتبغيضه الى رعيته، فاحتشد البربر مطلين اليها ووقع الخبر الى موسى بن أبي العاصي فاستنفر جميع الناس من أهل الكورة وأخرجهم مع نفسه وعمل على ملاقاة البرابر

(152) Aljarfe بالاسبانية والمقصود هنا هو شرف اشبيلية أي المرتفعات الواقعة الى غربها والتي تسمى حاليا اندبفالو (Sierra Andévalo) التي تشكل امتدادا لجبال سيرا مورينا (Sierra Morena) وهي التي كان العرب يسمونها جبال المعدن. وتمتد منطقة الشرف عند الادريسي الذي يسميها «اقليم الشرف» بين اشبيلية ولبلة والبحر المظلم (المحيط الأطلسي)، وكانت تشتمل على عدد من الحصون والمعاقل التي من بينها القصر (Aznalcozar) ومدينة لبلة (Niebla) المتقدمة الذكر، وولبة (Huelba) وجزيرة شلطيش (Saltes) وجبل العيون (Gibraléon) وغيرها. وصف ابن عبد المنعم الحميري جبل الشرف الذي يطل على اشبيلية بأنه «شريف البقعة كريم التربة، دائم الخضرة، فراسخ في فراسخ طولا وعرضا، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه. وزيته أطيب الزيوت، الخ» قارن صفة الأندلس ورقم 14 ص : 21) القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (ص : 257) والمغرب لابن سعيد (287/1 و 296). انظر كذلك نفح الطيب (17/1—159).

(153) Sevilla.

(154) Marida.

بقرية طلياطة[155] من اقليم البصل، وسار فوجد البربر قد سبقوه الى القرية فقتلوا كل من وجدوه فيها واستباحوا أموالهم، وسبوا ذراريهم، فنزل موسى بجمعه إزاءهم على كدية تدعى جبل الزيتون على ثلاثة أميال منهم، بات فيهم وتعب الفريقان وتواعدوا الصباح، فراسل كريب بن عثمن في تلك الليلة البربر يعدهم انه إذا التحمت الحرب سوف يفرّ بمن معه ويجرّ الهزيمة على موسى وأصحابه، فلما أصبحوا وقامت الحرب على ساق وتكافأ الفريقان انهزم كريب بمن معه، فانهزم الناس جميعا، ومضى البربر في آثارهم الى ان بلغوا قرية وبرة[156] من اقليم البر، فتحصن فيها العامل موسى وبقي البربر بموضع محلتهم من قرية طلياطة ثلاثة أيام يشنون الغارات في جميع جهات الكورة ولا أحد يعترضهم حتى ملئوا أيديهم بالغنائم فرجعوا صادرين عن اشبيلية مملوءة حقائبهم، وقد أفقدوا خلقا كثيرا من أهلها ثم تلاهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي[157] أقبل بعسكره من بطليوس حتى نزل بقرية مورة[158] من اقليم البر المذكور، على ثلاثة فراسخ من الحاضرة، فشن الغارة عليها وعلى ما حولها، وأقام أياما أيضا لا يخرج اليه أحد ولا يعترضه معترض حتى نال حاجته وانصرف، فظهر عجز السلطان وبان وهنه ومقتته الرعية وقويت أطماع أهل الشرّ في كل جهة، وعزل الأمير عبد الله موسى بن العاصي عن الكورة فولاها حسن بن محمد الموري، وكان لينا وادعا وظهر في الطريق بين قرطبة واشبيلية رجل من البربر من بعض أرباع قرمونة يدعى الطماشكة يقطع الطريق ويفسد في الأرض، وزاد الحال ضيقا، فرفع رجل من أهل استجّة يسمى محمد بن غالب الى الأمير عبد الله يسأله بناء حصن بقرية شنت طرش اخر حد اشبيلية الى استجّة ينزله في أصحابه ويضمن له إصلاح الطريق من الطماشكة ومن معه من المفسدين من قطعة الطريق، فأجابه الأمير الى ذلك فبناه محمد بن غالب وصار فيه

(155) Tojada بالاسبانية وهي قرية تقع بظاهر اشبيلية. ذكرها ابن الخطيب في أعمال الاعلام (ص : 309) معرض الحديث عن دولة محمد بن اسماعيل بن نصر. والقرية اليوم عبارة عن خرائب مهجورة تقع على مسافة 30 كيلومترا من اشبيلية. خصص ابن عبد المنعم الحميري للحديث عن طلياطة نحو صفحة ونصف ذكر فيها بعض الحوادث التاريخية التي وقعت فيها؟ انظر صفة الأندلس (رقم 121 ص : 128—129).

(156) وبرة Overa بالاسبانية : «ذكرها ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص : 297) باعتبارها حصنا، في سياق الحديث عن دولة محمد بن اسماعيل المصري، وكذلك في الاحاطة (799/4).

(157) انظر عن الجليقي الهامش أعلاه.

(158) ذكرها ابن الخطيب في الاحاطة.

بأصحابه وكان شهما صارما، فتجمّع اليه في ذلك الحصن من البربر البتر والموالي والمولدين من جميع الكور عدد كثير اعتز بهم وحُمِيَ جانبه، وصار له في الناس صيت حسده عليه العرب من بني خلدون وبني حجاج واعتصموا به، وعلموا على طروقه في حصنه ليلا رجاء انتهاز الفرصة وفض الجماعة التي حوله، فما قصدوه على استعداد وحذر، فوقعت حرب قتل فيها رجل من قرابة بني حجاج حملوه معهم قتيلا قبل الصباح فجاءوا به العامل حسن بن محمد مستعدين على ابن غالب، زاعمين أنه اغتاله بطريق قرطبة واستدعوا عليه الشهادات المزورة، فلم ينفذ لهم العامل الحكم على محمد بن غالب ودفعهم الى الأمير عبد الله بقرطبة ليكون هو الناظر فيها، فساروا اليه، وأشخص معهم كريب بن عثمن جماعة من قومه يصدقون مقالتهم ويؤكدون الشكية بابن غالب عن أنفسهم فتكلموا في ابن غالب بكل عظمة ونسبوا اليه منافقة الأمير عبد الله ومواطأة ابن حفصون وكثرة من يجمع عليه من أهل الدعارة وأنهم لا يأمنوا به على الكورة، وسال بنو حجاج إنصافهم منه من قتله ابن عمهم بلا حجة، وعارضت دعواتهم عصابة من أضدادهم من المولدين تألبوا على محمد بن عمر بن الخطاب بن انجلين واتبعوا بني حجاج الى قرطبة حالين لما عقدوه على ابن غالب مكذبين لدعواهم واصفين لما جرى من قصدهم ليلا اليه وانه دفعهم عن نفسه فجنت الحرب على صاحبهم مثنين على محمد بن غالب بحسن بلائه بطمأنينته الى مكانه. فلما تعارضت أقوالهم عند الأمير عبد الله التبس عليه الحكم في قصتهم، ورأى إرجاءها الى ان تقوى الأدلة من كتب لديه وسط الكورة ادعى الى اصابة الفصل فيها فأخرج لذلك ابنه محمد بن عبد الله وأمره أن يحضر الفريقين مجلسه ويسمع من كل واحد منهما ما يدلي به ثم يعرض أقوالهم وبراهينها على أهل العلم عنده فيعمل بما يرسمه من انصاف المظلوم وقمع الظالم، وأمر بعزل حسن بن محمد الموري عن الكورة وتوليه محمد بن خالد الخالدي المعروف بالمعوج مكانه ثم عزل محمّد بن خالد بعد مديدة يسيرة وولى مكانه ابن عمه اميه بن عبد الغافر. الخالدي، وكان شهما بعيد الصيت، منيع الجانب، فاستقر مع الولد محمد باشبيلية، واستقدم الولد محمد بن غالب الى اشبيلية فأحضره مجلسه وجمع بينه وبين بني حجاج[159] المدعين

(159) ـظر البيان (135/2).

عليه دم ابن عمهم، وأمرهم بإثبات دعواهم، فتعصبت لهم أعرابهم وشهدوا لهم بما يوافقهم، وقام من الموالي من شهد لمحمد بن غالب بالبراءة مما نسب اليه فتعارضت الشهادات وظهرت الحميات وعطلت الديانات وزاد تحزب الناس عند هذه الموافقة، ودخل كل حزب من أهله من لم يكن له قبل في الدخول نية، وأحب خيار كل قوم أن يظهر سفهاؤهم حمية جاهلية فازداد الأمر التباسا، ولم يبن للولد محمد وجه الحكم ولا ظهر لأحد الفريقين على صاحبه ما يوجب النظر اليه، فأرجأ الحكم بينهم وقلب محمد بن غالب الى مكانه فغضبت العرب عن ذلك وازدادت حقدا والتظت حمية واستظهرت بالبعد عن الحاضرة، فخرج بنو حجاج عنها الى باديتهم بالسند المنسوب اليهم على خمسة عشرة ميلا من الحاضرة وكان سيدهم الذي يقدمونه يومئذ عبد الله المكني بابن زيد، وكان جل أهل السند الذي اسندوا اليه من أولى دعوتهم من لخم، وخرج كريب بن عثمن الى قريته بالشرق رحل أهله والسكان فيه من أهل حضرموت معاقد القوم جميعا ومن ظاهرهم من سليمان بن محمد بن عبد الملك الشذوني وجنيد بن وهب القرموني على إظهار الخلعان وكشف الوجود بالمعصية، ودبروا الفتك بعامل قرمونة وضبطها لأنفسهم، وأرسل كريب بن عثمن المعروف بمهدي، وكان من أهل الشرّ والدعارة، الى سليمن بن محمد الشذوني، وكان في حصنه الذي بناه على مدينة خور المسمى نبريشة، فجمع له جماعة من المفسدين من أهل شذونة وغيرها أقبل بهم مهدي ومن كان معه حتى أغاروا على جزيرة المنذر بن عبد الرحمن، عم الأمير عبد الله المعروف بالاسلية، وكان فيها مائة رمكة ومائتا بقرة متناتجة معها وكيل له يسمى فراسا، فقتلوا الوكيل وأغاروا على كل ما كان بالجزيرة فذهبوا به من يومهم ذلك الى حصن قورة بآخر الشرق على عشرة أميال من الحاضرة وصار عبد الله بن حجاج ذلك اليوم ومعه جنيد بن وهب البربري الى مدينة قرمونة[160] فدخلوها وأخرجوا العامل، محمد بن عبد الله بن بزيغ عنها وأغاروا عليه فلحق باشبيلية وضبط القوم

(160) Ceramona مدينة وكورة فتحها المسلمون في سنة 92 هـ وخرجت من أيديهم نهائيا في سنة 644 هـ (1247م)، بعدما احتلها الفونس الثالث. وقرمونة لا تزال تحمل نفس الاسم، وهي مركز إداري في مديرية اشبيلية وتقع على مسافة 35 كلم شمال شرقها. انظر صفة الأندلس للرازي (ص : 94) معجم البلدان لياقوت (مادة قرمونة)، صفة الأندلس لعبد المنعم الحميري (رقم 141 ص : 159) مقالة زايبولد في دائرة المعارف الاسلامية (مادة قرمونة)، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس للادريسي (ص : 300—301).

وكان فعلهم هذا كله في يوم واحد على ميعاد ضربوه بينهم. فلما توافت هذه الاخبار الى الولد محمد من هذه الجهات قامت عنيه القيامة فاضطرب عليه البلد فكتب الى والده الأمير عبد الله يستعينه ويعرفه بما جرى ويكشف له عن الحال، فجمع الأمير الوزراء عنده وشاورهم فيما جاء به من اشبيلية فاختلفت آراؤهم وخلا به بعضهم فأشاروا اليه بقتل محمد بن غالب وإرضاء العرب بالافادة منه وضمن له خروجهم عن قرمونة وقورة وصرفهم وصرفهم لما أخذوا لعمه المنذر وانصرافهم إلى الطاعة، فقبل الأمير عبد الله رأيه وعمل به وتقدم الى جعد بن عبد الغافر الخالدي، أخي أمية، العامل باشبيلية بالخروج الى قرمونة بالجيش وأمره أن يقيد محمد بن غالب ويقلد الشهود ما شهد به ويستألف عصاة العرب جهده ويثنيهم عن المعصية، فإن افاءوا الى الطاعة وإلا قابلهم وحشد المستمسكين بعد بها عليهم، فخرج جعد لما أمره وكايد محمد بن غالب لأول نفوذه وكان قد نفر وجنح الى ابن حفصون، فقدم اليه جعد كتابا مع بعض أهله يطمئن جأشه ويعلمه ان خروجه لغير ما بلغه، وان قصده محاربة العرب بعظم ما أتوه، وأنه عنده من أكبر أعوانه عليهم، وتقدم اليه بالاستعداد للسير معه وحد له تلقيه إياه إذا رآه، فغره ما كاتبه به لشهوته في حرب بني حجاج والعرب للذي بينهم من الطوائل واستقبله جعد في أصحابه فقضى حقه وصار في عسكره ومضى معه الى أن احتل بقرمونة، فكاتب جعد عبد الله بن حجاج الى ذلك ووافقه عليه، فتقدم جعد عند ذلك الى محمد العوفي العريف والي أبي بنا (كذا) بن مسلمة الباجي بقتل محمد بن غالب، فنزل عليه في مضربه ولا علم عنده فضربا عنقه، فخرج عند ذلك عبد الله بن حجاج عن حصن قرمونة وأسلمها الى القائد جعد بن عبد الغافر فضبطها وولى عليه بعض أصحابه وانتقل منها الى حصن محمد بن غالب فهدمه وفرق من كان فيه وعفّى اثره، فلما بلغ محمد بن خطاب ابن انجلين وحزبه من الموالي والمولدين المتعصبين لابن غالب الشاخصين الى باب السلطان للمناظرة عنه، ما كان من قتله والغدر به قامت عليهم القيامة واستجوروا سلطان الجماعة وتشوقوا الى الفتنة وخافوا على أنفسهم فاجتمعوا ودخلوا على الولد محمد فشكوا اليه ما خامر قلوبهم وقالوا انا لا نأمن من ان يكون قد عُقد علينا عند الأمير أمر لا نعرفه ولعلنا بذنب نحن براء منه فيفجؤنا هذا الظلوم جعد، وعسكره بما لا قبل لنا به ويخرج الأمر عن يدك.

فاستبقنا وطيب أنفسنا بان تجعل حرس المدينة الينا ومفاتيحها بأيدينا حتى تظهر لنا ولك الأمور، فتعمل بحسبها، فلم يمكنه خلافهم إذ لم يكن معه من الرجال ما يقوى [به] على مدافعتهم، وكان العرب قد نفروا عنه من أجلهم فلم يمكنه ايحاش الفريقين، فأسعف الموالي بما التمسوه فصارت مفاتيح المدينة بأيديهم [ف] سوّلت لهم نفوسهم الوثوب بعاملهم امية بن عبد الغفار، ورجوا أخذ ثأرهم لابن غالب، صاحبهم، فيه لقتل أخيه جعد بن عبد الغافر له، فاستجاشوا المعروف بابن مولود بكورة مورور بذمة الحلف على انه لم يكن على دعوة المولدين فعاقدوه على حرب السلطان، فأرسل اليهم جيشا من فرسان العرب من دعوة مضر ومن حلفائهم من بتر البربر للحلف الذي كان بينهم قديما. فلما صاروا عندهم قويت بهم نفوسهم فثاروا ثورة عظيمة وقصدوا دار أميه بالمدينة فجاءوه يريدون الفتك به، ووقع عليه الخبر قبل تلاحقهم فركب فرسه وأعجل عن لبس خفية فمضى هاربا يركض الى قصر اشبيلية فدخله وصار مع الولد محمد فنجا من صدمة القوم، وجاءوا الى داره اثر مضيه وقد فاتهم فأسفوا على خلاصه وانتهبوا ما حوته داره وقد امتنع هو بالقصر فلم ينثنوا عن قصدهم، وأقبلوا فأحاطوا بالقصر وأعلنوا بالمعصية واجتمع اليهم سفال المدينة من الباعة وغيرهم فاستكثف جمعهم وبان عجز السلطان عنهم وقد كان الولد محمد أرسل في طلب محمد بن خطاب بن انجلين وأصحابهم من أعلام أهل الحاضرة القائمين بدعوة المولدين، مثل ابن شبرقة وابن الجريج ونظرائهم ليسكنوا فورتهم ويطفئوا النار، فخافوا على أنفسهم وكرهوا كشف وجوههم في المعصية، فاستظهروا على اتيانه بان لبسوا دروعهم وكفروا عليها واستنهضوا مع أنفسهم جماعة من حلفائهم المروريين وغيرهم من العامة أوقفوهم بباب القصر وتقدموا اليهم : ان متى أذن الظهر ولم يخرجوا اليهم ان يهجموا على القصر ويخرجوهم، ودخلوا هم على الولد [محمد] فأخذ في عزلهم والرفق بهم فاستعجل اتباعهم الهجوم على القصر بعد حين وقد ظنوا أن لا دافع لهم فاقتحموه لحينهم ووقعوا على دار دواب الولد محمد فانتهبوا خيله ومراكبه وجاءوا بأمر قبيح فثار بهم اميه بن عبد الغافر عند مرآى ذلك ثورة الأسد الخادر فوكل بابن الخليب وأصحابه وضبط بنفسه باب الفصيل الذي يتوصل منه الى مجلس الولد، وأصعد غلمان الولد على سقف الفصيل وقدم عليهم من يرتبهم

ويضم نشرهم. فلما تقدم الرعاع يريدون الهجوم على الولد، وجدوا عدوهم اميه بن عبد الغافر مشمرا لدفاعهم مقيما بأصحابه في وجوههم، فحال بينهم وبين ما أرادوه فحاربوا بقية يومهم ذلك، يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأخير، سنة ست وسبعين ومائتين، وباتوا عليه ليلتهم ثم صابحوه القتال غداة الاربعاء الثاني بعد، وأخرج الأمويون محمد بن زيد بن عبد الله يستعين الى جعد بن عبد الغافر صاحب عسكر السلطان يستحثّه بالعسكر ويصف له ما أشرف الولد محمد [عليه مع الرعاع فأغذّ السير وقدم على جعد فعرّفه الخبر وما ترك عليه الولد محمد] وأخاه أمية ضيق الحصار، فركب جعد من فوره في ذوي الطاعة من أصحابه وتعجل السير، وطوى المراحل حتى جاء الى الحاضرة من جهة القبلة من موضع المصلى وكانت الغواة قد وكلوا بذلك الجانب رجلا منهم يعرف بالصديق بحرسه، فاقتحم جعد المدينة وحمل نفسه على الخطر العظيم في الهجوم على جميع العصاة وكان أول من اعترضه الصديق المقدم في تلك الجهة فقتله، ومضى على سننه (؟) على ربض عبد الله بن الاشعث القريشي فألفاه في عصابته ممتنعا في داره قد درب على نفسه ومنع جانبه فتعرف وجه الخبر من عنده وخلى بغله عنده وقدم وجهه عند القصر فانثالت العامة لمنعه وكدته بالحرب، فلما انتهى [الى] المسجد بقبلي القصر وقعت عليه هناك ردعة شديدة فاضطر الى ان يرتجل ونادى أصحابه بأسمائهم وزمرهم على القتال فثاب إليه أهل البصائر وضربوا وجوه القوم حتى هزموهم ووقع بيد جعد رجل من أشدائهم قد كان أشجع أصحابه يعرف بالربوشي فقتله جعد بيده. فلما عاينوا قتله انكسر حدهم وانكشفوا عن القصر، وقد كانوا أحاطوا به من كل جانب، فاستمرت بهم الهزيمة وتوصل جعد الى الولد محمد والى أخيه نفسه، امية، وهما بآخر رمق لا يشكان في حلول حمامهما، ولا سيما أمية، بما عضه وأجهده من الاعياء، وعمته الجراح في وجهه وصدره، فقبل يد محمد، وقبل وجه أخيه أمية، وشكر الله على السلامة وأمر الولد محمد بانتهاب دور العصاة بالحاضرة فنيل كثير منهم بمكاره عظيمة ثم شفع فيهم الأمويون أضدادهم لذمة الجوار، فأمر برفع النهب عنهم وأخرج الخبيث محمد بن الخطاب وأصحابه من حبس أمية فضرب رقابهم أجمعين وأجاز أموالهم وكتب الى الأمير عبد الله والده يعلمه الخبر على وجهه ويستطلع رأيه، فأجابه الأمير بأمره بالقفول

الى قرطبة وتخلية امية بن عبد الغافر والكورة، فقفل الولد محمد في خاصته ومعه أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة حاجبه.

فلما تفرد أمية بتدبير البلد استرجع كريب بن خلدون وعبد الله بن حجاج، كبيري العرب، الى البلد وقرب منزلتهما وأغضى لهما عما انتهبه أصحابهما للسلطان وأظهر لهما أنه مستظهر بهما على أهل الحاضرة أعدائهما محمية لهما، وبالغ في نكاية المولدين من أجلهما يبغي بذلك استئلافهما، فأرياه القبول لما وصفه والاخلاص له وأقاما لديه مديدة وقد تطعما من حب الفتنة ما لا صبر عنه، ففارقاه سريعا مراجعين لما كانا عليه من شق العصا وخلع الطاعة، فعاود عبد الله بن حجاج قرمونة، وعاود كريب بن عثمن حصن قورة، وضافر كل واحد منهما من جاوره من أهل الخلاف، فقويت شوكتهما وعادت لهما الكورة الى أسوأ أحوالها، وعمل امية بن عبد الغافر خلال ذلك على المكايدة فسعى بالتضريب بين عبد الله بن حجاج وبين ابن وهبة القرموني، صاحبه بقمونة، وكان شاركه في ملكها لابن حجاج وأصحابه من العرب شطرها و [كان] له من أبوابها المسمى باب قرطبة، فلم يزل امية يدأب في الاغراب بينهما، حتى وثب ابن وهبة على عبد الله بن حجاج وانتهب ماله وسبا أهله وأرسل برأسه الى امية بن عبد الغافر، فأقام قومه وشيعته من العرب أخاه ابراهيم بن حجاج مكانه وأحلوه محله باجماع من كريب بن عثمن بن خلدون، وانتفى امية بن عبد الغافر في الظاهر من المشايعة على قتل عبد الله أو الادهان فيه واعتذر فيما أتهم منه الى أخيه ابراهيم والى جميع العرب، فنافقوه في إظهارهم قبول عذره، وهم مصرون على غائلته فألزموه ذنب قتيلهم، عبد الله، والتدبير عليه، ثم انتهى امية بعد ذلك الى كريب بن خلدون يضرب بينه وبين ابراهيم بن حجاج ويبغي استصلاحه الى السلطان ويسأله التخلي عن محالفة ابن حجاج ويعده على ذلك من السلطان بما تسمو اليه همته، وأظهر له ابن خلدون ذلك وابتغى السبيل الى ايقاعه، وهو آخذ بضده في سر أمره ومواطىء لابن حجاج وشيعته على إزالة أمر امية والاحتيال في مكرهه ودفع طاعة السلطان الابتسآ (كذا) بمن حاد عن سبيله، وذهب امية بن عبد الغافر الى أن يأخذ بالحزم في حراسة نفسه ودولته فاقتطع بداخل المدينة حوزة وأراد التفرد بسكانها مع حشمه وخوله كيما يتحصن فيها [م] من عائلته، فأخرج سُوَره ومده من ركن قصر

اشبيلية القبلي مما يلي الشرق على مائتي ذراع من القصر وأخرج به الى ناحية الغرب مما يلي الجوف على مثل ذلك الذرع، وذهب الى ادخال المسجد الجامع معه في قصبته، وان يكون بابها المعروف بباب حميدة الشارع الى مقبرة الفخارين. فلما شرع في ذلك وتوسط البنيان اجتمع بنو خلدون وبنو حجاج وأكثرو وجوه أهل الحاضرة لانكار ما ذهب اليه من ذلك، والارتياب به، وكتبوا الى امية : انك تريد ان تحدث في مدينتنا حدثا لم تسبق اليه، ونحن لا نقرك عليه. فأجابهم أن المدينة للأمير، أكرمه الله، وأنا عامله وقد عهد الي في هذا بما لا بد لي من تنفيذه، فعليكم بالطاعة فيما أحببتم أو كرهتم، فأبوا من تركه ومنعوه من البنيان وناشبوه الحرب، فوجدوه مستعدا ومعه جملة من الحشم قد كان ألحقهم وجمعهم فاستظهر عليهم بهم فأقصروا عن مغالبته ولاذوا بطاعته وسلموا لأمره فلم يقبل ذلك منهم إلا على رهائن من وجوههم يضعونهم عنده ليطمئن الى حبسهم لديه فأجابوه الى ذلك فأشط في تخيرهم ولم يدع من بيوتات العرب بيتا إلا أخذ منه رهينة، ولدا وأخا وابن عم. فلما قبض منهم الرهائن طابت نفسه فتمادى في عمله، وهم مغلون عليه مترصدون لغرته، وقد استمالوا بعض أصحابه فصيروه عينا، فلما اخلا بعض أيام بالعمل وتفرق كثير من أصحابه وغلمانه وخرجوا عن القصر في حوائجهم، نبه ذلك العين مرصدته من بني حجاج وبني خلدون على غرته وعزمهم بإمكان الفرصة فيه لخلوته، وقد كانوا مستعدين للوثبة به، فقصدوه للوقت وأخذوا عليه باب القصر، فمن كان خارجا عنه لم يقدر على الدخول اليه وبادر امية الصعود الى أعلى القصر فيمن خلص معه من غلمانه وخوله وجعل يرميهم من أعلاه ويدافعهم ما استطاع ولا يقدرون على التعلق به فلما رأى انهم لا يقلعون عنه أخرج الرهائن الذين كانوا عنده منهم فأشرف بهم الى موضع يراهم منه أهلوهم وأمر بضرب عناقهم فاستغاثوا وأرسلوا [الى] أهليهم في تخليصهم من يده، فبعث اليه بنو خلدون وبنو حجاج يستوقفونه ويستلطفونه بالقول ويتوسلون اليه بذمة السلف ويسألونه الإبقاء ويعرفونه أن مذهبهم ملك بلدهم على السلطان على ما قد فعله سواهم من أهل الكور، وان تمام ذلك بخروجه آمنا على نفسه وماله وأصحابه، على أن يواثقوه على ذلك بما تطيب به نفسه، فيذهب عنهم ويخليهم والسلطان. فإذا صح له ارتجاع كورة واحدة ممن خرج عنه كانوا هم أسوة الناس، فأجابهم الى ذلك

إذ لم تكن له قوة على المدافعة. وأشرف من ناحية القصر على الجامع، فوقف كريب بن خلدون وأبوه وابراهيم بن حجاج وأخوه وبشر بن محمد بن عبد الملك على الباب الشرقي على مما يلي القصر، وحلف له كل واحد منهم خمسين يمينا على الوفاء بما عاقدوه عليه وانه لا ينبذه بمكروه ويخلي له سبيله ويبلغ مأمنه، فلما اقتضى إيمانهم طابت نفسه وأطلق اليهم رهائنهم. فلما صاروا عندهم نكثوا ايمانهم وغدروا بأمية وعادوا الى حربه من يومهم ذلك، فأيقن بالهلاك ووطن نفسه على الموت ودعته الأنفة الى قتل جواريه وعقر خيله وجمع حليته وثيابه وفرشه في بين من القصر وصب على جميعهم من نفط كانت عنده وضرمها النار فصارت حمماً وأبقى على نفسه درعه وسيفه في يده، فلم يزل يقاتلهم مقدما عليهم حتى قتل مقبلا غير مدبر، فعاثت العامة برأسه وجسده عيثا شديدا، وملكت العرب البلد، فكتبوا لوقتهم الى الأمير عبد الله يقولون ان أمية أظهر الخلعان وأحدث بالمدينة حدثا خفنا من أجله على الدولة فقمنا منكرين فأوقع بيننا وبينه حربا طاح فيها بخيانته على نفسه، وذكروا أنهم على طاعتهم غير خاتلين عنها واستدعوا عاملا ينفذه اليهم، فأظهر الأمير قبول عذرهم وأنفذ المددي عاملا عليهم فصار في قبضة كريب وابراهيم مصير التابع أجيرا عليه وظيفة من لحم وخبز وعلوفة ومنعاة انفاذ شيء في الكورة إلا عن إذنهما وهما من خلال ذلك موطنا على الفتنة ومستكثران من الاتباع. ثم أخرج الأمير عبد الله الى اشبيلية عمه هشام بن الأمير عبد الرحمن وبعث معه عمرو بن سعيد بن العباس عاملا وصرف المددي، فأتيا اشبيلية ونزل العم هشام في القصر، ونزل العامل عمرو بن سعيد في دار ناحية، فكانت سيرة ابن خلدون وابن حجاج فيهما كسيرتهما فيمن تقدمها من العمال في الحجر عليهما والضرب على أيديهما.

وكان مع العم هاشم ابن له يسمى مطرّفا تغلب عليه البطالة ويكثر التنزه في جهات البلد، فأغرى به كريب بن خلدون عمه مهديا رأسه فساقه ودواعي فتنته فرصد غرة الفتى مطرّفا حتى قتله بمكان [وقد] تفرق عنه غلمانه وجاء بعض من كان معه الى هشام مستغيثين، فلم يجسر على المضي نحوه ليلا الى ان أصبح فركب الى مصرعه فيمن أطاعه فوقف عليه قتيلا واحتمله الى القصر ودفنه هناك، وكتب الى الأمير عبد الله يعلمه بذلك ويستغيثه فتغافل عنه وعجز عن نصرته ووالى العامل عمرو

بن سعيد الكتب الى الأمير عبد الله يحركه للنظر في الكورة ويشرح له [صورتها ويصدقه على مستكن دائما، فوشى به كاتب له يدعى سحنون الى] بني خلدون، وقد كانوا استمالوه فصار عينا لهم على صاحبه ثقة على خبر مكاتبته، فوضعوا المراصد على الطريق حتى ظفروا ببعض كتبه بذلك الى عبد الملك بن امية الوزير، وكان صاحبه عند السلطان فوقفوا عمرو بن سعيد عليها وأغلظوا له القول ومنعوه الخروج من منزله أياما الى أن سكنت الأمور، فتغافلوا عنه وقدم الى اشبيلية على تفيه (كذا) ذلك محمد بن عبيد الله بن أبي عثمن، من قبل الأمير عبد الله، حاشدا لأهلها ولمن خلفهم من أهل الغرب للخروج في الغزو، فأرادوا إظهار البراءة مما نسب اليهم باجابتهم الى النفير وهم لا يشكون ان الغزوة الى ناحية الشرق، فخرج ابراهيم بن حجاج بنفسه في وجوه أصحابه، وأخرج كريب بن خلدون أخاه في وجوه أصحابه، وخرج من شذونة(161) [سليمن بن محمد بن عبد الملك الشذوني وأخوه مسلمة في عدة من أصحابه فلحقوا بأجمعهم بقرطبة ودخلوا العسكر وقد قلده الأمير عبد الله ابنه المطرف(162)] بن عبد الله، وأخرج عبد الملك بن امية الوزير قائدا وأمره بقصد

(161) شذونة هي مدينة ابن السليم (Medina Sidonia) بالاسبانية، وقد ذكر ابن المنعم الحميري ان شذونة «هي التي تعرف في عصرنا بمدينة ابن السليم، وبنو السليم قد انصرفوا اليها عند خراب مدينة قلشانة» (Galsena) ومدينة شذونة مركز إداري في مدينة قادس وتقع على 40 كلم الى شرقها.

(162) تعتبر رواية ابن حيان عن حياة المطرف بن الأمير عبد الله ومصيره أوفى وأدق ما وصل الينا. ورواية ابن عذاري تلقي ضوءا على أسباب قتل عبد الله لابنه، وهي أسباب سياسية قوية وأهمها قتله أخاه محمدا، بعد ما كان قد التجأ من أبيه الى ثائر ببشتر، عمر بن حفصون، ولكن ابن حيان يجعل السبب المباشر لهذا العمل تخطيط قتل المطرف عبد الملك بن أمية، قائد عبد الله ووزيره. وابن خلدون هو أيضا يربط بين قتله الوزير ومصرعه على يد أبيه، ولو أنه هو الذي قتل أخاه محمدا، وأما ابن الخطيب فانه يربط قتل المطرف بقتله محمدا مباشرة في أعمال الأعلام حيث يقول «ثم قتله (محمدا) أخاه في السجن، وقتل عبد الله المطرف قاتله» محمدا مباشرة في أعمال الأعلام حيث يقول «ثم قتله (محمدا) أخاه في السجن، وقتل عبد الله المطرف قاتله». ولكنه في الاحاطة يعزو مقتل المطرف الى سعاية من معاوية ابن هشام والد عبد الله بسبب قصة تدور حول الغرام بالنسوان. ويقول ان معاوية كاشف الأمير عبد الله بما أزعجه «فأصاب مقتله سهم سعايته». واثر ذلك بعث الأمير عبد الله عسكرا الى دار مطرف «فقوتل في داره حتى أخذ وجيء به اليه، فشاور الوزراء في قتله فأشار عليه بعضهم أن لا يقتله وقال بعضهم إن لم تقتله قتلك، فأمر ابن مضر بصرفه الى داره وقتله فيها وان يدفنه تحت الريحانة التي كان يشرب الخمر تحتها، وهو ابن سبع وعشرين سنة». انظر تفاصيل هذه الحادثة في الاحاطة (280/3) المغرب لابن سعيد (1/ 182) وفيه : «وقيل ان أباه قتل الاثنين» أعمال الأعلام (ص : 28—29 نفح الطيب 353/1) البيان (150/2) العبر (137/136/4) الحلة السيراء (374—368—367/1).

كورة الغرب واصلاحها. فلما تأمل في ذلك ابن حجاج وأصحابه العرب سقط في أيديهم وساءت ظنونهم واستعجل سليمان بن عبد الملك الشذوني الفرار وخرج الى بلده فأوجبت الصورة الاسترابة بأصحابه وبأخيه مسلمة، فأمر الولد المطرف باعتقالهم جميعا والتوكل في العسكر، فحصل في اعتقاله ابراهيم بن حجاج وخالد بن عثمان بن خلدون ومسلمة بن عبد الملك الشذوني في جماعة من أهلهم، وبلغ ذلك كريب بن عثمان بن خلدون، فوبخ العم هشاما والعامل عمرو على ما صنع المطرف بأهله وأخيه واعتقلهما ومن معهما في القصر ورتب على أبوابه، ومنع من صار فيه من التسوق وطلب الحاجات حتى أشفوا على الهلاك وأوصى الى هشام يقسم بالله لئن بدر من الولد (المطرف) والقائد الى أخي شيء أكرهه لأخذت بثاري فيك وأمره أن يكاتبهما بالكف عن أخيه وقومه والرفق بهم والاسترحام على نفسه المرتهنة بهم، وفعل هشام ما رسمه له فأعرض المطرف عنه وترك القوم في حبسه وتقدم إلى كورة شذونة [فافتتح حصن تبريشة وأخرج سليمن بن عبد الملك عنه وأحكم أمر كورة شذونة] واضطرب بها مدة فكايد كريب ابن عثمن ابن خلدون الولد المطرف وكاتبه سرا على يد أحمد بن هشام بن عبد العزيز للتباين الذي كان بين أحمد بن هاشم(163) وبين الوزير القائد عبد الملك بن عبد الله بن امية يذكر ان أصل شرورهم على الولد مطرف واستجاشهم من الانقياد لطاعته خوفهم من عبد الملك بن عبد الله بن أمية، قائد الجيش وتوقعهم لسطوته إذ يعلمون ملكه للأمور على المطرف وجريانها على ارادته ومذهبه في اصطلامهم ما قد عمله الولد المطرف ويعمله عامة الناس، فذلك [هو] الذي يحملهم على منابذته وممانعته، فلو أراحهم الله [وأراح] نفسه من عبد الملك وغلظته لطابوا نفسا بطاعته وألقوا بمقاليدهم اليه وسلموا الكورة فهاجوا من أحمد بن هاشم على عبد الملك ضرام نار سعى سعيه في الحام ما سدوه من هذه الحيلة على ابن أمية لقوة عداوته له وطلبه إياه بثأر هاشم ابيه إذ كان أكبر الساعين عليه، فلم يزل يزين للمطرف الايقاع بعبد الملك، مع كامن حقد المطرف عليه وشهوته في إبادته إلى أن اعتزم على ذلك مقدما على ابيه الأمير عبد الله فيه فوائق كريب ابن عثمن بالايمان

(163) انظر الحلة السيراء (142/1 — 374/2) والبيان (134/2).

المغلظة على الخروج اليه متى قتل ابن امية ووضع يده في يده واتبرء اليه بالمدينة وتصيرها في يده. فلما أعطاه كريب [الوعد] اغتر منه وبطش بعبد الملك بن عبد الله بن أميه وقتله ثم استدعى الوفاء من كريب بوعده في الخروج اليه فأظهر الاستجابة فبدأ فأباح لعسكره دخول المدينة وفتح لهم أبوابها للتسوق فيها فأزال الرقباء عن ابن هشام فكان سبب إفلاته وانطلاقه بعد يأسه من الحياة، فاستنظر كريب الولد مطرفا في الخروج اليه ثلاثة أيام يتأهب فيها لخروجه ويصلح شأنه. وقد بعث خلال ذلك رسله وثقاته الى خلفائه من أهل الخلاف بكورتي لبلة وشذونة يستنهضهم اليه، فلما أتته امداهم مبادرين قويت نفسه على الامتناع واستحكمت بصيرته في القتال فلم يرع الولد وأهل العسكر إلا تسريحه الخيل اليهم وهم مطمئنون بحال غرة وغفلة، فنال من المقدمة وكاد البلاء بأهلها يعظم لولا أن ثاب أهل البصائر من رجال السلطان. [والتحمت بينهم وبين الفسقة حرب عظيمة كان آخرها لأصحاب السلطان،] فهزموا الخبيث كريبا وأصحابه واجحروهم في المدينة، وأغلق أبوابها على نفسه وأقام متلهفا على خاتمة فرصته، واستبصر الولد في الفاسق كريب بعد جهله، وندم على ما أحدثه في ابن أميه بحيث لم ينفعه ندمه، فعمل على الحرب وأخذ لها أوزارها واستقود على عسكره احمد بن هاشم مكان عبد الملك بن عبد الله بن أمية وأمره بالاستعداد للحرب وإقامة مراتبها، وزحف الى مدينة اشبيلية فحاربها ثلاثة أيام، فلما أعجزه الظفر بها وصرح كريب بن عثمن بالغدر والنكث، رحل عنها بعد أن جلد سحنون الكاتب، صاحب عمرو بن سعيد، عامل المدينة المظاهر للخلاف خمسمائة سوط وقطع لسانه، ثم قصد الى حصن ابن حجاج المعروف برغوان، وهو من المدينة على ثمانية أميال، أول حصن على ضفة النهر الاعظم، فغلب عليه وهدمه وضم صاحبه ابراهيم بن حجاج ان عمل مع الفعلة في هدمه بيده بفاس يهدم به منزله مع الهادمين وانه لفي قيده.

ثم رحل الى حصن كريب بن عثمن بالبر ففتحه وولاه من يقوم به، ثم تقدم منه الى حصن قصر الوادي واستدعى عثمان بن عمرون المنتزى بلبلة فجاءه محكما في نفسه فانفى عليه وولى مكانه محمد بن عبد الله العبدي، وأمره بمحاربة اهل اشبيلية

وولاه ما غلب عليه من اقاليمها وإنما المسافة بين حصن القصر واشبيلية خمسة عشر ميلا وعهد الى ابن عمرون بالطوع له والمعونة على ما ابتغاه، ثم قفل الولد المطرف الى قرطبة، فجاء معه ابراهيم بن حجاج وخالد بن عثمان بن خلدون، أخي كريب الناكث به ومسلمة بن محمد بن عبد الملك الشذوني واصحابه مكبلين، فامر الامير عبد الله عند ذلك بحبسهم وغضب على ولده المطرف لقتله عبد الملك بن عبد الله بن اميه غضبا آل الامر به فيه الى ان قتله فالحقه به.

وأخرج إثر ذلك ابن خمير الى ناحية الغرب وولاه مكان محمد بن عبد الملك العبدري وأمره بقتله فقبض عليه وجاء به الى قرية ارنبسه من حيز اشبيلية فقتله بها على أعين الناس وأرسل رأسه إلى قرطبة وألقى جثته في النهر.

فلما اشتدت شوكة المارق عمر بن حفصون، أشار بعض وزراء الامير باطلاق المحبسين عنده من بني حجاج وبني خلدون وبني عبد الملك وأصحابهم، وقال ان حسبهم عن حصونهم مملا يؤمن معه تغلب ابن حفصون عليها وهم على كل حال أضعف شوكة منه وإن توثق منهم بالامان ومن عليهم بالاطلاق شكروا حادث النعمة وسدوا بلادهم عن ابن حفصون، فعمل الامير برأيه واطلق عامتهم بعد ان أقسم كل واحد منهم في المسجد الجامع بقرطبة خمسين يمينا ان لا يخرج أبدا عن طاعة ولا يهم بشيء من المعصية، وأخذت منه رهائن واطلق جميعهم، فلما صاروا الى مواضعهم نكثوا ايمانهم وعادوا الى اشد ما كانوا عليه من خلعانهم ومنعوا الجباية جملة، وانبسطوا الى اموال الرعية ولفقوا فساق الناس على المعصية واتبعوا الفتنة فكايدهم الامير عبد الله بان اغزى بعضهم ببعض وتولى ذلك لوزيره وكاتبه عبد الله بن محمد بن ابي عبدة، فلم يلبث ان وثب ابراهيم بن حجاج بكريب بن عثمن بن خلدون وأخيه خالد فقتلهما وتفرد بملك اشبيلية وكتب الى الامير عبد الله يتبرأ منهما ويقول انهما كانا من الحاملين له على النكث وانه على خلاف رأيهما وبصيرتهما، وخطبت اليه ولاية اشبيلية على أن يحمل من فضل جبايتها بعد إقامة لسائر نفقاتها سبعة آلاف دينار، فأجابه الامير الى ذلك وعقد له وأشرك في الولاية معه قاسم بن الوليد الكلبي، فأقام معه شهرا ثم استعفاه فعزل قاسما وافرد ابراهيم بالولاية، فبسط يده على الرعية واكتسب

الأموال واصطنع الرجال وارتقى في الأحوال واشتط على الأمير عبد الله بان ساله اطلاق ولده الرهينة عنده فلم يسعفه فنبذ الطاعة ومنع مال المفارقة وظافر الخبيث عمر بن حفصون فامده بالمال والرجال فقويت شوكة ابن حفصون وازدادت طماعيته وهو في حال يرسل إلى الأمير عبد الله من يشير عليه في اسعافه في ولده واجابته إلى اطلاقه ويتضمن مع تمام ذلك له معاودته إلى الطاعة ولزومه الاستقامة حتى استجاب الأمير لذلك، فاطلق له ولده وجدد له الاسجال على كورة اشبيلية فعاود بالطاعة وتخلى عن ابن حفصون ووالى حمل مال المفارقة وايجاب السلطان بالهدايا إلى أن هلك.

وذكر بعض الرواة [أن] وقيعة الحاضرة كانت على أهل إشبيلية يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادي الاولى سنة ست وسبعين ومائتين، وهو يوم حلول القائدين بها، جعفر بن عبد الغفار واصبغ بن عيسى بن فطيس، واتصلت الوقيعة يوم الأربعاء بعده وقتل منهم آلاف سوى من مات في النهر غرقا ممن طلب النجاة باقتحامه[إياه]، وقد كانوا حاصروا الولد محمد بن الأمير عبد الله بالقصر وأحاطوا به واوفوا على دخوله. فلما دخل العسكر عليهم بهتوا فانهزموا وبذل السيف فيهم فلم يكن بعد وقعة قرطبة حدث يشبهه، وقفل الولد محمد مع القائدين أثر ذلك إلى قرطبة، وعودو (كذا) أمية بن عبد الغافر، أخو جعد، قائدا بالكورة وانفذ الأمير عبد الله عهودا الى أهل إشبيلية باقالتهم وتامينهم على أنفسهم وأموالهم والصفح على حدثهم، فلم تصف لهم طاعة بقية أيامه، وكتب عمرو بن حفصون الى الأمير، وهو يومئذ مستمسك بالطاعة يطلب الاقالة من وزيره القائد جعفر بن عبد الغافر لمحمد بن غالب المولدي صاحب الذي قتله جعد بالسبب [الذي] تقدم ذكره، وكان فارس المولدين بأسا ونجدة وله الى عمر حظوظ و.... ويريه الجد في طلب دمه فهيب ذلك جعد بن عبد الغافر [لشدة شوكة ابن حفصون، وخرج من قرطبة ومعه أخواه هاشم وعبد الغافر] في جماعتهم واصحابهم وفيهم أبان بن حمزة القرشي وأخوه يريدان اللحاق بأمية بن عبد الغافر، أخي جعد باشبيلية وكان جعد قد أودع ماله وستر عياله وخرج من قرطبة ليلا مع أصحابه فساروا ليلتهم وأصبحوا بحصن شنت فيله المجاور لمدور الصدف وبه ابن الليث العريف فعدلوا إليه مستضيفين فأضافهم وأحسن قراهم واتصل نزولهم

باخوة قتلة ابن غالب وهم عند المعروف الطماشكه البربري المنتزى بتلك الناحية فاستجاشوه على جعد فسار معهم باصحابه فلم يشعر جعد بهم حتى غشوه ووضعوا أيديهم على دوابه ودواب أصحابه فاتهوها، ودافعهم جعد وأصحابه بأشد مدافعة حتى كثروا فقتل جعد وأخواه وأخرج من كان خرج معهم واستأمن منهم إبان بن حمزة القريشي بعد أن قتل أخوه. فلما اتصل ذلك بامية بن عبد الغافر، وهو بعد بإشبيلية حزن على إخوته وهاجت حميته فاستدعى عرب إشبيلية وعرب قرمونة للثورة على المولدين من أهل إشبيلية فحملوا السيف عليهم بداخل المدينة وأحوازها وعلى من ضامهم من الأعاجم فلم يدعوا منهم أحدا إلا قتلوه وأخذوا ماله، ففنيت المولدة بإشبيلية [إلا قليلا، فانكسرت شوكتهم واستخلصت من يومئذ إشبيلية] وانفردت فيها(العرب) ثم ثارت بأمية بن عبد الغافر مستدعيا الى مديدة فحاصرته بقصر اشبيلية وأخذت بمخنقه ومنعته الغذاء حتى أشرف على الموت فقتل عياله وعقر دوابه ثم قاتلهم وحده كالأسد الخادر، حتى نالت رأسه أجرة أصابت مقتله فانجدل وحزّ رأسه، فذهب ملك السلطان بعده لكورة إشبيلية وملكتها العرب فاقتسمت المدينة قسمين : بنو خلدون في جانب منها مع من والاهم، وبنو حجاج في [قسم] آخر بمن انضوى إليهم يطالع نواء جيد المنافسة فلم يزالوا كذلك مديدة الى أن غدر إبراهيم بن حجاج [بـ] بني خلدون وتخطاهم الى غيرهم والى إخوته وبني عمه فقتلهم وشتتهم وانفرد بملك إشبيلية فاستقام أمرها، وذلك من صدر سنة ست وثمانين ومائتين الى سنة ثمان وتسعين ومائتين، ونسقنا ذلك لنظم الخبر وان كان وقت من مساق التاريخ لم يان فالمتاع الحسن في جمعه.

قال : وكانت وقعة العرب هذه بإشبيلية على المولدين ومن لف بهم شبيهة بوقيعة قومهم العرب مع أميرهم سوار بالبيرة على المولدين والاعاجم بقدر محتوم في أمر مقادات فابادت أخراهما مولدى إشبيلية وقد كانوا أغلظ أهلها شوكة وأوسعهم نعمة وأعزهم جانبا وأحضرهم عدة يعتدون في إثني عشر رئيسا لكل رئيس منهم عقدة يعقدها وعدة يعتد بها وطائفة يلجأ الى جانبيها فكانت قاصمتهم الكبرى في سبيل الحمية من قتل صاحبهم غالب بن محمد بقرمونة، وأرادوا الدرك بثأره فحانوا جميعا

وفنوا على ما تقدم وصفه، وقد ذكر عبد الله شاعر الموازنة من العرب ما بلوا به في هذه الواقعة في شعر له :

أبدنا بالسيوف بني العبيد ... فراحوا هامدين على الصعيد
قتلنا منهم عشرين الفا ... فقللنا الكثير من العديد
سوى من مات سبيا وغرقا ... بنهر زاخر الأمواج مود
بني قحطان للاذواء تنمى ... وينمى العبيد للعبيد
كلاب في ثياب اللوم رامت ... تغاور في العرين حمى الأسود
فراش الناس وانتعشوا وجلوا ... وفودا في الجحيم على ثمود

ثورة التجيبيين بسرقسطة:

قال عيسى بن أحمد (الرازي) : وفيها انتقضت مدينة سرقسطة وعملها من الثغر الأعلى على الأمير عبد الله أيضا ومرقت عن طاعته وثار بها أبو يحي محمد بن عبدالعزيز التجيبي[164] المعروف بالانقر فقتل أحمد بن البراء بن ملك القرشي المرواني، من بني العباس، عامل الأمير عبد الله على سرقسطة واستولى عليها، وذلك يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان منها توصل الى قتل ابن البراء، زعموا من قبل غلمان لهم، حثهم عليه واختدعهم ومناهم، فاتفق أولئك الغلمان مع أبي يحيى ثم هجموا على أحمد بن البراء فقتلوه في اليوم المؤرخ.

أظهر أبو يحيى التمسك بطاعة الامير عبد الله وخاطبه ينسب أحمد بن البراء الى الخلاف ونفسه الى الامتعاض، فاظهر الامير تصديقة وسجل له على سرقسطة فثبت فيها قدمه.

وقال أبو بكر بن القوطية : كان الأمير منذر بن محمد قد ولّى أحمد بن البراء بن ملك القرشي سرقسطة وثغرها ومحاربة بني قسى[165] المنتزين بالثغر الأعلى، فأقره الأمير عبد الله أخوه لما ولّى، فعلى أمر أحمد بن البراء بالثغر واستكثر من الرجال وعلت به الحال، وكان أبوه، البراء بن ملك، مقيما بقرطبة وزيرا في جملة وزراء البيت

(164) انظر عن التجيبيين الحلة السيراء (79/2) وكذلك أخبار دوزي، المصدر المذكور.
(165) الحلة السيراء، المصدر المذكور.

في منطقة فضل فنقل عنه إلى الأمير عبد الله كلام لم يوافقه أطلقه في البيت وسمعه جميع الوزراء أصحابه، أحنق الأمير عليه، وجر الاتهام الى ابنه والي الثغور، وقد كان أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن التجيبي السرقسطي جد هؤلاء التجيبيين المتداولين لسلطان الثغر في حالتي الانتزاء والطاعة ذا اتصال بالأمير، عبد الله وهو ولد أيام والده الأمير محمد، وله ببلده حال رفيعة ورئاسة ممهدة، فكتب اليه الأمير عبد الله سرا يأمره بالفتك بأحمد بن البراء ويعده ولاية البلد بعده، وانفذ له سجله على سرّقسطة وأعمالها، فأطلع أبو يحيى أباه عبد الرحمن بن عبد العزيز على ذلك وشاركه فيه، فادار على أحمد بن البراء أمرا كان فيه حتفه، ودسا عليه بعض غلمانه ممن علم فساد ضمائرهم عليه، فقتلوه، وتولى أبو يحيى محمد بن عبد الرحمن إمارة سرقسطة مكانه، واتصل الخبر بالأمير عبد الله فعزل البراء بن ملك عن الوزارة وأقصاه وأقر محمد بن عبد الرحمن على ما تولاه فحسده محمد بن لبّ[166] القسوى المنتزى بالثغر الأعلى على ما استوى له من ذلك ونصب الحرب له وتكرّر على سرقسطة وأعمالها بالغارات والغزوات ثماني عشرة سنة متوالية فلقى محمد بن عبد الرحمن وأهل سرقسطة منه جهدا حتى هيأ الله هم قتله ببابها في بعض مقاصده الى سرقسطة بيد رجل من الفراشين انتزعه بزرقة بين بساتينها لما انبسط ابن لبّ خلالها و [كان] هذا الرجل متمكنا بها وهو لا يعلم مكانه وبانت له الغرة منه فأثبته بحربته فقتله واحتمله أصحابه قتيلا الى بلده فانكشفت وجوه التجيبيين بعده وقوي سلطانهم وتوارثوا ملك سرقسطة وهوى نجم القسويين بعد مهلك محمد، واعتورهم الأدبار وغشيتهم دولة الجماعة باستخلاف الخليفة الناصر لدين الله، عبد الرحمن بن محمد، بعده جده عبد الله، فصحبه سعد ذلل له كل مخالف حتى استنزل جميعهم من معاقلهم وحسم من الخلاف مطامعهم وأخرج جميع بني قسي هؤلاء العوارة المستظهرين بأحلافهم من كفرة نصارى بنبلونة على فسقهم في أوائل من استنزله من أهل الخلاف الى قرطبة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة فصاروا في جنده، وجميع الثغر الأعلى كله لأبي يحيى محمد بن عبد الرحمن وأولاه من بعده.

(166) نفس المصدر.

رجع الحديث الى عيسى بن أحمد (الرازي) :

قال عيسى بن أحمد : وفيها اعتل اسماعيل القسوي(167) صاحب لاردة(168) القاصية المنتزى بالثغر الأعلى بالمد وتعطل فقام بأمره من بعده ابناه، موسى ومصرّف فلم يلبثا أن خرجا لشد عملهما ببربطانية(169) فلما صارا ببعض الطريق ألقت عليهما مكامن أعدها لهما عدو أفناهما ابن عبد الملك بن شبريط المعروف بالطويل، صاحب مدينة وشقة(170) فنازعهما ما في أيديهما لحجا فيهما، ووقعت بينهما حرب شديدة انهزم عنها ابنا اسماعيل وقتل من أصحابهما ثلاث مائة مقاتل وطلبتهما الخيل إلى أن لحقتهما فقتل موسى وأسر مطرف، وتغلب الطويل على لاردة وبربطانية، وهلك أبوهما العليل اسماعيل على تقية ذلك فتنازع الطويل ومحمد بن لبّ في ولاية عمله فتراضيا بمن يوليه الأمير عبد الله منهما وكتب اليه فآثر محمد بن لبّ منهما وولاه فكان شرا عليه.

خبر سوّار مع أهل بجانة :

قال عيسى : وفيها غزا سوّار بن حمدون المحاربي أمير العرب بغرناطة من كورة البيرة البحريين الذين اختطوا مدينة بجانة بأمر الأمير المنذر وأخيه الأمير عبد الله، وقد بلغه حسن حالهم فيها واجتماع الناس اليهم واستخفافهم بمن جاورهم من العرب

(167) انظر صفة الأندلس لابن عبد المنعم الحميري (رقم 157 ص : 168).

(168) Lerida بالاسبانية. مدينة في ثغر الأندلس الشرقي تطل على نهر يسمى شقير بشرق وشقة (Huesca) جدد بناءها اسماعيل بن موسى بن لب في سنة 270 هـ. بعد ما خربت وأقفرت. وصف ابن عبد المنعم الحميري حصنها بأنه «منيع لا يرام» (نفس المصدر).
اشتهرت لاردة بخصب أرضيها وحصونها، وبرعة الكتان الذي كان يصدر منها الى جميع نواحي الثغور. انظر القارة الافريقية وجزيرة الأندلس للادريسي (ص : 278)، معجم البلدان (7/5)، آثار البلاد للقزويني (: 549) المغرب لابن سعيد (2/459) وفيه ذكر «كتاب الغصون اليانعة في حلى مدينة لاردة».

(169) بربطانية ضبط الياء الثانية، كما ضبطها ياقوت الذي صفها : انها مدينة كبيرة بالأندلس يتصل عملها بعمل لاردة وكانت سدا بين المسلمين والروم». معجم البلدان (1/376). وفي معرض الحديث عن وشقة قال عبد المنعم الحميري ان أحوازها تتصل بأحواز بربطانية. صفة الأندلس (رقم 190 ص : 195)

(170) Huesca بالاسبانية. مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة خمسون ميلا. وصفها ابن عبد المنعم الحميري بأن «بها أسواقا عامرة وصنائع قائمة». وهي مدينة كبيرة رائعة البناء ح ويقول ابن سعيد ان «وشقة من مشاهير مدن الأندلس أحدثها النصارى في أول نشأة عمتها»، وذكر «كتاب الرشفة في حلى مدينة وشقة». انظر صفة الأندلس (رقم 190 ص : 194) كتاب المغرب (2/461) معجم البلدان (5/377) القارة الافريقية وجزيرة الأندلس (ص : 261—271).

الغسانيين واستطالتهم عليهم، وخوفهم منهم على أنفسهم لقلة عددهم، فقصدهم سوّار في عرب البيرة المنتزين معه الى حصن غرناطة طمعا في انتهاز الفرصة منهم واخراجهم عن وطنهم بجانة وانتصر لقومه الغسانيين منهم، وكان عامل السلطان يومئذ على هؤلاء البحريين رجل منهم اسمه عبد الرزاق بن عيسى، قد طار له الإسم بحسن السيرة وجودة الضبط والحزامة مع الغلظة والدعارة والمبالغة في عقوبة من ظفر به منهم، حتى ان المسافرين عندهم كانوا يضعون أمتعتهم ورحالهم بالأسواق والشوارع مطروحة بلا حارس فلا يكاد يضيع شيء منها، وذلك كان من أعظم أسباب اجتماع الناس الى بجانة من الآفاق واغتباطهم بحلولها وسكونهم الى ضبط أميرها عبد الرزاق وحمايته وتحصينه الفروج والأموال وتوسعة الغارة في ما حول بجانة، حتى قامت فيها حصون كثيرة وقرى آهلة في الاسناد ونشارة وغيرهما، وحافظ على رعاية من قصد بلده ورغب في مجاورته، فكثر الناس لديه واغتبطوا به وبجواره، وحسده كثير ممن جاوره على حسن حاله فقصده سوّار في هذا الوقت طمعا فيه. فلما علم عبد الرزاق خبره رهب شدّته وذهب الى مداراته فأخرج وجوه البحريين أصحابه الى العرب الغسانيين جيرانهم يستذمونهم بذمة جيرتهم ويستسمحون عن إجرام سفهائهم ويستشفعون بهم الى سوّار، [ابن] عشيرتهم، ويسألونهم لقاءه واستلطافه ووعظه فيهم وسؤاله [أن] لا يدخل بينهم إذ كانوا جيرة ولحمة وهم أقدر على إصلاح ما يقع بينهم والرغبة اليه في الانصراف عنهم ومواثقته على اجمال عشيرتهم فأسعفهم الغسانيون بذلك وخرجت جماعة من وجوههم الى سوّار، منهم سعيد وخشخاش ابنه ومحمد بن عمر بن أسود ابن أخيه، وكان مكفوفا، وأبوه، الأدهم بن مخلد الغساني، وغيرهم فلقوا سوّار وكلموه واستلطفوه حتى انصرف عنهم وهلك على تفية ذلك وصار مكانه سعيد بن جودي فعاد البحريون الى التمرس بالغسانيين الذي كانوا شفعاءهم والتمرس لهم والتّهويس بما كان منهم في مدافعة سوّار عنهم حتى استحال الغسانيون عليهم وأنفوا من استطالتهم فكتبوا [الى]ابن جودي يشكونهم واستنهضوا لغزوهم وقصده بعضهم لما ابطأ عليهم محركا،فخف معهم، وجاء الى بجّانة، وهي مدربه لم يضرب عليها بعد سور، فحاربهم فيها أياما قاوموه فيها فلم يظفر منهم بطائل. وبينا هم على ذلك إذ احتل بينهم شنير، قومس انبورس، من بلاد الفرنجة في خمسة عشر مركبا

ارفات بساحل المرية، فرضه بجّانة، فاحترقت بها كثير من مراكبهم وغيرها وانتشرت بالغارة هناك حتى قتلت خلف بن زهرى بالخوض، وكان من أعلامهم، فخرج جميع البحريين نحو المرية ليلا، فلما أشرفوا على المرية هابهم العلوج فانبضوا والووا الى المتاركة ودعوا الى المفاداة والمبايعة فاجابهم البحريون الى ذلك وتم صلحهم على يدي عبد الرحمن بن مطرف الحاج صاحبهم، وكان ممن وقعت عين العلج شنير عليه وكان وسيما جميلا حسن الملبس فمال اليه فأذنه وقلده عهد صلحه مع قومه، وأجابه الى ما التمسه وقاربه فيما اشتهاه فانقضى ما كان بينهم وبين العلج من يومهم وانصرفت عنهم مراكبه فنزعوا لابن جودي ومن معه، وقد ظن ابن جودي ان مددا جاءهم فرحل عنهم مسرعا ولم يقم عليهم فثبتوا أعزة بمواطنهم وقد صاولهم بانصراف ابن جودي وانصرف صاحبه سوّار قبله عنهم [وكان لهم] اسم عظيم في البأس والقوة رفع عنهم الطماعة ممن حولهم من ذباب الفتنة فكفوا فيما بعد عن التعرض لهم، نصرت حاضرتهم بعطن وعمر قطينها وكثر أهلها واتسعت عمارتها وحسنت حال من فيها فلحقت بكبار أمصار الأندلس وحمت استعبادتها من قبل البحر فجل قدرها.

ذكر نزوان بن حفصون بين الجبل والغربية الى ان نكث العهد وفارق الطاعة

قال عيسى ابن احمد (الرازي) : وفي هذه السنة أيضا خرج عمر بن حفصون بجيشه معترضا لأهل الجزيرة الخضراء واعمالها، على أنه كان في وقته مظهرا للاستمساك بالطاعة مواصلا للأمير عبد الله، إمام الجماعة، فنازل أبا حرب بن شاكر البرنسي بحصن البلاط، وكان من أعمال الأمير بذلك الحصن، ومن أحسن الناس تمسكا بالطاعة، فدافع أبو حرب وقاتله ولم يزل مستظهرا عليه حتى وافقته زرقة من حيث لم يشعر بها أصابت مقتله فانجدل صريعا وانهزم أصحابه ولاذوا بالحصن فلازمهم عمر وضيق عليهم إلى أن أسلموا اليه الحصن على أمان أكّده فخرجوا عنه وتفرقوا، ثم صار عنه الى مدينة الجزيرة الخضراء فنازلهم، وقد كان الأمير محمد ضرب عليها سورا ومدنها، فدافعوه ابراهيم بن خالد عامل السلطان عنها مدافعة شديدة فانصرف الى قاعدته ببشتر، وقد سار اليها ظهيرة المارق، رزق ابن مندريل معينه على غيه، فشهد معه غزاته هذه فسأله عمر المسير الى ببشتر ليانسه به، ففعل وأقام أياما

بسط له فيها جناحه ثم اعتدى عليه فنقض عهده وغدر به، فأمر بقتله غيلة سلطه الله عليه بما اجترح، فولاه أمره وأراح منه بيده، فهرب عند ذلك ولد رزق هذا الى حصنه بجبل الجزيرة الخضراء ونصب لابن حفصون، ورأى أنه يطالبه بالترة فلم يزل ابن حفصون يداريه ويستصلحه الى أن رده الى نفسه فجاء اليه وأكرمه وأعاده الى مصافه.

وفي الوقت انتقض أهل الجزيرة على الأمير عبد الله، ففارقوا الطاعة وطردوا ابراهيم بن خالد، عامله، وذهبوا الى ملك أنفسهم حسبما فعله غيرهم فضبطوا مدينتهم وقدموا على أنفسهم حفصون المعروف بالبرنسي وموسى المعروف بالزيات، فتألب عليهم من جاورهم من البربر وناهضوهم طامعين فيهم، فدافعوهم عن المدينة وانصرفوا عنهم بجزية وعند هذا انتفضت العرب بكورة شذونة على السلطان أيضا وملكت ما في أيديهم فاستوسع نطاق الفتنة وصارت تلك الكورة جمرة مضطربة. فعند هذه الفورة بَايَن سعيد بن مستنة صاحب عمر بن حفصون بخلعان الأمير عبد الله، وأظهر مباينة خليله عمر بن حفصون لمقامه الى الوقت على ما يظهره من طاعته، وعاقد عرب اشبنيط ووشقة من قلعة يحصب، وهم بنو أسن ومن ظاهرهم على فانبسطوا بالغارات على الوى الطاعة بجهاتهم، وعند ذلك ابتنت العرب هذه الحصون على أرضهم وأرزوا الى القلعة المعروفة بقلعة يحصب[171] واستغاث الناس الأمير عبد

(171) وتسمى أيضا قلعة بني سعيد (Alcala La Real) «القلعة الملكية» الحديثة، تقع شمال غربي غرناطة. كانت قديما منزل أمراء بني سعيد الكتاب والمؤرخين الذين اشترك عدة أجيال منهم في تأليف كتاب المغرب في حلى المغرب الذي نحيل اليه في هذه الهوامش، وآخرهم هو أبو الحسن علي بن سعيد المتوفى سنة 685 هـ. على الأرجح، صاحب كتاب الجغرافيا، و(تحقيقنا) «القدح المعلى» و «المشرق في حلى المشرق» (مخطوط) و «الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد» و «رايات المبرزين» و «الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة»، وغيرها من الكتب القيمة. وفي قلعة يحصب ألف الحجاري كتاب المسهب لصاحبه عبد الملك بن سعيد. ومن الكتب التي تناولت هذه القلعة بالوصف «كتاب الطالع السعيد في حلى بني سعيد». ذكره ابن سعيد في المغرب. ولقد وصف الحجاري القلعة في المسهب بـ«عقاب الأندلس الآخذ بأزرار السماء عن غرر المجد والسناء، وهي رباط الجهاد وحصن أعيان وأمجاد. ومن غرر الشعر فيها قول أبو جعفر بن سعيد :

الى القلعة الغراء يهفو في الجوى	كأن فؤادي طائر زم عن وكر
هي الدار لا أرض سواها وإن نأت	وما وشحها إلا من الأنجم الزهر
السمت بأهل مما رأيت منصة	تجلت بحلي كالعروس من الدهر
لها البدر تاج والثريا شنوفها	وما وشحها إلا من الأنجم الزهر

انظر المغرب لابن سعيد (2/160—162—180—182) مقدمتنا لكتاب الجغرافيا، الاحاطة (الفهرس) ومعجم البلدان لياقوت، ونفح الطيب في مختلف المواضع.

الله منهم فأخرج اليهم ابراهيم بن خمير، قائدا في جيش ضمه اليه وكتب الى عمر بن حفصون يأمره بالخروج مع ابراهيم بن خمير لمحاربة سعيد بن مستنة وحلفائه من بني يبين وأشركه في قيادة الجيش مع ابن خمير، فخرج عمر بن حفصون مع ابراهيم وانحشدت لهما الحشود العظيمة، فكتب، عمر [الى] ابن مستنة في السر يثبته على الخلاف ويثنيه عما شرع فيه من موالاة العرب من بني يبين وغيرهم ويخوفه على ضمائرهم ويوصيه بالثبات على دعوته المولدية [التي] تضمن له تخفيف وطأة الجيش الذي هو فيه [مقبل] عنه، وفعل وفعل ذلك عنه وأوطا الجيش بلده وطأة من لا أرب له في النكاية ولا رغبة له في الاصلاح، وقد صار زمام الجيش بيده فتسلط على محاذيه من العرب، يقيد الرجال ويأخذ الأموال ويرجل الفرسان العرب بضرب من الاعتلال، فيحمل على خيولهم المولدين فإذا كلمه ابراهيم بن خمير في ذلك موه له العذر وحسن عليه الرد، فزاد الأمر فسادا واتسع الخرق وجال عمر بالعسكر حتى انتهى لمدينة وادي آش يغزو بمن معه من المولدين أهل دعوته ويذل أضدادهم من العرب محاذيه. وعند هذا افترض مدينة غرناطة عش العرب فأغزا بعضهم ولم يتمكن من جميعهم، ونزل على أهل حاضرة البيرة الرائين رأيه فارم ثم باين آخر ذلك كله بالانتكاث، وجاهر بالخلعان، فقبض على ابراهيم بن خمير قائد السلطان وعلى جماعة من أصحابه من العرفاء ووافى بهم الى حصن بيانة[172] فحاربه ودافعه أهلها وواقفوه ثم لاطفهم واختدعهم باعطائه إياهم العهود المؤكدة وتوثقه لهم بالايمان المغلظة فلما نزلوا اليه نقبض عليهم فقتل جماعة منهم وأصاب أموالهم وسبا ذراريهم وأقبل بجميع نهبهم وما غنمه لهم فصيره بداخل حصن بلاي[173] من كورة قبرة ونزل فيه برجاله مطلا على قنبانية قرطبة، وحصن بلاي غاية التحصين وشكه أشد الشوكة وكان قبل ذلك قد تسور ببلاي شربند بن حجاج القومس، خرج اليه هاربا من قرطبة لخوفه من حادث

(172) (Baena) بالاسبانية : مدينة قديمة في الأندلس تقع في جنوب شرقي قرطبة غير بعيد من قبرة التي كانت تابعة لها. وصفها ابن عبد المنعم الحميري بأنها «تقع على ربوة طيبة التربة كثيرة المياه السائحة بها حصن منيع، وبها جامع بناه الإمام عبد الرحمن». صفة جزيرة الأندلس (رقم 58 ص : 59—60). ومن بيانة العالم الفقيه قاسم بن أصبغ بن عطاء البياني.

(173) Polei بالاسبانية، وهو الاسم القديم لبلدة «اجيلار» (Aguilar) الحديثة. وفي موقعة بلاي الشهيرة هزم الأمير عبد الله قوات ابن حفصون في سنة 287 هـ.

أحدثه فيها فتقبله ابن حفصون وسرّ به وصيره انف كتيبته، فكان يسري بخيل عدوّ الله ابن حفصون ليلا فيصبح في أحواز قرطبة[174] فتقع الصيحة حوالي قرطبة كل وقت ويصير أهلها في حال أهل الثغور المصاقبة للعدو، فأخرج الأمير عبد الله الى ما هنالك خيلا أوقعت بشربند، لعنه الله، فقتلته في جملة من أصحابه فجيء برأسه الى قرطبة، فأمر الأمير عبد الله بقتل أبيه حجاج، وكان معتقلا بقرطبة، فصلب حجاج ورفع رأس ولده شربند الى جنبه، وجد الفاسق عمر بن حفصون في المعصية ورام الأمير عبد الله [ان] يثنيه الى ما كان عليه إظهارا للطاعة، فأبا عليه ولجّ في شقاقه فصعبت الحال معه منذ ملك حصن بلاي، وبالغ في تحصينه وعمارته فأخذ منه بمخنق أهل قرطبة أجمعين فاضطربت بأهلهاوضاقت عليهم جدا.

سنة سبع وسبعين ومائتين :

فيها غزا القائد احمد بن محمد بن أبي عبده الى حاضرة جيان، وبها خير بن شاكر على الخلاف فحاصره بالحاضرة وقتل جميع أصحابه وبعث برءوسهم الى قرطبة وأحرق كثيرا من دور الحاضرة وبلغ بحربه لهم وشداته عليهم باب بعلس وسلم الله أصحابه على استئصالهم فلم يبق منهم غير الرياحي العريف، وكان من فرسان العرب الموصوفين بالبأس والنجدة، ثم غزا بجيّان أيضا غزوة شاتية عبّاس بن عبد العزيز فأعمل عمر بن حفصون الحيلة في قتل ابن شاكر [وهو] يتقرب بذلك الى الأمير عبد الله ويغالطه في إصراره على المعصية، وذلك عندما أرسل ابن شاكر الى ابن حفصون يستمده على من قصده من جيش السلطان فأنفذ اليه خيلا من قبله عليها رجل من أشرار أصحابه يعرف بالريول قد واطأه عمر على قتل ابن شاكر، [فلما قرب الريول من حاضرة جيان بالمدد معه سرّ بذلك ابن شاكر] وخرج لاستقباله في خف من أصحابه ففتك به الريول ساعة أصاب غفلته وأنفذ رأسه الى ابن حفصون فأنفذه ابن حفصون الى الأمير عبد الله يوهمه في تماسكه. ثم توجه ابن حفصون الى حاضرة جيان فأغرمهم الأموال الجسيمة. وتمادى انتغاض عمر ابن حفصون في عقب سنة سبع وسبعين ومائتين وأقام بحصن بلاي مصطفاه يحصنه ويقويه ويحاصر من تلقائه

(174) (Cordoba) عاصمة الخلافة الأموية وكانت مركزا عظيما للثقافة الاسلامية تقع على الوادي الأعظم (Guadalquivir) وفيها المسجد الأموي العظيم الذي حول الى كتدرائية في عهد شارل الخامس. يبلغ عدد سكان قرطبة حاليا أكثر قليلا من ربع مليون نسمة.

كورة [illegible] وحصونها ومدينة ليسانة(175) يهود الذمة وغيرها من المدن و[illegible]ون المجاورة لأحواز [قر]طبة وقد ازداد الحال فيها ضيقا وشدة وأقامت حاضرتا البيرة و[illegible]ان في هذا الأمر [illegible] غرتين لا عامل للأمير عبد الله عليهما :

سنة ثمان وسبعين ومائتين :
خبر غزوه حصن بلاي وفتحه

قال عيسى بن احمد [الرازي] : فيها اشتدت شوكة الخبيث عمر بن حفصون وتداعى أهل الشر اليه من أقطار الأندلس وطمع في التغلب على جميعها وأظهر الميل الى دعوة المسودة من بني العباس والقيام بها ارهابا لبني مروان ملاكها. فذكر عنه مشيخة من أهل كورتي اشبيلية وريُّه انه كاتب ابن الأغلب أمير افريقية لبني العباس في إعلانه بدعوتهم ولاطفه بالهدايا وأبا ابن الأغلب إجابته وكافأه عن هديته و [لكنه] طمع فيه وكان جوابه إياه مشهورا عنهم فامتد أمل الخبيث عند ذلك واستعجل شره وألقى على قرطبة حضرة السلطان كلكله وتوصل لمقامه بحصن بلاي تجاه الأمير عبد الله الى اهاضته واضطهاده رعيته باقليم قرطبة، وجعل يسري من حصنه ذلك الليلة بعد الليلة فيطرق القنبانية(176) ويدنو من أبواب قرطبة حتى ينتهي الى كدى قرية شقندة(177) إزاء قصر الخلافة، بعدوة النهر الأعظم فيروع أهلها ويضيم سلطانها،

(175) وتسمى أحيانا اللسانة (Lucena) بالاسبانية، بلدة حصينة من أعمال غرناطة وفي شمال غربي لوشة [illegible] مقربة من نهر [illegible]

(176) تسمى أيضا الكبانية (Compina) بالاسبانية ضبطها ياقوت بفتح الكاف وسكون النون وبعد الأ[لف] [ن]ون مكسورة. قال [ياقوت] [ف]ي «ناحية بالأندلس قرب قرطبة»، وهو تعريف قصير لأن الكبانية الذي هو الشكل المعرّب [لك]لمة الاسبانية، [تعني] منطقة من الأراضي الزراعية السهلة أينما كانت، وهو نفس معنى الكلمة الفرنسية (Compagne) [أي] الريف. انظر معجم البلدان (481/4). وقد ذكرها ابن الخطيب في معرض الحديث عن غرناطة في الاحاطة ([illegible]) والمقري في النفح (154/1). انظر كذلك ملحق دوزي للمعاجم العربية (416/1) الذي يذكر أيضا قباب [illegible] [...]ة التي أوردها البكري في المغرب (ص : 108) وأعمال الأعلام لابن الخطيب (ص : 25) والقارة الافريقية و[illegible]س للادريسي (ص، 258).

(177) Se[cu]nda بالاسبانية : ربض قرطبة وقرية تقع قباله قصرها، وكان يسكنها العمال وأرباب الحرف. و[illegible] هذه القرية

فانزعج لفعله هذا الأمير عبد الله وأنف منه واستعزم على غزو الخبيث بنفسه وقصده بقوته وخالف في ذلك وزراءه لمّا أجمعوا له على التخلف عن التغرير فيه واستنابة بعض قوادة للمسير بجيشه آخذا بالحزم لاستغلاظ شوكة الخبيث وكثرة أنصاره والياذ بالحزم من خبايا الحرب الغشوم سيما إن جرت من غير أهل الكفاية المغلقين لباب المعذرة فدفع ذلك كله وأبا إلا قصد الفاسق بنفسه والاعذار بذلك الى ربه، فتأهب لذلك ودعا اليه واحتفل فيمن حشده من أهل طاعته ثم ابرز سرادقه الى فحص شقندة بعدوة نهر قرطبة سمت طريقه فبلغ من جرأة اللعين، عمر بن حفصون، أن أسرى من مدينة استجة عمله ليلا حتى وقف بفج المائدة(178) المطل على باب قرطبة بقبليها وأرسل أصحابه لإفساد مضرب الأمير عبد الله، ولم يكن ليلتئذ غير [ال]بائتة من الغلمان ورماة المماليك فكسبهم الفسقة وقاتل رجا[ل] الأمير دون المضرب ورشقوا بالنبل حتى أبعدهم عنه واتصلت الصيحة بقرطبة في الليل فابتدرها صنوف الجند وتلاحقت سرعان خيلهم بأوائل أصحاب الخبيث في جنح الليل وهم هاربون فركبوا أكتافهم وقد ولوا مجفلين لا يردون وجوههم، فأصاب أصحاب السلطان منهم رؤوسا وخيلا أدخلوها الى قرطبة غداة تلك الليلة، وقد خرج أهلها لاستقبالهم في جمع عظيم، فاستبشروا لما عاينوه من خزي الفسقة وهذا إرجافهم وفرّ طاغوتهم، عمر بن حفص، منكبا عن جادة الطريقة، فما وصل الى حصن، بلاي، ألا ثاني اثنين وقد ضل سعيه وبان كيده واستعزم الأمير عبد الله على الوصول نحوه فخرج بعسكره وعدته على تفيئه ذلك واستمد به السير حتى نزل بمحلته على نهر الفوسكة، على نحو الميلين من بلاي فتراءت طلائع الفريقين يوم حلول العسكر وتواعدوا للقتال غداة يومهم، وتراجفوا مع الصباح وقد برز فيهم عمر بن حفصون بأصحابه فنام حصنه

وقعت ثورة عارمة على الحكم بن هشام المعرف بالربضي نسبة الى ثورة [الرب]ض التي قمعها بكل قسوة وانكشفت عن هزيمة الثوار فقتل فيها خلق كثير من العلماء والأعلام وطرد من بقي [illegible] [...]د الحياة وهدم بيوتهم وحول حزءا من القرية الى مدافن عرفت بمقبرة الربض. وقد بقيت قرية شقندة قفرا حتى زال[...] [...] المسلمين في الأندلس ويقوم اليوم في هذا المكان حي من أحياء قرطبة يسمى «حي الروح المقدس». وعـ[...] [...]مدخله يقع حصن قلهرة (Castillo la-Calhara) الذي أنشيء بعد خروج المسلمين من الأندلس. انظ[ر] [...]ة الأندلس (رقم 94 ص : 104) الحلة السيراء (الفهرس) المغرب لابن سعيد (218/1) وفيه ذكر «كتاب الر[...] في حل شقندة» ونفح الطيب (الفهرس).

(178) فج يشرف على قرطبة ويدخل منه اليها. نفح الطيب (7/3)

وعبأهم صفوفا ممددة يهول منظرها ودنا العسكر منهم على تفيئة أيضا فلما صار بإزائهم، ذهب عبد الملك بن عبد الله بن أميه قائد العسكر الى الانحراف نحو الجبل الذي بين حصن بلاي واصصرند (كذا) واسناده اليه استظهارا على آفات الحرب. فلما مال العسكر عن حيز عمر، طمع في فله فاسشرف لذلك وتطاول نحوه حتى تقدم عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحيى بن عبد الغافر بن أبي عبدة، فقال له : الله الله في الناس ! أين يذهب بك أيها الأمير ! أبعد ان استقبلنا عدونا واستقبلونا نوليهم أدبارنا ونحيد عليهم بأسنتنا ! إذن والله يقوى طمعهم فينا ويتصوروا حيادنا بغير صورته فيقدمون علينا ولا نأمن من أن يكسرونا، فقال له الأمير : فما الذي تراه يا أبا عثمان ؟ قال : المضي قدماً والاختلاط بهم صمتا، وطلب مناجزتهم عزما ويقضي الله قضاءه، فقال له : دونك فتقدم، وقدم الناس ! فصاح عبيد الله على المقدمة فحملت وغشي القتال بنفسه، فاختلط الناس بكل جهة، وكان من أعلام أهل قرطبة الفقيه، أبو مروان عبيد الله بن يحيى، شيخ المسلمين وعالمهم وخيرهم، فقال له بعض الجند : ما عندك فيما قد حضر، أيها الشيخ ؟ فقال يا ابن أخي، وما عسى أن أقول إلا كما قال الله عز وجل : «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم بعده».

قال : وأمر الأمير عبد الله في خلال ذلك بانزال العسكر وإقامة المظل لما قام عموده وحط الأثقال وإقامة المراتب، فاتفق من سوء الطيرة ان المظل لما قام عموده وشد بأطنابه اندق العمود فخر فأبلى الناس من الطيرة وعظمت عندهم المظنة حتى سرّى ما بهم أصبغ بن عيسى بن فطيس، فقال : أيها الناس، انه لا بأس بكم ولا طيرة تلحقكم، فقد اندق عمود القبة يوم الكركريد، فكان بعده الفتح المبين. ثم أهوى الى عمود من بعض ما على الرواحل المحملة فامتلخه وتقدم به الى المظل فعمده فاستوى على ساقه والتحمت الحرب بين الفريقين واعترك الفرسان حملا وطراد في أوائل عهد عبد الله الرهيصي، وكان بطلا مقداما فصيحا شاعرا [لا] ينثني عند اللقاء ويرتجز، فلم يزل يستقدم الى الوطيس ضاربا وطاعنا حتى قتل، فكان أول صريع [من الطائفتين، فابتأس الناس أيضا، إذ كان منهم أول صريع] الى ان تنادى شيوخهم : أيها الناس، لا يهولنكم قتل عبد الله فإنها علامة النصر، هكذا كان أول قتيل من

الطائفتين يوم وادي سليط[179] مع أهل طليطلة فارس من فرساننا ثم كان النصر الذي لا كفاء له فحمى الناس واشتد القتال والتحم بكل جهة فصبر الفريقان أعظم صبر الى ان حملت ميسرة الأمير على ميمنة المارق فاقتلعها وقتلت خلقا من أهلها تتابعت رؤوسهم الى المظل في طلب الوثوب عليها، وقد وضع الأمير العطاء لمن جاءه بها وبقي المارق ابن حفصون أشل العسكر لم يجد ميمنة سويعة ثم صدقه أصحاب الأمير فانهزم بكليته لائذا بالحصن وأسلم عسكره فانتهب أصحاب الأمير جميع ما كان فيه وغنمت قبة ابن حفصون وآلته، وضاق باب [الحصن عليه حتى استقله أصحابه من فوق السور من صهوة فرسه وفرّ عنه] أكثر أصحابه وحشوده على وجوههم فلم يدخلوا الحصن معه، فسارت الخيل على آثارهم فقتلت كثيرا منهم، وامتنع اللعين داخل الحصن في طائفة منهم خلص فيها صميمهم.

فلما جنهم الليل فتق عليه أهل استجة الذين كانوا معه لما ذهب الجزع عنهم ونقبوا الحصن ثقبا خرجوا منه فارين على وجوههم ففتّوا في عضد الفاسق واضطربت عليه أصحابه وعزموا على الفرار عليه بجملتهم مغتنمين جنان الليل، ورام ضبطهم فلم يقدر، واتسع الخرق عليهم بفتقهم فخرج معهم وصار اسوتهم في الفرار واسلام الحصن، وطلب دابة يركبها في خروجه فلم يمكنه إلا ان تعلق ببرذون هجين لبعض النصارى أصحابه، ركبه ونجا ليلا يجدّ في ركضه، ووقعت الصيحة في العسكر بهرب الفسقة وستر اعتكار الليل باقيهم وتوزعتهم المقاصد في هربهم يمنة وشامة، وانصرفت الخيل المتعبة لهم بالأسرى والخيول والحلى، واقتحم اهل العسكر حصن بلاي ، فاصابوه مترعا بالأموال والأقوات والأمتعة والآلات فنهبوا جميع ذلك وحازوا منه ما له [وهو] قدر عظيم وجيء بالأسرى [الى الامير عبد الله وديوان النزاع بين يديه، فمن ادعى منهم النزوع والفي اسمه] في الديوان عزل ورفع عنه السيف، ثم أمر بضرب رقاب الفاسقين اجمعين إلا رجلا منهم نصرانيا اسلم تحت السيف فأمر برفعه عنه لما شهد بشهادة الحق، وفر الخبيث عمر بن حفصون في جنح الليل خامس خمسة فأصبح بحاضرة ارشذونة وهي في يده يومئذ فاحتمل أهلها مع نفسه وسار عنها مسرعا فيمن لحق به من رجاله حتى لحق ببشتر قاعدته فاستقر فيها.

(179) كذا في الأصل وعند ابن خلدون وابن عذاري، ورد في النفح وادي السليطة (Anzalita) بالاسبانية، نهر يصب في تاجة جنوبي طليطلة.

وحكي أن سعيد بن مستنة صاحبه وظهيره، داعبة في طريق هزيمته هذه، وقال له قد وفر الله عليك الخمس مائة دينار التي كنت بذلتها، فكيف رأيت عقبى الاغترار ببني أمية ؟ فغضب من قوله، وقال : ذلك في جنبك وجنب أمثالك من أشباه الرجال، ولا حقيقة ! وذلك ان عمر إذ سمع بتهيئة الأمير عبد الله لغزوه وعمله على الخروج نحوه [كان] يتضاحك ويقول : هذا توهم أهل اللبيطة، يعني جماعة البقر بالعجمية، ليته فعل ! من جاءني بفصوله نحوى أعطيته خمس مائة دينار.

قال : فنصر الله الأمير عبد الله نصرا عظيما وحاز الحصن الذي كان عليه بلاء وبيلا، فضبطه ثم انتقل بعسكره الى مدينة استجة [التي كانت في] طاعة المارق عمر بن حفصون، وقد انحاش اليها معظم أصحابه الفارين من الوقعة فنزل بهم ونازلهم واشتد عليهم وقلزهم (كذا) بالقتال وشدخهم بحجارة المنجنيق، فلما شارفوا الملكة سألوا الأمان ولاذوا بمعاودة الطاعة واعتذروا بانحاء العدو ذي الشوكة وضرعوا في الاقالة وأبرزوا أطفالهم ونساءهم [بأعلى سورهم مستعطفين الأمير بصراخهم وعويلهم فرثى اليهم وأجابهم إلى ما التمسوه، وأمنهم على ما اقترفوه، وبسط لهم الامان وتوثق منهم بالارتهان لرهط من وجوههم واستعمل عليهم عاملا من قبله. ففي شأن استجة يقول احمد بن محمد عبد ربه [في] قصيدة له حسنة :

هو الفتح منظوما على اثره الفتح	وما فيهما عهد ولا فيهما صلح
سوى أن صفحا كان من بعد قدرة	وأحسن مقرون الى قدرة صفح
سل السيف والرمح الرديني عنهما	فتسمع ما ينبي به السيف والرمح
لقد شفعت يوم العروبة عندها	فعيد لنا فيه السلامة والنجح
ذبائح راحت يوم عيد لحومها	وما ازدان عيد لا يكون فيه الذبح
قريناهم سجلا من الحرب مرة	وعشرا ركيكا ليس في طعمه ملح
ومُقْرَبة يشقرُ في النقع كمتها	وتحضر طوراً كلما بلها الرشح
تراهن في نضح الدماء كأنما	كساها عقيقا أحمراً ذلك النضح
تطير بلا ريش الى كل صيحة	يرى ان جد الحرب من باسه مزح
يمدونه الأعداء كر عليهم	على انه طلق لنا وجهه سمح

وكان ابن حفصون يعد جياده	[سراجين قبل اليوم هي لنا سمح]
غدا مستكنا تحت جنح من الدجى	وليس يؤدي شكر ما أنعم الجنح
دعته مُنى كانت عليه منية	فترحاله منها وقل له الترح
تسربل ثوب الليل خامس خمسة	فكلهم في كل جارحة جرح
يودون أن الصبح ليل عليهم	ونحن نود الليل لو أنه صبح
أقدح نار كان طعم وقودها	بعينك فانظر ما أضاء لك القدح
محا السيف ما زخرفت أول وهله	ودونك فانظر بعد ذلك ما يمحو
فكم شارب منكم صحى بعد سكرة	وما كان لولا السيف من سكره يصحو
كأن «بلايا» والخنازر حولها	مقطعة الأوصال أنيابها كلح
ديار الذين كذبوا رسل ربهم	فلاقوا عذابا كان موعده الصبح
فلو نطق السفح الذي قتلوا به	اذاً لبكا من نتن قتلاهم السفح
دماء شفت منها الرماح غليلها	فودٌّ قضيبُ البان لوانه رمح
ولله ما أزكى تجارة صفقة	يكون لهم خسرانها ولنا الربح
أقمنا عليها اللهو في يوم عيدهم	فكم لهم نصحانه قطع النصح
ألا ثعِسَتْ تلك الوجوه وقُبّحت	فما خلقا إلا لها التعس والقبح
فيا وقعة أنست وقيعة راهط	ويا عزمة من دونها العزم والنطح
ويا ليلة أبقت لنا العز دهرنا	وذلا على الأعداء حل به الترح
بدولة عبد الله ذي العز والتقى	يخبر في أدنى مقاماته المدح

خرج إلى المدح فأطال :

قال : ثم رحل الأمير عبد الله الى ببشتر قاعدة الطاغية ابن حفصون، وقد صار بها فيمن مَعه فكثف جمعه ممن اجتمع اليه من أصحابه ممن لحق به من امداده وخلفائه المتألبين على الجماعة من ناحية الجزيرة الخضراء وغيرها فنازله الأمير بعسكره وحطم ما حول قلعته من الزروع والأشجار واستبان له في المقام عليها أمر سامه رجاله للحرب وتشكيهم لوصب وتطلعهم الى القفول، فاستشعر اراحتهم واعتزم على القفول بهم وهو بهم وهو يحسب ان قد وقذ الفاسق ابن حفصون بهزمه ووطئه

بكلكله، فضمه الى حبس وصيره في رمس.

فلما شرع في القفول وأخذ في الرحيل، نشأت للفاسق ابن حفصون ولأصحابه فيه طماعية وتشرف لنيل فرصته فتهيا للقطع عليه [طريقه] في مضيق كان على طريقه وركب ساقته في حلية أشعر الأمير عبد الله بما اعتزم عليه، فأخذ بالحزم في سلوك الشعب، ووقف في التبعية على نشر من الأرض قدام تلك المضايق التي قدر الفاسق أن يأخذها عليه، وكان لا يسلكها إلا الاثنان والثلاثة على توءدة، فقدم الأمير اليها اثقال العسكر وحمولته، وتلاهم بأهل الضعف والعجز من أهله ووكل بتسييرهم فيه وترفقهم في قطعه كفاءة من رجاله وتخير للساقة حماة انجاداً من أبطالهم خلفهم مع نفسه. فلما سلكت الأثقال ومُقَصّرو والرجال ولم يبق من الناس إلا المستقل المتخفف، أطلق الرجال للحرب، وقد امتد اليها الخبيث عمر في جماهير أصحابه وتقدموا من يمين مستطيلين فقوبلوا من كل جانب وميل عليهم من كل ناحية واعتورتهم بالسهام المرامية، فلما رآى أبو عثمن عبيد الله بن محمد انتقى عدة من أبطال أصحابه ذمرهم على القتال وغيرهم بالتواني عن مهزومهم، فاحتملوا معه ثم حمل معهم في مسيرة الفاسق حملة صادقة تضعضعوا لها، ناغاه فيها نجدة بن كثير فحمل بأصحابه في ميمنة الفاسق فأخليا من كان بازائهما ووقعت عليهم ردعة بعد ردعة ثبتوا لها ساعة ثم ضرب الله في وجوه الفسقة فانهزموا أفحش هزيمة وكشفت الخيل آثارهم فقتلت جماعة منهم وتردى منهم خلق كثير في مهاوي الأودية والهضاب الأشبة وارتموا من الجبال [الشاهقة فجمع من رءوسهم نحو الخمس مائة رأس أمر الأمير عبد الله بحملها] الى باب قصره بقرطبة، سطرت بساحة فكانت شاهدة على الاثخان في الفسقة ونوه أهل العسكر جميعا باسم عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة، وتواصفوا حميد مقامه في هذه الحرب الى كريم موقفه يوم الوقيعة حتى تنادوا الأمير [عبد الله من كل جانب ولي الفتح وسبب النجاح وجابر الخصلة، فما ان بلغ الأمير] المحلة واستقر فيها لم يقدم شيئا على ان حضر عبيد الله بن محمد وأكثر شكره على حسن مقامه ومحمود عنايته، وقدمه الى خطة الوزارة مكانه تعجيلا لمكافأته وكانت هذه الوقيعة التي بارز فيها ابن حفصون الأمير عبد الله بباب ببشتر يوم السبت غرة

ربيع الأول سنة ثمان وسبعين ومائتين، وصير الأمير عبد الله طريقه هنا عن ببشتر على أرشذونة وعلى الفنتين، حصن بني خالد، ثم إلى قسطيلية(180) حاضرة البيرة فتوثق من أهلها بالرهن وأخذ فيها منهم كل متهم ثم قفل الى قرطبة عزيزا ظافرا.

قال ابن عبد ربه يهنىء الأمير عبد الله بفتح بلاي قصيدة حسنة أولها :

الحق أبلج واصح المنهاج ... والبدر يشرق في الظلام الداجي
والسيف يعدل ميل كل مخالف ... عميت بصيرته عن المنهاج
وإذا المعاقل ارتجت أبوابها ... فالسيف يفتح قفل كل ارتاج
نشر الخليفة للخلاف عزيمة ... طوت البلاد بجحفل رجراج
جيش يلزّ كتائب بكتائب ... ويضم أفواجاً الى أفواج
وتراه يامر بالقبائل والقنا ... كالبحر عند تلاطم الأمواج
متقاذف العبرين تخفق بالصبا ... راياته متدافع الأمواج
من كل لاحقة الأياطل شدب ... رحب الصدور أمينة الأثباج
وترى الحديد فتقشعرُ جلودها ... خوف الطعان عداه كل نهاج
دهم كأسدفة الظلام وبعضها ... أصفر المناظر كاصفرار العاج
من كل سامي الاخدعين كأنما ... نيطت شكائمه بجذع للساج
لما حلفن الى بلاي عشية ... أقوت معاهدها من الأعلاج
فكأنما جاشت خلال ديارهم ... أسد العرين خلت بسرب نعاج
ونجى ابن حفصون ومن يكن الردى ... والسيف طالبه فليس بناج
في ليلة أسرت به فكأنما ... خيلت لديه ليلة المعراج
ما زال يفلح كل حرب حائل ... فاليوم فتحها بشد نتاج
فإذا سألتهم موالي من هم ... قالوا موالي كل ليل داج
ركب الفرار بعصبة قد جربوا ... غبّ السرى وعواقب الادلاج
وبقية في الحصن ارتج دونهم ... باب السلامة أي ارتجاج

(180) ذهب ابن الخطيب في الاحاطة (91/1) الى أن غرناطة هي التي كانت تسمّى في القديم قسطيلية، ويمكن المؤرخ الاسباني سيمونيت، يرى أن قسطيلية هذه، وأصلها اللاتيني (Castell um) كانت حصنا يقع على مقربة من البيرة، ومعناه القشتلي Castella انظر : Simonet description del Reino de Grenada, 1872 (P.31)

نكمت ضلالتهم على أعقابها … وانصاغ كفرهم على الأدراج
من جاء يسأل عنهم من جاهل … لم يروا سعيا من دم الأوداج
فأولادهم فوق الرصيف وقد صغى … بعض الى بعض بغير نتاج
ركبوا على باب الأمير صوافنا … غنيت عن الالجام والاسراج
أضحي كبيرهم كأن جبينه … خضبت أسرته بماء الزاج
لما رأى تاج الخلافة خاله … قام الصليب منه مقام التاج
هذي الفتوحات التي اذكت … في ظلمة الافاق نور السراج

وهي طويلة :

وفيما أخلى عمر ابن حفصون حاضرة جيان من رجالها ودخلها رجال الأمير عبد الله وأخذوا فيها المعروف بالسراج من طغاة أصحابه وحمل الى قرطبة فصلب بها. وقال معوية بن هشام الشبينسي[181] نزع من قرطبة ولى شربند بن حسان القومس الفارس البطل لحقد احتمله على الأمير عبد الله بن محمد في حبس أخيه بذنب اقترفه فلحق بالمارق عمر بن حفصون فاشتد به سرور عمر وكرم مثواه وقلده الفارة بمن يضمهم اليه من المفسدين في الأرض على أهل الطاعة وألزمه الضرب على أقاليم قرطبة من تلقاء حصن بلاي بمعرفته بعوراتها وبسط الغارات عليها فكان يسرى إليها من حصن بلاي وينبسط فيها حتى يوفي على فجاج قرطبة فتتصل صيحة الروع منه بالمدينة وأرباضها ويفزع أهلها في كل حين فيلحق بالسلطان الفضاضة حتى صير حاضرته كطرف من أطراف الثغور وأقامها على جرف هار، والفاسق ابن حفصون أوقاته مقيم بحصن بلاي يقد سعره على أهل قرطبة أعظم ما كان غائلة وأشد شوكة وقد انزعج أهل قرطبة من خوفه واستقصروا الامير عبد الله في الأقصار عنه فكان ذلك سبب انزعاجه لغزوه اياه بحصن بلاي وفتحه له، وبه تنفس مختلف أهل قرطبة، وبلغ من جراة الفاسق ابن حفصون أنه لما أخرج الأمير عبد الله سرادقه الى صحراء الربض بعدوة نهر قرطبة قدام قصر الخلافة مبرزا لغزواته هذه قبل فصوله بأيام، واتصل ذلك باللعين عمر، ركب الى قرطبة في سرية ثقيلة خرج بها من حاضرته،

(181) انظر ترجمته أعلاه.

مدينة استجه، وهم يومئذ في طاعته عشي نهار، ووافى صدر الليلة التي وليتها الى فج المائدة المشرف على باب قرطبة القبلي فسرح أصحابه الى العسكر بصحراء الربض وقد أصاب من أهله غرة إذ لم يكن فيه الا البائتة من الغلمان في سرادق السلطان وفيه نفر من الرماة فكبسهم الفاجر بمن معه يريدون إحراق السرادق، وثبت له أصحاب السلطان وضاربوه دونه اصدق ضراب واحراقه بالنشاب حتى كشفوه عن العسكر كله فولى مهزوما وقد اتصلت الصيحة بقرطبة فابتدر أهلها بالخروج نحو المكان وتلاحق بهم سرعان الناس، أعني خيل الجند النافرين من البيوت فركبوا أكتاف الفسقة بحرق القنبانية الى أن لحق بحصنه بلاي بعد أن قتل منه كثير جيىء برءوسهم الى قرطبة وبخيول كثيرة أخذت شهر ذلك أجمعه بقرطبة فسر أهلها بذلك وسكنت نفوسهم، وفصل السلطان عبد الله على تفيئة ذلك بغزوته الى الفاسق بحصن بلاي ففضه وفتح الحصن وافره عنه ودحره وأزال بذلك الغضاضة عن سلطانه.

وكان لابي عثمن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة في اليوم الذي وقعت فيه الحرب بين الأمير عبد الله وبين المارق عمر بن حفصون عندما أخذ عليه المضيق عند منصرفه عنه عند ببشتر قاعدته مقام محمود وغناء عظيم فاق فيه جميع أهل العسكر نظر الله الأمير عبد الله ولم يغب عنه فقدمه خطة الوزارة يومه ذلك وازدادت منزلته، فنال بذلك الذروة.

قال : والرهيصي، الفارس الشجاع المصاب في الحرب بباب بلاي يختلف في إسمه [و] يقال له عبد الله ويقال [له] أسد بن عبد الله يكنى أبا محد. كان مع بسالته شاعرا محسنا قديم البينونة بمكانه في المصاف بعهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وبعده فيما لحق من صدر دولة الامير عبد الله الى أن قتل في غزوته معه الى حصن بلاي حميد المقام.

وانشد معوية لسعيد بن عمرو العكي في ذكر جيش الأمير عبد الله الذي فصل به لغزوته بلاي الى الفاجر عمر بن حفصون في شعر مدحه به :

اجل لحظ طرف الناظر المتامل ... ترى يطفو فوق سهل واجبل
ترى الأرض وقفا لا تسير وإنها ... لركب تهاوى كالتقى المتهيل (؟)
تغص بجيش مد ما بين مشرق ... ومطلع للشمس جنح ليل موصل
كان سماء النقع تبدى كواكبا ... بانافها من لمح رمح ومنصل
فقل لابن حفصون رويدك إنها ... كتائب دقت قمطريرا باكفل

قال سكن بن إبراهيم الكاتب :

تولى الأمير عبد الله بن محمد بعد أخيه المنذر بن محمد، وقد اطبقت أرض الأندلس نفاقا واستعرت خلافا ذلك باغفال من كان قبله لحسم ما كان ينجم من قرن الخلاف واضرابهم عن إطفاء جمرة ما كان يبصر من سفل النفاق حتى تفاقم الأمر، بعد تطاوله وتفاوت الشيء قبل تداركه، واستفحل شر عمر بن حفصون، جرثومة النفاق، وانتزى اكثر بلاد الأندلس اقترانه ووصل فريق منهم أيديهم بيده حتى آل امره الى ما آل إليه، وتغلب من متوسطة قرطبة بلاد الأندلس تلقاء وجه سلطانه على ما تغلب عليه مما يطول ذكره واجتلابه حتى ضبط عليه حصن بلاي من طرف كورة قبرة الراكب لقنبانية قرطبة فشحنه بشرار رجاله وانتابه بنفسه وقتا بعد وقت، فجعل يطرق منه [مدينة حضرة السلطان كل حين، وتوالى الضرب عليها وعلى قراها وما يتصل بهامن] لدنه، فضيق على أهل قرطبة وكدر معيشتهم فلم يك للأمير عبد الله اصطبار على ما نزل بهم منه وعاجله لاول ولايته بغزوته المشهورة ببلاي، هذا الحصن المذكور، ففتحه الله عليه، وذلك ان الخبيث عمر ألب على الأمير عبدالله اتباعه من أهل الكور وحشد أحزابه من أهل الخلاف واقبل في نحو ثلاثين الفا ونزل بحصن بلاي، فخرج إليه الأمير عبد الله غازيا في أربعة عشرة ألفا من جنده وأهل حضرته خاصة التي لم يكن بقي في يده غيرها من بلاد المتوسطة وعدة من حشمه ومواليه منهم نحو اربعة آلاف وغيرهم مطوعة. لما دنا اللعين عمر نزل إليه في جيشه اللهام [و] قد كرس كراديسه في سفح الجبل وهيب بكثرتهم ووفور عدتهم واتصال صفوفهم، فاضطرم الفريقان واشتد بينهم القتال مليا، ثم صدمهم أصحاب السلطان صدمة صادقة أزالوهم عن مراكزهم، فانثنى الخبيث عمر الى الحصن يرى أصحابه

إنه يريد إخراج من بقي فيه أو لجأ إليه، فركب الأولياء ردعه واخلوا باب الحصن عليه فلم يتنهنه ان ثلم ثلمة في جهة متوارية من الحصن خرج منها في خمسة نفر من خاصته ومضى يطير به جناح فراره فنجا الى أقرب معاقله منه بنفسه وأسلم رجاله وأهل عسكره فلم يكن لهم ثبات بعده وولوا منهزمين منقطعين وعاث القتل فيهم معاثه ولاذ منهم بالامان جماعة انحازوا الى عسكر الأمير عبد الله فاعطاهم اياه وامر ببيع الأسرى والتنقير عنهم في محلته، وقد كان جماعة منهم لاذوا بها مختلطين باهلها فامر بالتقاطهم وعهد الابستر احد منهم، فجمع له منهم مقدار ألف رجل ضربت رقابهم صبرا بين يديه في المحلة.

قال أبو مروان : وجدت بخط عبادة[182] الشاعر بلغني أن الأمير عبد الله لما زحف للقاء عمر بن حفصون في غزوته المعروفة بغزوة بلاي[183] ووقع اللقاء فنظر الى وفور ما اجتمع له من العساكر وما ارتفع من الزعائق والزماجر وما خالط ذلك من تلاوة أهل البصائر للقرآن وتعالى أدعيتهم الى الرحمن عصمه الله في مقامه من الاعجاب بكثرتهم وألهمه التوكل على نصره دونهم فأنشأ يقول :

من كان بالكثافة أو كثر العدد ... ذا ثقة في نفسه أو مستعد
فثقتي بالواحد الفرد الصمد

قال وفيها هُزم محمد بن لب القسوي.

رجع الخبر الى عيسى بن احمد

قال : وفيها هزم محمد بن لبّ القسوي صاحب الثغر الأعلى في وقعة كانت

(182) المقصود هو عبادة بن ماء السما (عبادة بن عبد الله الأنصاري — ت 422 م) أبو بكر راس الشعراء في الدولة العامرية بالأندلس. أقام عماد الموشحات، وهذب ألفاظها، واشتهر بها اشتهارا غلب عليه. توفي بمالقة. له كتاب في «أخبار شعراء الأندلس». انظر الصلة لابن بشكوال (ص : 443) المغرب لابن سعيد (115/1) نفح الطيب (الفهرس في الأجزاء : فوات الوفيات لابن شاكر (199/1) الذخيرة لابن بسام (480/1/1) جذوة المقتبس (ص : 274).

(183) أرخ ابن عذاري لوقعة بلاي في سنة 278 هـ انظر التفاصيل في البيان (133/2).

عليهم في الثغر الأعلى انتج له فيها النصر المبين فاتصلت هزيمته خم يومين متواليين وقتل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها ولّى الأمير عبد الله عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة بن العباس بن عبد البّر طُرطوشة قضية أرض الأندلس الشرقية مكان عبد الحكم بن سعيد بن عبد السلام، وذلك في آخر ذي الحجة منها.

سنة تسع وسبعين ومائتين

قال عيسى بن احمد [الرازي] : فيها طلب الخبيث عمر بن حفصون السلم خديعة فأجيب اليه وتوثق من نفسه بدفع رهينة له ثم لم يلبث ان انتقض سريعا وعاود المعصية وكان السبب في ذلك أنه دس الى الأخابيث أهل ارشذونة وكانوا عينته وله صاغية فغدروا باحمد بن هاشم(184) بن عبد العزيز الوزير الذي كان الأمير استعمله عليهم عند معاودتهم طاعته، ومحمد بن دنين العدمي المقيم معه فقبض عليهما واستدعوا الفاسق ابن حفصون، فأدخلوه ليلا اليهم وأسلموا الرجلين اليه فبطش بابن دنين لحنقه عليه فعجل قتله وأمسك ابن هاشم أسيرا عنده،ونقض بذلك ما كان انعقد من سلم واستلج في عصيانه فأعضل علاج دائه.

غزوة كركبوليه

قال : وفيها غزا الأمير عبد الله كركبوليه بنفسه صائفة وقصد سعيد بن مستنة ظهر اللعين عمر بن حفصون الى جبال باغة وقاد بهذه الصائفة عبد الملك بن عبد الله بن أمية، فاستغزى العسكر حصون سعيد بن مستنة وحاصرها وذهب بزروعها وانتسف أشجارها ثم نزل حصن كركبولية منها فأقام عليه مواليا بالتضييق مراميا عن المجانيق حتى أجهد أهله وأرادوا أن يلقوا بأيديهم فدعا أميرهم الفاسق سعيد بن مستنة عند ذلك الى الطاعة وباء بالذنب ولاذ بالعفو، فأجابه الأمير عبد الله الى ذلك

(184) انظر الحلة السيراء (ا ــ/374).

وعقد أمانه على يدي ابن الحارث بن بزيغ، واشترط عليه هدم حصن كركبولية ففعل ذلك بمرأى من الأمير حتى غادره قاعا صفصفا، فكان ذلك أقصى اثر الأمير عبد الله في غزوته هذه ثم قفل عنها الى قرطبة فلم يُرَ [خارجا] منها بعد. وكانت هذه آخر غزواته الى ان هلك.

خبر البيرة

قال : وعند محاصرة الأمير عبد الله لحصن كركبولية هذا امتد المارق عمر بن حفصون الى حاضرة البيرة وقد استدعاه أهلها فنكثوا بالأمير عبد الله وعاودوا الخلاف واستندوا الى أمير الضلالة، عمر، فضبط قصبتهما وأدخل رجاله فيها ان الحاضرة قليل (كذا) وعند علمهم بخروج الأمير عبد الله الى سعيد بن مستنة اختلفوا على ابن حفصون وتحزبوا على أصحابه واستمدوا عليه بعروة ابن اسحق وكان يومئذ مسجلا له على ابدة واستكثروا من غيره من أهل الطاعة ثم وثبوا على من عندهم من أصحاب عمر فحاربوهم حتى أخرجوهم من الحاضرة وملكوها لأنفسهم. فلما قفل الأمير عبد الله عن كركبولية عادت شيعة ابن حفصون منهم الى الاختلاف على جماعتهم وهووا نحوه بأفئدتهم فاستدعوه اليهم دون اجماع من جماعتهم، فأنفذ اليهم عدة من أصحابه دخلوا القصبة ليلا وأهل الحاضرة في غفلة، وكان ابن حفصون قد توقف دونها متمكنا بالقرب منها فنوّروا له من القصبة، كما أوعز اليهم، فجاءهم وكبروا من داخل على أهل الحاضرة فبهتوا وتغلب ابن حفصون عليهم فقتل ابراهيم بن سماعة، عامل السلطان بها، وشرع في اضرام أهلها فاستصفى أموالهم وسلبهم نعمهم، ثم تقدم الى مدينة غرناطة العرب فخرج اليه سعيد بن جدوي، أميرهم في حشد للعرب التام وقد وفد وفد اليهم بامدادهم من كل جهة، فدارت الحرب بينهم مليا ثم انكشف على سعيد والعرب، وذلك ان سعيدا أضاع الحزم بابتعاده عن باب غرناطة فانهزم هزيمة شنعاء ومدت خلفه خيل ابن حفصون في الفحص الأفيح الى باب مدينة غرناطة فقتل له عدد كثير رآى به أهل الحاضرة ان قد انتقصوا من العرب بما سلف لهم عليهم من وقيعة وظهور الوهن على سعيد ابن جدوى بعد هذه الوقيعة وانتقضت عليه أموره، فلم يزل مترددا بنكبتها الى ان قتل بعد مديدة بغرناطة.

ثم ان المارق عمر بن حفصون قصد بريغ الفتح له على العرب في جمعه وعدته الى حاضرة جيان بعد ملكه لها، واغرامه أهلها، فتغلب عليها وضبط قصبتها فأدخل فيها عددا من فرسانه وحصنها وشيدها وخلف فيها المعروف بابن حيدر من أصحابه وقفل الى ببشتر حاضرته وقد صارت كورتا البيرة وجيان في قبضته واتسع نطاق سلطانه.

سنة ثمانين ومائتين :

قال عيسى بن احمد[الرازي] : فيها غزا بالصائفة الى عمر بن حفصون الولد المطرف ابن الأمير عبد الله، وقاد بها الوزير القائد عبد الملك بن عبد الله بن أميه، وكان سببها انتقاض الخبيث عمر بن حفصون بعد دعائه الى السلم وانعقاده معه واعطائه عنها رهينة غلاما زعم أنه ولده، فلما امتحن أمره وجد انه ليس بابنه وانه ابن خازن له تبناه ورباه فكتب اليه يوبخه على ذلك من مكره ودغله ويسأل ابدال رهينة بولد له لا يخفي عينه، فامتنع من ذلك ونكث عهده وخرج يسعى في الأرض فسادا، فأخرجت اليه هذه الصائفة في هذا الوقت، وسار الولد المطرف حتى أحلها عليه ببشتر قاعدته، فاضطرب عليها أياما أفسد عمارتها وهتك جميع ما حولها ثم وضع الأيدي على هدم منيته الخاصة التي كان اتخذها بالموضع المعروف بالعرمات. فلما شرع في اخرابها وهدم مبانيها حمى ابن حفصون فخرج فيمن معه من فساقه للدفع عنها وعن كنيسة الى جانبها، كان اللعين أبوه حفصون، بناها فوقعت عليها حرب شديدة ظهر فيها أصحاب السلطان، فهزموا أصحاب ابن حفصون وقتلوا كثيرا من حماته كان فيهم حفص بن المرة، كبير قواده، ولزاز حروبه وخليفته فيما غاب عنه من مساعيه، فكان وجده عليه حسب مكانه من اثرته، وفيهم المعروف بابن مغيث الذي كان تلو حفص هذا في جلالة القَدْر عنده وصحة المناب عنه في آخرين من حمات اشتد بهم فجعه ووهن فيهم جناحه وانصرف يومه ذاك الى قلعته خاسئا حاسرا وتمادى الهدم على المنية والكنيسة فصيّرها دكّاً.

وتمادى الولد المطرف الى لوشه فبنا حصنها وأتقنه وأبقى عليها ادريس بن عبد الله عاملا، وتقدم الى حاضرة البيرة فدخلها عفوا وظفر من قبله بعامل لابن حفصون ورجال معه من رجاله فقتلهم أجمعين وشد الحاضرة برجال من قبله وطدوا الطاعة وقفل بعد الى قرطبة.

بنيان سمورة[185]:

قال عيسى بن احمد : وفيها قصد ادفونش بن أردن[186] ملك جليقية مدينة سمورة المعطلة فبناها ومدنها وحصنها وأسكنها النصارى وعمر ما حولها، وكان بناتها من أهل طليطلة وعلى يد رجل من أعاجيمهم انشئت أرجاؤها فعمرت من لدن هذا الوقت، وكثر أهلها واتصلت عمارتها وأدى أهل الثغر بمكانها.

وفيها عزل عبد الله بن عباس بن عبد البر عن ثغر طرطوشة القاصية وولى مكانه موسى بن فطيس في [شهر] رمضان منها.

وفيها عزل ابن الكوثر عن المدينة وولى مكانه حفص بن محمد بسيل.

سنة احدى وثمانين ومائتين :

فيها غزا الصائفة الولد المطرف[187] ابن الأمير عبد الله غزوته المعروفة بسنجيلة وقائد الصائفة[188] معه الوزير عبد الملك بن أمية، فكان فصولهما في عقب صفر منها فلما أجاز العسكر نهر سنجل ونزل محلته في المغيلين من أول بلد المارق، عمر بن حفصون، أطلقت الخيل على إفساد الزرع وقطع الأشجار وإفساد العمارة وتخريب الديار، فكان ذلك دأبها الى ان نزلت المحلة بكرتش مقابل حصن أشر[189] فوقعت الحرب بها من صلاة الظهر الى وقت المغيب فقتل من [رجال] المارق بشر كثير

(185) انظر عن سمورة الحصن أعلاه.

(186) الفونس الثالث.

(187) أرخ ابن عذاري هذه الغزوة في سنة 282 هـ انظر البيان (134/2).

(188) في الأصل بزحيف وقائده الصائفة.

(189) Iznajar بالاسبانية : تردد ذكر هذا الحصن في عدة مواضع في الاحاطة وفي أعمال الأعلام لابن الخطيب، وورد في نفح الطيب (368/6).

وأصيب من رجال السلطان ايضا قوم فيهم من الوجوه ابن عبد الحمد الجيّاني وميسور الأستجي، وكان في الخيل عقر فاش وفي الرجال جرح شامل، وأقام العسكر على حاله بهذه المحلة غداة يوم الوقيعة الذي بعده وخرج القائد ابن أمية بالعلافة فاعترضه خيل الفسقة وعادت الحرب معهم جذعة فاتصلت الى صلاة الظهر وقتل من الفسقة قوم فيهم من الوجوه من فرسانهم زيد بن خلدون وحبيب وغيرهما، وعقر لهم ستة عشر فرسا، ومات لهم من الجراح ستة عشر رجلا ولم ينالوا في قتالهم خيرا.

ورحل العسكر الى حصن طُرُش(190) فنازله بالقتال فتكافأ الفريقان وخرج منهم بشر كثير ولم يكن بها قتل ولا عقر، ونالت القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية جرح ثم انحل القتال وقت الظهر، ورحل العسكر فاجتاز بلوشة والفنتين وهما في خير الطاعة فلم يغير لهما حالا. وانتقل الى سحنة من حيز أهل النفاق فشرع [من هناك في الافساد والاحراق وانتسف ما بين سجنة الى حصن طُرُش فنتش] على السهلة وهدم الحصن وحصن القبذاق(191) ودمر ما حولها فأفسد زرعها وقطع أشجارها واحتل بعد ذلك حاضرة باغة(192) فأفسد زرعها وقطع أشجارها وتلوم بها يومين حتى أوعب ووصل الغارة فأفشى التدمير ما بينها وبين قلعة يحصب(193) فأتلف دنيا عريضة، وتمادى على ذلك مستغربا بالبقاع منزلا الحصون مخربا للقرى الى ان حل بمدينة سجيلة فألفاها خالية فأقام بها أربعة أيام يدمّر ما حولها بعد ان هدم المدينة وأخرب حمامها وحوانيتها فصيرها براحا وانتقل على ساحل البحر يتبع مواطن أهل الخلاف بغاراته وتدميره حتى انتهى الى أقصاه ثم انصرف قافلا فأخذ الى مطر لونقة

(190) ...rro بالاسبانية : بلدة صغيرة تقع بين المكب وبلش مالقة، غير بعيد من البحر الأبيض المتوسط، وهي في الوقت الحاضـ[ـر مـ]ـركز اداري لمالقة التي يبعد عنها بـ 47 كيلومتر.

(191) ...udot بالاسبانية Al : بلدة حصينة تقع في جنوب غربي جيان وفي شمال قلعة بني سعيد وغير بعيد منها.

(192) كذا في [الأ]صل وعند معظم الكتاب. أوردها ابن الخطيب في الاحاطة : باغة، وفي أعمال الأعلام : باغو. وكذلك أوردها [ابن] سعيد في المغرب، بينما ذكرها ابن عبد المنعم الحميري باسم باغو. وباغو أو باغة تسمى بالاسبانية Priego ذكر ا[بن] سعيد في المغرب «كتاب حلى الصباغة في حلى مدينة باغة». وباغة بلدة أندلسية حصينة قديمة تقع شمال لوشة (L...) في ولاية جيان.

(193) انظر [قـ]ـلعة يحصب أعلاه.

الى الحامة الى منية الرقاد الى سكة عمر الى قلعة يحصب الى بُرشانة الى مورليانة الى منزل خشخاش الى منية نصر(194) بباب قرطبة فكانت مدة مقامه في غزاته ثلاثة شهور وستة أيام، وفيها صرف حفص بن بسيل عن المدينة ووليها عبد الله بن محمد بن مضر.

سنة اثنين وثمانين ومائتين

مقتل ابن أمية :

قال : وفيها غزا بالصائفة الى اشبيلية وشذونة الولد المطرّف ابن الأمير عبد الله، وكان القائد معهد عبد الملك بن امية، ففصلا سائرين في عقب ربيع الآخر من هذه السنة. فلما نزل العسكر بطربيل، على وادي إبرة، وعلى ميلين من إشبيلية عدا الولد المطرف على القائد عبد الملك بن أمية فقتله يوم نزل في هذه المحلة إثر استقرار الناس بها، وكان قتله عند [صلاة العصر، وأحضر أحمد بن هاشم بن عبد] العزيز فقوده على العسكر وأمره بمخاطبة من فيها من قريش والموالي من وجوه العرفاء وصنوف الحشم واعلامهم ان قتله لعبد الملك إنما كان من أجل تهاونه بالرجال واستخفافه بحقوقهم وقلة إنصافه إياهم في معاملته لهم، وكاتب الناس من هذه المحلة يستألفهم على الطاعة، فوردت عليه فيها وفود إشبيلية ووفود أهل شذونة ووفود أهل لبلة يحتمون بالطاعة، فكتب لكل منهم أمانا أشهد عليه ورحل الى ابن برسيس بإزاء حصن قرمونة فوفد عليه فيها وفد أهل قرمونة ووفد ابن عمرون من لبلة فعوقد [له] وأخذت فيها رهائن أهل قرمونة ووردت الى العسكر وكتب الأمير عبد الله الى جماعة قريش والموالي فيه (وبعث بـ) كتاب خاص الى العرفاء والحشم بالكشف عن خبر عبد الملك بن امية والسبب في قتله، فأمر الولد المطرف صنوف الرجال من العسكر بالتظلم منه والتصويت لقتله وأنهم هم الذين حملوا الولد على التعجيل به وإراحتهم من حتفه، فتكلمت كل طائفة منهم بما عندها في ذلك، وكتب أقوالهم بمحضر شهود [من] وجوه أهل العسكر على جمعية وأوقعوا خطوط أيديهم إثر اللفظ فيه وأنفذ الى الأمير

(194) ذكر المقري في النفح (367/1) منية نصر باسم «منية ولي العهد الحكم المنسوبة الى نصر بعدوة قرطبة في الربض».

عبد الله، وانتقل العسكر الى حصن منت فيق الذي كان بناه طالب بن مولود على وادي ابره فنازل أهله وشرعت الأيدي في إفساد زروعه وقطع شجره، فعم تلك القرى الاحراق فحمى أهل الحصن لما رأوه من ذلك وشبوا ضرام الحرب فتمادى القتال حثيثا وكان معظم الجاري فيه عقر الخيل وجرح الرجال. وفي هذه الوقيعة هرب ابن سالم الأستجي في عدة من رجال استجة الذين كانوا في العسكر الى الخبيث طالب بن مولود فوقعت لهروبهم في العسكر نفرة شديدة أطفأها احمد بن هاشم وسكن نفوس الحشم وحرضهم على وطإ البلد ثم خرج بهم وقد حميت أنوفهم، فأحرق القرى المحيطة بحصن أقواط ثم عبا احمد ابن هاشم عسكره من الغد صاعدا الى الفاسق طالب مع صلاة الظهر من ذلك اليوم، فبرز من حصنه في سائر رجاله ووقعت الحرب بينه وبين رجال السلطان فاشتدت واتصلت الى عشي النهار ثم رجعت الى طالب وأصحابه فانهزموا وقتل منهم سبعون، وأسلموا معسكرهم في السفح بجميع ما كان فيه واستندوا الى ذروة الجبل فانتهب أهل العسكر ما تخلوا عنه وغلبوهم على الحمام والمنية فهدما وأحرقا، وانحجر طالب بن مولود وأصحابه داخل حصن أقواط وتمادى الهدم والقطع والاحراق والتدمير فيما حوله من قرى. فعندما أذعن الخبيث، طالب بن مولود، ودعا الى الطاعة فأجيب الى ذلك وتوثق منه وأخذت رهينته وأشهد على أمانة وانقل العسكر الى حصن امريقة وادي لكة[195] من شذونة متتبعا مواطن أهل الخلاف متنسفا نعمهم ثم احتل بحاضرة قلشانة[196]

ثم أتى مدينة شريش[197] منها فأقام أياما ووفد عليه أهل شذونة والجزيرة (الخضراء)

(195) هو تعريب كلمة (Lago) أي البحيرة. والمراد هنا البحيرة التي تسمى حاليا «لاخانده» (الخندق) والتي ينبع منها نهر البرباط. وبين هذه البحيرة وشاطىء البحر جرت المعركة التي فتحت بعد أبواب الأندلس للمسلمين.

(196) وتسمى أيضا قلسانة بالسين المهملة (Calsena) بالاسبانية : مدينة من كور شذونة تقع في سهل على وادي لكة وهو نقلتها، وينصب فيه على مقربة منها نهر بوطة، كانت لبني السليم وقد انصرفوا عنها عند خرابها الى شذونة التي تعرف فيما بعد بمدينة ابن السليم.

(197) Jerez de la Frontera بالاسبانية : من كور شذونة بالأندلس بينها وبين قلشانة المتقدمة الذكر خمسة وعشرين ميلا، وهي على مقربة من البحر، وهي مدينة متوسطة حصينة مشهورة بشجر الزيتون والتين والحنطة، وخصوصا، بكرومها الكثيرة الجيدة. ذكر ابن سعيد في المغرب «كتاب التعريش في حلى مدينة شريش».

مذعنين بالطاعة ورجاءه إليها ابن عمرون في عسكر لبلة ثم رحل الى مدينة ابن السليم[198] فتوثق من أهلها وأخذ رهنهم، فأمنهم، ثم قصد ببشتر[199] فقدم العسكر الى بابه وبرز أهله للدفاع، فناوشوا أهل العسكر القتال .فاجتلدوا ساعة ثم استظهر أهل العسكر عليهم ففضوهم وحجروهم ونصبوا المنجنيق عليهم فغلبوهم على سورهم الأول، وكانت هناك ملحمة قتل فيها من الفريقين بشر كثير فيمن نوه [به] من قبل أهل العسكر غصن الفتى الخصي، وكان من أهل البأس والشدة. وتمادى القتال إلى أن يئسوا من أنفسهم فدعوا إلى الأمان ولاذوا بالطاعة ووثقوا من أنفسهم فأشهد المطرّف على أمانهم وأخذ عشورهم ورحل عنهم ثم دخل الى جزيرة قادس[200] ثم عاد الى حضرة قلشانة فأقام بها عدّة أيام وحصن قصبتها وثقفها وشحنها بالأقوات وأعدّ فيها الأطعمة وأدخل فيها الندب والقوة ثم رحل عنها فحل على نبريشة، حصن سليمان بن محمد بن عبد الملك، فناشبهم القتال أحمد بن هاشم ساعة نزول العسكر ونصب عليهم المنجنيق فقتل جمعا منهم وغلبهم على ربض وما حوله فأحرق ذلك كله وأحرق الجامع وسطه، واتصل القتال عليهم أياما واجتمعت الأيدي على إفساد زروعهم وقطع أشجارهم ثم اقتحم الجند عليهم لما عجزوا من المدافعة فاسلموا حصنهم وتهاربوا بكل جهة فقتل من لحق منهم وأغير على جميع ما كان في حصنهم وأسر من وجوههم خمسة وعشرون رجلا فقدمهم الى المطرف فضربت رقابهم صبرا بين يديه، وملك القصبة وحصنها وضم فيها ندبة من أصحابه وأصلح من شأنها وقواها وندب داخلها ندبة من رجاله، ورحل العسكر يريد أمريقة فعارضه في طريقه سليمن بن محمد بن عبد الملك الشذوني، كبير المخالفين بهذه الكورة، وكان خروجه من قلعة أركش[201]

(198) Medinacell.

(199) Bobastro بالاسبانية : مدينة حصينة تقع شمال مالقة وفي شرقي رندة على مقربة منها. وصفها عبد المنعم بأنها «حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا، وهو حصن تزل عنه الأبصار فكيف بالأقدام»، وحصن ببشتر كان قاعدة العجم، كثير الديارات والكنائس والدواميس». انظر صورة الأندلس (رقم 36 ص : 37). وكان لهذا الحصن قرى وحصون كثيرة تابعة، وهو معقل الثائر عمر بن حفصون.

(200) Cádiz بالاسبانية : جزيرة بالأندلس طولها من القبلة الى الجوف إثنا عشر ميلا، وعرضها في أوسع المواضع ميل واحد. وقادس في الوقت الحاضر ميناء عسكري ويبلغ عدد سكانها 14400 نسمة.

(201) مدينة وحصن بالأندلس على وادي لكة تسمى اليوم«Arcosç» وكانت في القسم الاداري الأندلسي تابعة لكورة شريش، وهي اليوم من مدن مديرية قادس وتقع في شمالي هذه القاعدة العسكرية وعلى مسافة خمسين كلم منها :

المنيفة فوقعت بينه وبين أهل العسكر حرب صعبة قتل فيها من أصحاب السلطان خلف بن محمد وافد العريف، وكان في حبس العسكر رجال من أسرى أهل شذونة كانوا في الحبس عند صاحب الصناعة بالعسكر وهم عبد الملك بن يشير، وأبو الوليدبن العاصي بن شبطون وابن جلهار، فأمر الولد المطرف بضرب رقابهم بدءا بابن وافد العريف فضربت عنقه، ومضى العسكر من هناك يحرق ويدمّر ويخرب وينسف، الى ان احتل على مدينة اشبيلية في عقب جمادى الآخرة منها فعسكر عليها يومين وبان له امتناع أهلها، وبعد مرامها فأمر الولد المطرف عند ذلك بتكبيل ابراهيم بن حجاج وعثمن بن خلدون وابن عبد الملك الشذوني وأصحابهم الذين كانوا في عسكره فنفذ ذلك، وأمر أيضا بسجن محمد بن ملك القريشي وتقييده فنفذ ذلك. فلما ان كان عشي الثلاثاء مستهل رجب منها، يوم ثالث نزول العسكر على اشبيلية طاشت خيل أهل اشبيلية ورجال امتدوا مقدمة العسكر فخرجت اليهم حامية من العسكر واختلطوا بهم فنزلت بينهم حرب صعبة كثر فيها العقر في الخيل والجراح في الرجال ثم رجعت على أهل اشبيلية فانهزموا حتى الى السور وقتل من وجوه رجالهم فارس مذكور وأخذت لهم ثلاثة أفراس. وعند هذا أمر الولد المطرف بتعذيب ابن حجاج وابن خلدون وابن عبد الملك الشذوني المحبوسين في عسكره حنقا عليهم وضرب سَحْنون الكاتب أربعمائة سوطاً وقطع لسانه وصار الوقوف بباب اشبيلية منهى المطرف في غزوته هذه ثم رحل بعسكره قافلا الى قرطبة بقصير طريقة على حصن الزعواق فأغار على جميع ما كان فيه من الأطعمة والعدة والاثاث وغير ذلك ثم هدّمه وحرقه وقطع أشجاره وعفىّ اثاره، وأمر فأحرقت المراكب بفنائه والخشب التي كانت فيه فصيرها قاعا صَفْصَفًا. ثم سار الى العسكر عنه الى حصن ألبر على وادي ينبر فوجده قد قفر وخلا من أهله فانتهب ما الفى فيه أيضا وهدمه وعفّى آثاره. وفي هذه المحلة جيىء الى العسكر باللصوص الذين كانوا يقطعون بجانب الشرف ويضرون بأهل تلك النواحي. وكانت الخيل قد أخرجت نحوهم فقتلت منهم ستة دافعوا عن أنفسهم وجيىء منهم بثلاثة أسرى ضربت في العسكر أعناقهم.

وفيها وردت جباية اشبيلية فأمر المطرف عند ذلك باطلاق من كان في اعتقاله من المتهمين في فتنتها، ابن الحجاج وابن خلدون وابن عبد الملك من الكبول وأبقاهم على حالهم في التوكيل بهم. ووافت الى هذه المحلة أيضا جباية حاضرة لبلة وجباية ابن

حصيب صاحب منت ميور، من لبلة ثم اجاز الولد المطرف بالعسكر نهر قرطبة على مدينة قرمونة حتى وصل اليها غداة يوم السبت لأربع بقين من رجب منها، فكان مقام المطرف ابن الأمير عبد الله في غزوته هذه أربعة أشهر تامة العدد. وكان من يوم فصوله منها الى يوم قتله للوزير عبد الملك بن عبد الله ابن امية إثنا عشر يوما. وكان من يوم دخول المطرف قافلا الى قرطبة من غزوته هذه الى يوم قتل أبيه الأمير عبد الله له شهر واحد[وستة عشر يوما. وكان قتله وقت الضحى من يوم الاحد لعشر خلون] من رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين ويوم الأحد ذلك كان اليوم الثاني من الشهر يناير العجمي.

وفيها صرف عبد الله بن مضر من المدينة وولى مكانه مروان بن عبد الملك بن امية(202).

سنة ثلاث وثمانين ومائتين:

فيها غزا بالصائفة الغزوة المعروفة بغزوة تدمير(203) العم هشام بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم(204) وكان القائد معه أبو العباس احمد بن محمد بن أبي عبدة(205) ففصلا من قرطبة في عقب ربيع الأول منها وسار العسكر حتى نزل على حصن قامرة(206) جيش على وادي بلون(207) ونزل على قلعة الأشعث فشرع في إفساد زرع ابن هذيل وأقام عليها أياما. وخرج القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة بالملافة لإفساد الزرع وقطع الأشجار، فهبط ابن هذيل اليه والتقوا فكانت بينهم جراح فاشية وقتال شديد الى وقت صلاة الظهر ثم تأخر القوم فأرسل ابن هذيل رسوله يطلب الأمان ويشترط أن يكون الآخذ له أمانة والمتوثق له من عقده أبوه، فأجيب الى ذلك وتم صلحه على ما رسمه ونزل والده الى العم هشام فتوثق لابنه وأرسل الى يحيى بن حارث وابن مفرح في الرهائن عنه فأنفذ الى العسكر في مقامه هناك برد شديد ومطر منهمر.

(202) انظر الحلة السيراء (374/2).

(203) Tudmir.

(204) انظر الحلة السيراء (126/1) وفيه «كان من أهل العلم والفضل والبصر بالعربية، وأكثر من الرواية عن يحيى بن يحيى وكان أبوه، الأمير عبد الرحمن قد نصبه في خلافته للصلاة على جنائز أهل قصره وأكابر رجاله». وانظر كذلك النفح (في عدة مواضع، وخصوصا في (342/3—579) وقد أورد المقري نماذج من شعره.

(205) انظر الحلة السيراء (146/1).

(206) حصن من عمل رُيُّة سبق أن حاصر فيه المنذر بن محمد عمر بن حفصون في سنة 272) هـ. انظر أعمال الأعلام (ص : 31).

(207) نهر يخترق كورة جيان، ذكره الشريف الادريسي وقال انه نهر كبير وعليه ارحا كثيرة جدا. القارة الافريقية وجزيرة

ثم رحل العسكر الى حريز بن هابل[208] وسرحت فوردت سرح بختويرة، حصن حريز بن هابل وانتشرت في زرعه فافسدته ودمرت ما حوله من جهاتها ولم يتحرك وسار العسكر الى بياسة،[209] وهي في حيز الطاعة واقام بها ثلاثة ايام ليتقاضى عشورها. ورحل العسكر الى تشكر فالفاها خالية فاتوا العم هشام باحراقه واخذ زرعه، فاحرق هو وحصنان يجاورانه. ووافى العسكر نوء ورعد وبرق. فلما كان الوقت العصر انسكبت السماء بمطر غزير وبرد غليظ، وذلك في اليوم الثامن من شهر يونيو العجمي صميم القيظ، وذلك تقدير العزيز العليم. وتكرر هذا المطر اياما مع الرعد، بعد هذا اليوم، ونزل العسكر على حصن بختويرة وفيه حريز بن هابل، فخرج في اصحابه للدفاع عنه وناشب الجند القتال فاشتدت الحرب وكثرت الجراح وفشى العقر في الطائفتين فاستظهر اصحاب السلطان على الفاسق حريز وغلبوه على ربض حصنه فاحرقوه واحجروا الخبيث واصحابه بداخله واحرزوا ما كان قد ضم من الزرع الى سوره. فلما ايقن بالغلبة لاذ بالامان ودعا الى الطاعة وارسل ولده رهينة وضمن غرم القتين وخمس مائة دينار وثمن خيل الجند المعقورة في حربه، فاجيب الى التماسه وتم صلحه وكتب امانه ثم رحل العسكر الى حصون البراجلة فنزل بطرش منها وغشيهُ هناك نوء عظيم وبرق خاطف، ورعد قاصف، وهول شديد، وكذلك في المحلة بمنت شجير بعدها بيومين ووافى هنالك مطر شديد ورعد وبرق مفزع، وكذلك ايضا ما وافى العسكر بمحلة البنيول بعدها باربعة ايام، يوم الخميس الذي كان يوم العنصرة مهرجان اهل الاندلس نفسه هول شديد من برق ورعد ومطر غزير هال الناس مصابه واستغربوا كونه في مثل زمانه ومضت الخيل الى حصن اللقون فحاربوه ساعة ثم غلبوا عليه فاصابوا به خيلا ومتاعا وطعاما كثيرا ومضى القائد احمد بن محمد بن ابي عبده فاخرج عنه اصحاب ابن هذيل وادخل فيه العرب والبربر، وحصنه واصاب العسكر ايضا نوء ورعد وبرق. فلما استغزى العسكر حصون وادي آش الى حصن ونجه فاقام

= الأندلس (ص : 296). وهذه المعلومات نقلها عنه أبي عبد المنعم الحميري في وصفه للاندلس(رقم 71 ص : 70).

(208) انظر البيان (136/2).

(209) Baeza الاسبانية. كانت بياسة من أكبر مدن جيان في العهد الاسلامي. انظر صفة الأندلس للرازي (رقم 18 ص 49) وقد اختلط اسم بياسة باسم مدينة بسطة في أذهان مترجمي الكتاب. وانظر كذلك معجم البلدان (518/2) وصفة الأندلس عبد المنعم الحميري (رقم 57 ص : 57).

بها اياما الى ان وردت الدواب بالنزول من بجانة وورد عشورها وجباية حصون بشيرو وأمطر بها الناس يومين برعد وبرق وهول، وذلك وسط زمان القيظ بقدر الله عز وجل، ورحل العسكر فنزل حصن رغشانه من تاجلة وركب القائد احمد بن محمد لمنازلته مع صلاة الظهر. فلما استدار به لم ير فيه مطمعا فرجع عنه ولم ينشب مع اهله حربا، واشتدت الريح مع ذلك كله والرعد والبرق، ورحل العسكر الى بسطه[210] غرة جمادى الاخرى منها واشتد فيها الرعد والبرق وعظم الهول، وانعكس الزمان الى غير خلقه وانتقل العسكر الى بلش[211]

من أول كورة تدمير. فلما اجتازت المقدمة على الحصن خرجت خلية للقطع عليه والتشغيب به فناشبهم فرسانها القتال وظهروا عليهم فهزموهم الى الباب دون وقوع قتل أو اجراح ونزلت المحلة بعقرة الحصن فصبحهم القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة بالحرب فاشتدت ودامت وفشي العقر والجرح ونزع اليهم من عسكر السلطان فرسان ورجالة في سيل الطماعية وتلوم القائد احمد بن محمد بساحتهم يومين على تخريب المنازل وقطع الاشجار ووقعت دون ذلك حرب كثرت فيها الجراحات، وكان مع ذلك رعد شديد وهول مفزع. وفي هذه المحلة هلك عثمن بن عبد الملك بن عباس فجأة حُرِّك عند الرحيل فوجد ميتا، وتنقل العسكر من بلش يستقرى حصون تدمير وينسف كل ما مر عليه من بلاد العصاة التي ان نزلت على مائة من حصون الفاسق دسيم بن اسحق[212] في وادى طادرو وذلك الى يوم من شهر اغشت العجمي فتلوم هناك اياما على الافساد والقطع والاحراق، وناهض الجند حصن ركوط. فناشبهم اهله الحرب وجدوا في الدفاع حتى غلبهم الجند على الحزم الاول وضموهم الى

(210) Baza الحديثة.. وبسطة تقع شمال شرقي غرناطة بالقرب من وادي آش، وهي مدينة متوسطة حصينة وكانت مركزا تجاريا مهما ومشهورة بضروب فن الحرف والصناعات وكانت لها غنة الخير من شجر التوت الكثير فيها. خصص لها ابن عبد المنعم الحميري مكانا بارزا في صفة الأندلس (رقم 46) ص : 44) نفس عناصره الأساسية من الادريسي. انظر القارة الافريقية والأندلس (ص : 295 هامشنا رقم 248). انظر وصف بسطة أيضا في معجم البلدان (422/1) وكتاب الجغرافيا لابن سعيد، والمغرب لنفس المؤلف (2/77—79) والقزويني في آثار البلاد (ص : 512). وقد ذكر ابن سعيد «كتاب النبطة في حل مدينة بسطة».

(211) تكتب أحيانا بالش كما عند الادريسي (Valez) الاسبانية.

(212) انظر البيان (135/2) والحلة السيراء (231/1).

القصبة، فلما استقبل الجند بالنهب ورجع بعضهم بما اخذه نحو الخلة، انتهز اهل الحصن في اصحابهم الفرصة وشدوا عليهم فهزموهم هزيمة قبيحة حتى رموا بهم في الوادي فقتل منهم قوم من الرجالة وغرق آخرون في الوادي، وكان من وجوههم ابنا عمر ذي النون الشنتري وغاز بن غزوان الطلبري وغيرهم. ورحل العسكر الى مرسية[213]، فنزل بها على طادور وتلوم بها عشرة ايام حتى تقاضى مغارم الجزيرة والعسكر وتلك الاعمال المنحازة الى الطاعة ورحل بالعسكر يوم الاحد غرة رجب منها الى عين شيطان ومنها الى حصن البيط[214]. فاحتل به وقت المغرب وعدم الماء في الطريق فمات من العطش بضع وثلاثون رجلا ونفق دواب كثيرة وانفذ القائد احمد بن محمد رسله الى مدينة لورقة[215] معذرا الى الخبيث دسيم بن اسحق ثم صار اليه في التعبئة يريد النزول بساحته، فلما اطل عليه خرج اليه دسيم في الخيل والرجال فطاش اليهم فرسان العسكر وخالطوهم واشتدت عليهم الحرب واتصلت الى صلاة الظهر ثم رجعت الاخابث فانهزموا وقتل منهم نيف على ثلاثين رجلا وعقر لهم سبعون فرسا فاتبعوا الى باب [الحصن] فاقحموا فيه واصيب من أصحاب السلطان غرموم

(213) Murcie : مدينة بالأندلس هي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم واتخذها مقرا للعمال والقواد (سنة 216 هـ.) ومرسية تقع على نهر «يسقي جميعها كنيل مصر». وصفها ابن عبد المنعم الحميري بأن لها جامعا حفيلا، وحمامات وأسواق عامرة، وهي راخية أكثر الدهر، رخيصة الفواكه، كثيرة الشجر، وأصناف الثمار، وبها معدن فضة غزير متصل المادة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريفة». انظر صفة الأندلس (رقم 174 ص : 181—182) والقارة الافريقية للادريسي (ص : 285 وهامشنا ص : 206) وعنه نقل الحميري معظم عناصر وصفه. وكذا المغرب لابن سعيد (2/245—251—270—272) وكتاب الجغرافيا لنفس المؤلف (167) ومعجم البلدان لياقوت (5/107) ومخطوطة كتاب الجغرافيا المنسوب للمامون (ورقة 49 وجه)، كذلك المارلي بولفر، المصدر المذكور(ص : 95—96) ويبلغ عدد سكان مرسية في الوقت الحاضر 265000 نسمة، ومجموع مساحة منطقتها 26175 كلم2 (وعدد سكانها 1220000) نسمة).

(214) Aledo بالاسبانية : يسمى أيضا حصن البيط. كان يقع بين لورقة ومرسية وكان تابعا للنصارى. ولما قرر يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين بعد انتصاره في معركة الزلاقة الزحف على طليطلة، كان يعترض طريقه هذا الحصن الذي كان الفونس السادس قد عزز وسائله الدفاعية ووضع فيه حامية تقدر بألف فارس. ولما ضرب عليه يوسف بن تاشفين الحصار في سنة 483) هـ. عجز عن الاستيلاء عليه بعد أن كاد يقع في يده ففك الحصار عنه. ولكنه بعد انسحابه تيقن الفونس السادس انه لن يستطيع الدفاع عنه ولو تعرض لهجوم مرابطي آخر ولذلك هدمه وجلى عنه.

(215) Lorca : أحد المعاقل السبعة التي تعاهد عليها تدمير مع المسلمين يقع في جنوب غربي مرسية في الطريق الى غرناطة. وصفها ابن عبد المنعم الحميري بأنها تقع على ظهر جبل وبها أسواق. صفة الأندلس (ص : (174) وانظر كذلك القارة الافريقية للادريسي (ص : 288) معجم البلدان (5/25) المغرب لابن سعيد (الفهرس).

بن رشيد العريف في ثلاثة من اصحاب البغال، ونفر من الرجالة وعقرت لهم ستة افراس وفشت في الفريقين جراح واشتدت الريح والرعد، وتلوم العسكر على الاخراب والقطع والتدمير فنشبت حرب في المقدمة ارتدع الناس بها الى الاخبية فخرج القائد احمد بن ابي عبدة في حماة الرجال فهزم الفسقة الى باب حصنهم وعقرت لهم خيول وقتل منهم ثلاثة رجال وعمت الفريقين وخيولهم الجراح، ونزع لهم خلال ذلك من اصحاب السلطان جماعة فيهم ابو الحرث بن بشير وشنيف، صاحب القرى وغيرهم. ونزع منهم الى صاحب السلطان جماعة ايضا وانحل القتال. فلما تحمل العسكر للرحيل خرج دسيم بن اسحاق في جماعة من حماته الى ساقة العسكر وقد تباعد من مناخه نحو ثلاثة اميال، فكر عليه الحشم فهزموه هزيمة قبيحة استغاث منها بالوعر فاخذ فرسه وستة عشر فرسا من اصحابه، وقتل من حماة اصحابه اربعة واخذ له سبعة ازراد[216] فرجع بخرية واستقام طريق العسكر قافلا على طريق جيان الى ان وصل الى قرطبة بعد ثلاثة اشهر واحد عشر يوما من خروجه عنها.

الثغر[217]

وفيما ابتدا لب بن محمد[218] بابتناء حصن منتشون[219] على نهر الزيتون[220] من بلد بريطانيا[221] فلما بلغ محمد بن عبد الملك، صاحب وشقة خبره، وكانت بريطانيا له، حشد اهل عمله ورجاله ونهض اليه، يبغي منعه، فوقعت الحرب بينهم، وكان لبّ في اقل من عدد ابن الطويل. فانهزم قدامه ثم أدركته الانفة ونادى حماة

(216) جمع زرد : الدرع المسرود. لم يرد هذا الجمع في تاج العروس ولا في لسان العرب، وفي كليهما ان جمع الزرد زرود.

(217) المقصود هنا الثغر الأعلى، وهو منطقة الحدود الشمالية التي تشمل ولاية سرقسطة وأعمالها، وتطيلة ووشقة ولاردة وطركونة وطرطوشة.

(218) انظر عن لبّ محمد أخبارا أخرى في البيان (2/11).

(219) كذا في الأصل وأنا أشك كثيرا في هذا الرسم الذي لم أعثر عليه في مراجعي، ولربما كان الأول حذف التا فيصبح منشون (Monzon بالاسبانية) وهو حصن يقع في الثغر الأعلى، وقد ذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص : 179) في سياق الحديث عن بني هود، أصحاب سرقسطة.

(220) ذكر نهر زيتون أيضا ابن عبد المنعم الحميري في صفة الأندلس (رقم 20 ص : 24) في سياق الحديث عن مدينة افراغة التي تقع هي الأخرى على هذا النهر.

(221) انظر الهامش أعلاه.

اصحابه بالكرة فثابوا اليه في نحو اربعين ومائة وكروا على ابن الطويل فانهزم اقبح هزيمة وقتل من اصحابه جملة عظيمة واسر منهم جماعة فيهم أخوه فرتون بن عبد الملك.

وفيما ايضا دخل محمد بن لبّ طليطلة[223] وملكها. استدعاه اهلها وصار عندهم، وذلك في ذي الحجة منها.

وفيما عزل مروان بن عبد الملك بن اميه عن المدينة عن سخطه (كذا) وحبس وولي المدينة مكانه القائد ابو العباس احمد بن محمد بن ابي عبدة.

سنة اربع وثمانين ومائتين :

فيها غزا بالصائفة الى لبلة ولقنت[224] ابّان بن الامير عبد الله[225] وهي اول غزوة ابّان، وكان القائد بها معه ابو العباس احمد بن محمد بن ابي عبدة، فكان فصول العسكر في عقب ربيع الاول منها في اليوم الثاني من شهر مايه العجمي، فاستقام طريقه الى حصن مرشانة[226] واحتل عليه لثمان خلون من ربيع الآخر منها، فاصاب اهل العسكر بها ريح صعبة ومطر غزير ورعد قاصف وبرق خاطف، وهول شديد ضج منه اهل العسكر الى الله تعالى بالدعاء والابتهال حتى كشفه الله عنهم بقدرته،

(222) سبق التعريف بوشقة. انظر هامش أعلاه.

(223) Toledo بالاسبانية : تقع على مسافة ستين ميلا الى الجنوب الغربي من مدريد في مكان يبلغ ارتفاعه ألف متر فوق سطح البحر. كانت طليطلة مركزا مزدهرا في عهد الرومان ولكنها اكتسبت أهمية خاصة بعد انتشار المسيحية في اسبانيا. ولما استولى عليها القوط في سنة 418م، اتخذوا منها عاصمة لملكهم. وكذلك كانت طليطلة مسرحا لعدد من الأحداث الهامة قبل أن يستولي عليها طارق بن زياد في سنة 92 هـ. (714 م). وقد كانت طليطلة بماضيها العمراني العريق هي القاعدة التي انطلقت منها حركة الاسترداد بعد ما لعبت أدوارا بالغة الأهمية في العهد الاسلامي، ولاسيما حينما كانت عاصمة مملكة بني ذي النون، وقد سقطت في يد الفونس السادس ملك قشتالة في سنة 478 هـ. (1085 م). انظر القارة الافريقية الخ للادريسي (ص : 275 وهامشنا رقم 179) معجم البلدان (4/39—40) كتاب الجغرافيا المنسوب الى المامون (ورقة 41—42) تقويم البلدان لأبي الفداء (تحقيقنا ــ تحت الطبع) صفة الأندلس لأبن عبد المنعم الحميري (ص : 130—135).

(224) [Alicante ميناء ومدينة اسبانية يبلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر 22400) نسمة بينها وبين دانية على الساحل سبعون ميلا].

(225) انظر البيان (2/128).

(226) Marchena بالاسبانية : وهي مدينة تقع في جنوب شرق قرمونة واشبيلية، وفي شمال مورور. ذكر ابن سعيد في المغرب «كتاب الجماعة، في حلى حصن مرشانة».

وأغير مع ذلك على زرع برديس ولقندر وقصر ابن غراب، بمورور[227] وما والاها من حصون الناكثين. ومشى العسكر حتى احتل بقلسانه فتلوم بها اياما وجاء اليها عسكر اشبيلية، ووافى بها ايضا نوء وريح ومطر وابل تردد ثلاثة أيام وانتقل العسكر الى مدينة شريش فخرجت الخيل في العلافة وعليها مسلمة بن السليم فاختفت خيل الفسقة عليها فقتل منهم العاصي الرامي ووقعت على أصحاب السلطان ردعة تلافاها القائد ابو العباس بن أبي عبدة، فركب في الخيل في طلب الإخابيث وجد في الركض فلم يلحقهم فانصرف ليلا فتلوم العسكر بهذه المحلة حتى تقاضى جباية شريش وما يليها. ثم صار العسكر مترددا على تلك الحصون من أول يوم من شهر يوليه العجمي، فوطأ شعونشة وجبل جعفر الى صخرة ابي مالك للمردين الى فنت طحنة الى ارناشتبر من كورة اشبيلية فعسكر العسكر حوله جميعه. وفي هذا الوقت هلك بالعسكر من رجال السلطان عمر بن محمد بن شهيد، ورحل العسكر الى منت ميور، حصن ابن خصيب[228] من لبلة، فنزل بساحته وانبسطت العلافة بكنفه، فخرج عليها ابن خصيب فيمن معه ووقعت الحرب بينهم وبين الجند، فركب القائد احمد بن محمد في حماة.

التعجيل الى عمر بن حفصون :

قال عيسى [بن احمد الرازي] : لم يقم العسكر القافل من هذه الغزوة بقرطبة الا أياما جدد اهله فيها جهازهم واخذوا اهبتهم، واغزاهم الامير عبد الله صائفة أخرى الى اعمال الفاسق عمر بن حفصون الجائش به في هذا الوقت والممالئين له على الخلاف. استعمل عليه ابنه ابّانا وصير القائد لها احمد بن محمد بن أبي عبدة، وهي

(227) Moron كورة كانت قاعدتها تحمل نفس الاسم، وتقع جنوبي الوادي الكبير بين كورتي قرطبة وتاكرنا، وهي في الغرب والجوف من كورة مدينة شذونة، وأحوازها متصلة بأحوازها، حسب وصف عبد المنعم الحميري في صفة الأندلس (رقم 181 ص : 188) وتقع مورور في سفح جبل يسمى باسمها : Sierra de Moron وكانت في عصر ملوك الطوائف إمارة بربرية خاضعة لابن نوح الدمري، ولكن المعتضد بن عباد ضمها الى مملكته في سنة 438 هـ. ومورور اليوم مركز في المديرية التي تحمل نفس الاسم.

(228) انظر البيان (128/2).

الغزوة المعروفة بالجزيرة وكان الفصول لها يوم السبت لاثنتى عشرة بقيت من جمادى الآخرة منها، وذلك في شهر أبريل العجمي الكائن فيها، فاستقام ضريق العسكر الى ان نزل بشغونشة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من رجب، وكان أول يوم من شهر مايه العجمي، فانطلقت من هناك الى منت شنت وما يليها من أعمال المارق عمر بن حفصون فاغرت على قرى الصفح كلها واصابت غنائم كثيرة واصيب من اهل العسكر ستة رجال، وسار العسكر مستغيرا لحصون العصاة الممالئين للفاسق بن حفصون [الى ان احتل بجزيرة طريف على ضفة البحر ثم انتقل الى مدينة الجزيرة الخضراء، مرفا بحر الزقاق الذي عليه العبور من بلد العدوة فتلوم بها على افساد زرع لورة وخرجت الخيل في العلافة على العادة، فخرج عليها المارق عمر بن حفصون] فانهزم اصحابه وقتل منهم خلق، ووقعت حرب أخرى من الغد اشتدت فقتل فيها من اهل العسكر فارسان، وقتل من اصحاب اللعين جماعة وانهزموا ودنا العسكر من حصن لورة فنشبت الحرب عليه واشتدت وقتل من أهل العسكر السوارفي العريف، وقتل من الفسقة جماعة وانهزموا واقبل من البرانس احمد بن محمد باصحاب الميرة الذين يجلبونها الى عسكر الخبيث، عمر بن حفصون، فضربت رقابهم، وذلك أول يوم شهر شعبان منها وناهض أهل العسكر الفسقة على باب حصنهم ستة ايام اتباعا اشتدت فيها الحرب وكثرة الجراح والقتل في الطائفتين الا ان الدائرة كادت تكون أخيرا على اهل الحصن فحجرهم اصحاب السلطان داخله صغرة، واعتور الناس خلال حربهم هذه الريح والمطر والهول فزادهم برحا ورحل العسكر مساجلا مسايراً للبحر متبعا أوطان المخالفين من القصر الى مرسى الشجر الى خندق الجنة الى طريق خسين الى سهيل الى ذكوان(229) على الوادي، فكان النزول بهذه المحلة [يوم الإثنين الموافق لأول يوم من شهر يونيه العجمي، ووقعت هناك الحرب] فرجعت على اللعين عمر، فانهزم وقتل من اصحابه احد عشر رجلا من وجوههم احمد بن خيرون، وابن الايسر واخذ من خيلهم اثنا عشر فرسا ونزل الى العسكر منهم اثنا عشر طنجيا ورحل العسكر الى قصر بنيرة ووقعت الحرب عليه فانهزم الفاسق ايضا ولاذوا بالوعر،

(229) ذكرها ابن الخطيب في الاحاطة (28/2).

فقتل له طنجي مذكور وأخذ له فرسان ونزع من اصحابه الى العسكر ثلاثة عشر طنجيا، ورحل العسكر [الى ولدي بني عبد الرحمن، مقابل ببشتر، كهف الغويّ عمر، فتلوم العسكر] على تدمير ما حولها ستة ايام، لم يقع فيها حرب، وكان ذلك اول شهر رمضان منها ثم سار العسكر فنزل على مدينة ارشذونة يوم الاربعاء الموافق ليوم العنصرة، مهرجان عجم الاندلس الكائن في هذه السنة. فقامت الحرب بها على ساق الى ان انتصف النهار، فاظهر اهلها الانابة الى الطاعة والاجابة الى السلطان، فرفع القتال يوم الخميس بعد المناظرة في شروط السلم، فعترض خلاف انتقضوا عنه فعادت الحرب فاشتدت وقتل منهم ثلاثة رجال، ومن اهل العسكر طنجي واحد ثم استجابوا لما دعوا له اخيرا، فامنوا وعوقدوا ثم سار العسكر حتى نزل في المرج بحاضرة البيرة يوم الاربعاء اول يوم من يوليه الكائن فيها ثم انتقل الى حصن غرناطة، قاعدة العرب، ثم الى حصن شلوبينية(230) الى منت قاية الى عريفون، فعيِّد هناك عيد الفطر يوم الاربعاء غرة شوال منها وانتقل في تلك الجهة حتى اتى اندرش(231) انتقل منها الى باب ببشتر(232) كهف الضلالة فاتاها [مرة] اخرى واقام عليها ثلاثة ايام محاصرا ومغيرا لما حوله فانكفأ العسكر قافلا فاخذ على حصن مُرشانة الى منت روى الى قلشانة(233) الى مدينة سامي بوادي آش(234) الى طربلة الحمة الى حصن مرة الى

(230) شلوبينية أو سلوبانية(Salobrena)بالاسبانية : من الثغور الصغيرة الواقعة في جنوبي ولاية غرناطة على البحر الأبيض. قال ياقوت انه حصن بالاندلس من أعمال البيرة على شاطىء البحر «اكثير الموز وقصب السكر والشباه بلوطه» وفي وصف عبد المنعم انها قرية صغيرة على ضفة البحر بينها وبين المنكب عشرة أميال ينسب اليها أبو علي الشلوبي النحوي. انظر صفة الأندلس (رقم 99 ص : 111) القارة الافريقية للادريسي (ص : 291) معجم البلدان (360/3).

(231) Andrax بالاسبانية : بلدة من أعمال المرية تقع على شمال بجة، وصفها ابن عبد المنعم بأنها «من أنزه البلدان» وهي التي يعنيها أبو الحجاج بن عتبة الاشبيلي بقوله :

لله اندرش لقد حازت على حسن تتيه به على البلدان
النهر منساب سرت خلجانه في الروض بين أزهار الكتان
فكأنما انسابت هناك أراقم قد عدن راجعة عن الثعبان

والنهر الذي يشير اليه الشاعر هو نهر اندرش (Andrax) وقد اشتهرت أندرش خصوصا، بأنها هي الأرض الجبلية التي أقطعها فرناندو وايزابلا الكاثوليكيان لأبي عبد الله آخر الملوك المسلمين بالأندلس بعد تسليمه غرناطة. وهناك أقام حوالي سنتين قبل أن يرحل الى المغرب الأقصى في شهر أكتوبر 1493.

(232) سبق التعريف ببشتر. انظر الهامش أعلاه.

(233) سبق التعريف بقلشانة.

(234) Guadix بالاسبانية : مدينة قريبة من غرناطة وكانت في التقسيم الاداري الأندلسي تابعة لها. وهي تقع على السفح =

البنيول الى منتشيه[235] الى نفسى الى اوبقة الى قرطبة، فدخلها يوم السبت لستة خلون من شعبان منها. امر الامير عبد الله [بسجن اخيه هشام بن الامير محمد، ومروان بن عبد الملك بن عبد الله] بن أميه، وسعيد بن وليد الشامي واحمد بن هشام بن الامير عبد الرحمن، وموسى بن احمد بن زياد، فحبسوا في المطبق بداخل القصر جميعا، ثم قتل منهم اخاه هشاما ومروان وسعيدا، ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان منها. وقتل معهم يوسف بن حمدون بن بسيل وقد كان محبوسا قبلهم بغير جريرتهم، وكانت لهشام والآخرين قصة عظيمة رموا فيها بالقدح على السلطان سوف نذكرها في غير هذا المكان ان شاء الله.

مقتل ابن جودى[236]

وفي ذي القعدة منها قتل سعيد بن سليمن بن جودى ابن اسباط السعدي، أمير العرب المنتزين بمدينة غرناطة من كورة البيرة، قتله ابو عمر عثمن غدرا، فذلت العرب بعد مقتل سعيد بن جودى واضطرب أمرها وانكسرت شوكتها وهانت على محاديها المولدين المناضلين لهم بحاضرة البيرة.

• قال أبو مروان حيان : وقد ذكر القاضي ابن الفرضي، رحمه الله سعيد بن سليمن بن جودى هذا في ادباء الملوك من أهل الاندلس في كتابه المؤلف فيهم وأبان عن فضيلته كثيرا فيهم، فقال : هو سعيد بن سليمن بن جودي بن اسباط بن ادريس السعدي من

= الشمالي لجبل الثلج (Sierra Nevada) الذي يسمى جبل شلير، وهي تقع على نهر كان يحمل اسمها في أيام المسلمين ويدعى حاليا Rio Fardes. وصفها ابن عبد المنعم بأنها «كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير». وقد كان سفح الجبل الذي تقوم عليه وادي آش يسمى «سند وادي آش». سقطت وادي آش في يد فرناندو وايزابيلا الكاثوليكيين في سنة 895 هـ (1489 م). ووادي آش حاليا مركز اداري تابع لغرناطة. انظر صفة الأندلس لابن عبد المنعم (رقم 184 ص : 192) القارة الافريقية للادريسي (ص : 295 هامشنا رقم 247) المغرب لابن سعيد (الفهرس) وفيه ذكر لكتاب «الرياش في حلى وادي آش» ومقالة زيبولد في دائرة المعارف الاسلامية، كذلك : المصدر المذكور Simonet (P. 78-101)

(235) ذكر ابن الخطيب هذا الحصن باسم منتيشة في الاحاطة (270/4) وباسم منتاشة في أعمال الاعلام (ص : 27). وقد كان حصن منتيشة في وقت من الأوقات تابعا لبني حصين ابن الدحن بن عبد الله.

(236) سبق التعريف بابن جودى. انظر الهامش (ص : ...).

هوزان، من جند دمشق، يكنى ابا عثمن قد ولى جده، جودى بن اسباط الشرطة للامير الحكم بن هشام، صاحب سوّار بن حمدون المحاربي، امير العرب المتميزين عن أضدادهم المولدين والعجم من اهل كورة البيرة ايام تميزت الفرق بالعصبية وقت اطباق الفتنة ايام الامير عبد الله بن محمد، فتمير بهم سوّار الى مدينة غرناطة من مدن البيرة فملكها ودانت له العرب، وحارب اعداءهم من المولدين حتى قهرهم وخص به سعيد بن جودى لشجاعته ورئاسته. فلما قتل سوّار أمّرته العرب بعده، فقام لما مقامه وذاد عنها ذياده وكان مع شجاعته شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا، فصيح اللسان، ربيط الجنان جميل الشارة، حسن الاشارة، ثبت الاصالة واسع الادب والمعرفة يضرب في صنعة الشعر بسهم وافر، ويتصرف من سبله بكل منيعة، ذكر عنه انه سمع يوما منشدا ينشد قول ابي قيس بن الاسلت.

قد حصت البيضة راسي ... اطعم يوما غير تهجاعي

اسعى على حل بني مالك ... كل امرىء في شانه ساعي

فقال معارضا له على البديهة :

الدرع قد صارت شعاري فما ... أبسط حشاها لتهجاعي

والسيف ان قصر صانع ... طوله يوم الوغى باعي

وما كميتي لي بمستصغر ... اذا دعاني للقاء داعي

هذا الذي اسعى له جاهدا ... كل امرء في شانه ساعي

قال : وكان سعيد، مع جزالته مستهترا بالنساء، صبا إليهن مقدما لهن على جميع لذاته، حكى ابنه، عبد الله بن سعيد بن جودي، قائد وادي الحجارة[237] أيام الجماعة، قال : دخل والدي سعيد يوما المدينة بقرطبة في بعض قدماته عليها من [الـ] باب الغربي من أبوابها، وذلك في أيام للامير محمد بن عبد الرحمن، فاجتاز بدار ولده، عبد الله، الذي صارت اليه الخلافة بعهده، فوافقه يشرب في علية له باعلاها مطلة على الطريق، مع جارية له تسمى جيحان كانت موصوفة في زمانها بالجمال والحسن والاحسان، فاذا بها تغنيه

(237) Guadarajar وادي الحجارة هي مدينة الفرج وهي من مدن الأندلس قديمة وتقع في شمال غربي مدريد وعلى مقربة منها، وهي لا تزال قائمة الى اليوم. وصفها ابن عبد المنعم بأنها «مدينة حسنة كثيرة الأرزاق».

وهو يغديها ويستسقيها، فانصت للصوت، وقد ذهب بلبه وعدل ناحيته يمتع سمعه ويلتمح ساعة الى ان لاح له معصم الجارية وقد مدت يدها بالكاس الى مولاها فراقه ما رأى من حسنها ووقعت بنفسه فهام بذكرها واداه ذلك الى البحث عن اسمها، فاجتهد في شراء جارية محسنة بقرطبة نقر عنها وغالى في ثمنها حتى ملكها وسماها جيحان، اسم هواه تلك، ونال منها لذته فلم تساله عن سميتها، وهام دهرا بذكرها وقال فيها شعرا كثيرا منه قوله :

سمعي ابان ان يكون الروح في بدني   فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن
اعطيت جيحان روحي عن تذكرها   هذا ولم ارها يوما ولم ترن
فقل لجيحان يا سؤلي ويا املي   استوص خيرا بروح زال عن بدن
كاني واسمها والدمع منسكب   من مقلتي راهب صلى الى وثن

وله جارية حملت اليه من قرطبة فلما خلى بها اعرضت عنه ورمت بطرفها الى الارض خجلا فقال :

اماثلة الالحاظ عني الى الارض   اهذا الذي تبدين ويحك من بغض
فان كان بغضا لست والله اهله   ووجهي بذاك اللحظ اولى من الارض

وله عفا الله عنه :

لا شيء املح من ساق على عنق   ومن مناقلة كاس على طبق
ومن مواصلة من بعد معتبة   ومن مراسلة الاحباب بالحدق
جهت جري جموح في الصبا طلقا   وما خرجت لصرف الدهر عن عقبي
ولا انثنيت لداعي الموت يوم وغى   كما انثنيت وحبل الحب في عنقي

وله في جارية جميلة عرضت له بالصباح في غلالة حمراء، وهو خارج الى مجلس تاخذ عليه الطريق وهي تنثني في حركتها، فقال سعيد :

قضيب من الريحان في ورق حمر

ثم اعيته الاجازة طول نهاره وقد شغل بها فكره حتى دخل عليه حاجبه فاستاذنه

لعبيديس الشاعر الكاتب، وكان ينتابه هو وغيره، فساعة دخل ناداه سعيد :

قضيب من الريحان في ورق حمر

فاجاز له من قبل أن يجلس فقال :

وعهدي بالريحان في ورق خضر

ومن قوله وهو في اسار عمر بن حفصون، قبل رئاسته للعرب :

خليلي صبرا راحة الحر في صبر   ولا شيء مثل الصبر في الكرب للحر
فلا تيأسا من فرحة بعد ترحة   وان تبليا باليسر من بعد ما عسر
فكم من اسير كان في القيد موثقا   فاطلقه الرحمن من حلق الاسر
لئن كنت اخشى بعض ما قد اصابني   حمتني اطراف الردينية السمر
فقد علم الفرسان اني كميها   وفارسها المقدام في ساعة الذعر
فيا ظاعنا ابلغ سلامي تحية   الى والديَّ الهائمين لدى ذكري
وادى الى عرسي السلام وقل لها   عليك سلاميّ الى موقف الحشر
بهمك القى خالقي يوم موقفي   وكربك امضى لي من القتل والاسر
وان لم يكن قبر فاحسن موطنا   من القبر للفتيان حوصلة النسر

الثغر :

قال عيسى بن احمد : وفيها غزا لبّ بن احمد القسوي، صاحب الثغر الاعلى، حصن اورة من احواز برشلونة، قاعدة طاغية الفرنجة فتغلب عليه واحرقه ونكا بالعدو، التقى بعنقديد بن المنذر، والد شنير قومس ذلك الصقع فهزمه وفض جمعه واصاب لب الطاغية عنقديد ذلك اليوم في كفاحه له بطعنة مات منها الى ايام، واجمل الله الصنع للمسلمين فيه وتولى مكانه ابنه شنير، لعنه الله.

وفيها ابتدأ لب بن محمد بنيان حصن بلقى، من اقليم لاردة القاصية في شهر رمضان منها سنة خمس وثمانين ومائتين.

فيها غزا عباس بن عبد العزيز القائد الى كركى(238) وجبل البرانس، فوطىء

Carroca (238).

تلك الجهة وقتل ابن يامين وابن موجول من أعلام المخالفين، وأخذ حصونهما.

وفيها انعقد الحلف بين إمام المجرمين، عمر بن حفصون، وزعيم الافسق محمد بن لبّ القسوي صاحب الثغر الاعلى(239) على اجتماع الكلمة والتظاهر على امام الجماعة والسعي لاطفاء نور الخلافة وتضليل الناس بايثار الفرقة والاصاخة لداعي الفتنة وقد سفر في ذلك بينهما وقتا الى ان تم واتعد الفاسقان بالاجتماع في بعض أطراف جيان، من عمل اللعين عمر بن حفصون، لتتميم المعاهدة وشهر المخالفة، فعيق الفاسق محمد بن لبّ عن الحركة نحو عمر منجزا الموعد لاشتغاله بحرب أبي عبد الرحمن التجيبي المنتزى أمام ثغر سرقسطة وانفذ لذلك ابنه، خليفة لبّ بن محمد بعسكر لجب سارية حتى انتهى الى حصن قبليجة من عمل جيان وقدم رسوله الى اللعين زكرياء بن انيلة الى لب يعرفه بخروجه نحوه، فبيناهم في ذلك اذ ورد الخبر الى لب بقتل والده محمد بن لب على باب طليطلة، وقد غزاها ومكث على حصارها فوقع قتله على بابها يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها، فحال قضاء الله بين الخبيثين وما حاولاه من التمالوء على الاسلام، وقوض الخبيث لبّ بن محمد من مكانه منصرفا الى وطنه ذاهلا عن ابن حفصون [و] عما كان قد دبره من معاقدته وكان من الغريب ان الذي سعى في تاليف كلمتهما ومشى بينهما رجل من اشرار الخلق تشتهر معرفته بأبي علي السراج ويدعى الزاهد، وكان متكررا بجهات الثغر متحايلا بالجهاد، وهو خبيث الطوية، سيء النية مستحق بالحرابة على أهل القبلة، ابطل الله له ما سعى اليه [من] تشبيت الفتنة، وبها كانت بالاندلس الشدة التي عمتها المجاعة، وعوث [كذا] سعرها غلاء، فاجحفت بالناس وشهر اسمها بسنة لم اظن (كذا).

سنة ست وثمانين

فيها أظهر اللعين عمر بن حفصون النصرانية وباطن العجم نصارى الذمة واستخلصهم بالكلمة وايدهم وفضلهم وتعصب على المسلمين واساء الظن بهم، فنابذه عند ذلك عوسج بن الخليع التاكروني، ظهيره، وانحرف عنه، وأظهر الميل الى

(239) سبق التعريف بالثغر الأعلى. انظر الهامش أعلاه.

الطاعة وانتبذ الى حصن قنبيط، فصار حربا لابن حفصون واليا عليه، وخرج عليه أيضا يحي بن انتيله، صاحب الاثير عنده في جماعة من المسلمين فتمرس منه فانكشف للناس الآن ردته ورأوا فرضا عليهم حربه، واطردت مغازي السلطان عليه وعلى اشياعه صوائف وشواتي على يدي قائده احمد بن ابي عبدة فجرت له وعليه معه امور طويلة.

سنة سبع وثمانين

قال عيسى فيها غزا بالصائفة الى كورة موررور القائد ابو العباس احمد بن محمد بن أبي عبدة فتجول بكورة موررور وحاصر أهل الخلاف فيهم ووطئهم بكلكلة وصير طاعة المتنحلين لولاية السلطان فيها وفيما يليها بقبض حباتهم. فلما اتوه اباها تنكر لهم. وقتل في غزوته هذه من المضرية على المعصية طالب بن مولود المنتزي بموررور، وكان من اخابيثهم فورد كتابه بقتله له على الامير عبد الله في صدر ربيع الآخر منها ثم تقدم القائد احمد بن محمد الى كورة شذونة فداسها وتجاوزها الى كورة ريّة فتحول بمواطن اهل الشقاق فيها واكتسح ما مرّ عليه منها.

وفيها صلب بقرطبة المارق الملعون المعروف باسحاق من أصحاب عدوّ الله عمر بن حفصون مع صاحب له هو الذي جرى بكلامه له يوم محنته المثل الجاري بين الناس الى اليوم غررتني يا إسحاق ! كلمة قالها له صاحبه ذلك الذي صلب معه وهو يرفع في خشبة ذهبت مثلا، وكان يومه مشهورا بقرطبة.

وقال أبو بكر بن القوطية : حَسُن بلاء القائد ابي العباس احمد بن محمد وكرمت مقاومته في الذب عن الدولة وقام بحرب جميع المخالفين على وفور اعدادهم، وانما كانت عدته في حروبه ومعوله في زحوفه على نحو ثلاثمائة فارس من مدونة الجند بقرطبة، كانوا انجاداً نخبة فلم يجتمع مثلهم في عسكر بالاندلس، بهم اقتحم الغمرات الشديدة، وبلغ المبالغ المشهورة ودافع أشدّ المخالفين وامام المجرمين، عمر بن حفصون، عند انبساطه على الغارة في احواز قرطبة وبأكنافها المرة بعد المرة، الى ان نازله عند بابه

بقلعة ببشتر وجلب الخيل اليه، فاشتد الامير عبد الله بمكان قائده هذا وانتصف من اعدائه [واخرج الجيوش من قرطبة معه الى كثير من بلاد الاندلس المستغلقة عليه] فأرهب اهلها واورد عليه كثيرا من جباياتها، وانتهى الأمر بالفاسق عمر بن حفصون، الى ان تظافر مع ابراهيم بن حجاج المتغلب على كورة اشبيلية على تباينهما في الدعوة [لان] هذا مولد عصبي الا أن الخلاف للجماعة والبغض لقريش ألّف بينهما [وخفف] من نفارهما، حتى ان ابن حفصون لرغبته في تمكين الشقاق والاختلاف على الامامة سبق الى الثقة بابن حجاج، ورآه غاية الطمأنينية فاتاه بعد عامين من تحالفهما آمرا ومتالفا فالتقيا بمدينة قرمونة من عمل ابن حجاج وتبالا كنه التكريم والاستنامة والمخالفة، فصار كل واحد منهما يعد لصاحبه اذا استمده ويرسل اليه بخليه [ورجله وكان على خيل ابراهيم بن حجاج التي يمد بها ابن حفصون فجيل] بن ابي مسلم الشذوني اعظم قواده وارفعهم منزلة عنده، وكان شجاعا مجربا مرتبا للحرب جيد الرأي، فاجتمع في بعض أيامه تلك مع ابن حفصون على لقاء القائد أبي العباس احمد بن محمد بن أبي عبده، فجرت بينهم حرب شديدة كرا فيها على ابي العباس ففلاه بعد طويل صبر وصدق مراس وانحاز عنهما بعد أن قتلا من رجاله وتخلص في الصبر منهم حماة الحقيقية فلحقت ابن حفصون فيه طماعية اتبعه من اجلها وفجيل معه على تكره من فجيل وتخطئة منه لعمر فعطف عليهما القائد ابو العباس فيمن معه فهزمهما وقتل خلقا كثيرا من اصحابهما، وأدرك نيله منهما، وأبلى في هذا اليوم عبد الواحد الروطي، من رجال السلطان في الفسقة بلاء جميلا. وكان ممن اجتمعت له الشجاعة والرصانة والحجا والرجولية واغنى غيره ايضا من تلك العصابة المحتنقة وأثخن رجال السلطان في رجال ابن حفصون، وقتل منهم في هذا الوطن فيمن قتل نحو الف وخمس مائة، وقد كان فجيل الحجاجي قد نهاه عن اتباع ابن أبي عبدة وقال له : نعلم انك لمن نفل الذين عليهم مداره من ذوي الحمية وهم كثير من قلة عددهم، والرجل حمي الانفة عظيم الهمة لو اجتمع عليه أهل الاندلس ما رضي بالفرار ولا ركب طريقه وفتحان (كذا) في يوم تحكم على الله تعالى واحتقارا لما ابتدأك به من النعمة وقد تهيأت لك عليه وقعة يتحير في ذلها مدة وبالحرى أن تدرك منه فرصة، فحد عنه جهدك وخله والطريق [أ] وتهن مسرة فتحك فعصاه عمر ورد قوله،

وهوّن الخطب عليه، وقال : ما ابعده مما ضننت ! وما هو الا ان يشعر بنا فيركض فرسه ويطير على وجهه وحماداه ان يفوتنا بركضه وغدا يدخل قرطبة ولا محالة لا يستثني في امنيته. فدعا فجيل عند ذلك بسلاحه وركب معه وقال : اللهم انك تعلم اني بريء من شؤم هذا الرأي فسلمني من خطئه.

ومضوا فلقوا القائد أبا العباس وانقضوا عليه فاقتتلوا مليا فكسرهم القائد وأثخن فيهم ووافى كتابه بالفتح الى الامير عبد الله والتوقع عليه وقد بلغ منه فخرج لوقته الى مجلس السطح على باب السنة، فأمر باحضار عبد الرحمن بن ابراهيم ابن الحجاج وابن أخي عمر بن حفص فقتل أولا، وبدر الخصي الصقلبي واقف على رأس الامير عبد الله في جملة الوصفاء، وتقدم وجثا بين يدي الامير عبد الله، فقال له : يا مولاي عندي نصيحة تستمعها وان لم يكن من قدر مثلي الاشارة عليك بالنصح جهدي، فقال : وما هي ؟ قال : قد نفذ قتل ابن أخي ابن حفصون بقدر لا يرد، فان قتلت ولد ابن حجاج معه في مقام واحد عقدت بينهما من الحلف ما بقيا وابن حجاج عربي ترجى فيئته، وابن حفص مولدي لا تطفأ غائلته فعرض الأمير قوله على الوزراء فصوبوه وعجبوا من نزعه وأشاروا جميعا بمكارمة ابن حجاج واسقاط التثريب عنه واطلاق ولده اليه، وتضمن بدر طاعته ومراجعته.

وكتب التجيبي الخازن الى الامير عبد الله بانه يدخل مع بدر في ضمان فيئة ابن حجاج ويعقد على نفسه انابته الى الطاعة، وكانت لكليهما بابن حجاج معرفة متقدمة، فعمل الأمير بذلك وأطلق عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج من سجنه وخلع [عليه وسجل له على اشبيلية ولأخيه محمد على قرمونة وأسلمت الكتب والخلع] الى التجيبي، فتوجه بها ابراهيم بن حجاج فتقبلها وسربها واستجاب لطاعة الامير عبد الله وفارقه التجيبي على ضريبة المال يحملها الى الامير عبد الله، جباية البلد كل سنة، واشترط على ذلك أن يحل ما بينه وبين ابن حفصون من المناصرة والمعاونة فقط، واما الصداقة والمواصلة فلم يجب الى حلها نظرا منه لنفسه ورعيته فرضي منه بذلك، فمشى على صداقته لابن حفصون من غير معونة الى آخر امرها، واستقام ابراهيم مع ذلك على ما التزمه من الطاعة واقامة الدعوة وحمل مال المفارقة الى أن هلك. وكان ربما

هادى الامير عبد الله زيادة على ما يحمله من مال مفارقته بطرائف من هدايا بلده، فصلحت احوال قرطبة بانفتاح طريق اشبيلية وموالاة صاحبها وصارت سببا لانفتاح باب غربي الاندلس ودرور المعائش منه بقرطبة، ونوه الامير عند ذلك بفتاه بدر واسترجع حجاه، وامر فوضع له فراش للشوري مع الوزراء.

وقال القاضي ابن الفرضي : هو ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي ذوبيت نبيه في عرب حمص[240] حاضرة اشبيلية، كان له اخوة عدة، منهم يوسف وسليمن ومحمد بنو حجاج بن عمير، وكان لابيه حجاج بن عمير، جد بني حجاج جميعا اخوة عدة ايضا منهم سيد بن عمير جد بني سيد جمعاء. هؤلاء الذين سادوا بقرطبة وخدموا السلطان وتبنوا النعمة من ولده، زعيمهم محمد بن احمد بن سيد بن عمير، كان اديبا كاملا وشاعرا مطبوعا ونحويا عظيم القدر في اهل العلم والمعرفة.

قال : وكان ابرهيم بن حجاج يميل الى اهل الشعر والادب ويلتمس ثناءهم ويوالي عطاءهم فيقصدونه من كل اوب ويستمدون عطاه بكل ضرب حتى لو وفد عليه اعرابي حجازي فصيح شهرا اسمه العذري ويكنى ابا محمد كتب له قطعا من الشعو حسنة وحكايات نوادر، بوأه لديه مبوا صدق، فلم يزل مقيما في كنفه منعما في تضييفه ممتريا من عطائه، الى ان توفي عنده باشبيلية.

ومن قوله في بلوط اشبيلية وقد اعجبه ففاضل بينه وبين تمر الحجاز، وذكر ناقته ووطنه، فقال :

تحن الى البلوط حتى اذا اتت ... بلادا بها البلوط حنت الى النخل
لقد اذكرتني اذ رعات وهيجت ... غرام فواد سرمد الخفق والخبل

قال ابو مروان حيان بن خلف : هذا عندي منقول من قول اعرابية بدوية رجحها هواها بين ارطي بلادها وبين نخيل اذا انتجعه زوجها فقالت :

(240) المراد حمص هنا اشبيلية، لأن جند حمص نزلوها عندما فرق أبو الخطار الحسام ابن ضرار الكلبي الجند على الكور. وهي تسمى كذلك في كثير من النصوص. وهذه الرواية منقولة كلها عن ابن الفرضي، وعن ابرهيم بن حجاج اللخمي، انظر الحلة السيراء التي ينقل صاحبها كل مادة ابن حيان تقريبا (377/376/2) (230/1، والتعريف بابن خلدون تحقيق المرحوم محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1951، (ص : 4—78) وفيه ينقل ابن خلدون مدونه هو أيضا عن المقتبس.

الا من لقلب لا يزال مكلفا ... تزيل ما بين القريهنة والخبل
يحنّ الى الارطاة حتى اذا اتى ... بلاداً بها الارطاة حن الى النخل

وكان محمد بن يحيى النحوي الشاعر المشهور بلقبه القلفاط البد الشرير (كذا) ينتاب ابراهيم بن حجاج بن قرطبة ويمتدحه، ياتيه من قرطبة ويمتري عطاءه الى ان اتاه في آخر قَدَماته فامتدحه بقصيدته النونية الطويلة التي اولها :

ازفت رحلتي فاهمت جفونا

فهجا فيها عشيرته وساداته من اهل قرطبة واستثنى منهم بدر بن احمد، وصيف الامير عبد الله الذي كان حاجبه يهد ان يقترب بذلك من ابراهيم فلما انشده اياه مقته وحرمه، فانصرف خائبا الى قرطبة وجاش طبعه الخبيث المتسرع الى كل مَنْ عامله [بسوء] فابتدأ بهجاء ابن الحجاج والاقذاع فيه فقال :

لا تذكري للبنين طول بكائي ... فالبين برح بي وعز عزائي
ابغي نوال الاكرمين معاولا ... ابغي نوال البومة البكماء

فلما بلغ الشعر ابراهيم بن حجاج ارتمض منه واوصى الى القلفاط يقول له : بالذي لا اله الا هو لئن لم تكف عني ما اخذت فيه لامَرّ مَنْ يأخذ واسك وانت فوق فراشك، فارتاع القلفاط وكف عما شرع فيه :

لسنة ثمان وثمانين ومائتين :

فيها دعا عمر بن حفصون الى معاودة الطاعة واقصر في الانهماك وتكررت رسله والرسل اليه حتى قدر صلحه وقبضت رهائنه واغتنم سكونه فصرفت صائفته العام عنه الى كورة شذونة وما يليها فتجولت بجهاتها واستخرجت جباياتها.

خبر خروج الداعي المعروف بابن القط القرشي ومقتله :

قال عيسى بن أحمد الرازي : وفي هذه السنة خرج من قرطبة احمد بن معاوية المعروف بالقط بن هشام بن معاوية بن الامير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان منتزيا على الأمير عبد الله معجزا له عما تقلد من أمر صفقة المسلمين داعيا الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، وكان خروجه على يدي

المعروف بأبي علي السراج ذلك الخبيث المراءي بالزهد، الساعي بالفتنة الذي قدمنا ذكره وارتسامه بالرباط لتكرره في الثغور وترغيبه في الجهاد. اختار هذا القرشي لناموسه وعقده على القيام بدعوته والاكتناف لدولته، فأعطاه القرشي من ذلك ما سأله، وتدبر برأيه، وخرج معه عند تهيُّيء ذلك وسار الى فحص البلوط وجبل البرانس داعيا الى إقامة الحق وازهاق الباطل، فاستغوى طوائفهم واستالف قبائلهم وتكهن لهم، واجمل موعدهم، فاضلهم وأعمى أبصارهم ودفعهم الى اقامة الجهاد، وحركهم لنصر الديانة، وذم اليهم امامهم عبد الله، أمير الجماعة، واعطلوا اعمالهم وتقدم بهم من فحص البلوط(241) فحل ببرجيلة واضطرب بنفزة يستدعي الناس ويكاتب القبائل البرابرة ويزعم لهم انه المهدي، فائز الدين وعاصم المسلمين، فانثال عليه أهل تلك النواحي وأخرج رسلا من هنالك الى جميع من بالجوف والعرب يدعون الناس الى الجهاد معه، ويعدونهم النصر على العدو من أهل جليقية دمرهم الله الى مدينة سمورة الخراب، واعادة ملك الطاغية ادفنش [الذي] بناها وتسكينه النصارى فيها وانما بينها وبين ليون(242) كبرى مدنهم يومان، وقد طال عهد اسلافهم بتعطيل سمورة والترك لحلولها فعظم على هذا الثغر الادنى وعلى جميع المسلمين امتدادهم الى ذلك فاكبروه وقالوا قد كان اذاؤهم وطروقهم ارضنا من ليون كالمتوالي. عندنا فكيف يكون من سمورة(243) وقد اقتربوا منا ودبروا كيدنا فاصابوا مقتلنا وقد تعاورها من امامنا حماة الثغر بالسرايا فالفوا بها عدوا شديدا يحميها ويمنع اطرافها ولم يرجعوا من الامير المحمل النظر للجماعة الى ركن يصادمون به من فيه الشغلة بزعمه، بقتال اهل الخلاف عليه بالمتوسطة واشتغلاهم هم ايضا ببلد الثغر بما بينهم من

(241) Pedroches حاليا. ذكر ياقوت فحص البلوط (في باب البلوط) وقال انها «ناحية بالاندلس تتصل بحوف اوريط (وادي الحجارة) بين المغرب والقبلة من اوريط وحوف من قرطبة يسكنه البربر، وسهله منتظم خال منها جبال البرانس، وفيه معادن الزئبق ومنها يحمل الى جميع البلاد. وفيها الزعفر الذي لا نظير له» وتنسب اليها القاضي المنذر بن سعيد البلوطي. معجم البلدان (492/1). وقد خصص لها صاحب الروض المعطار مكانا مهما. انظر صفة الأندلس (رقم 127 ص : 140—143).

(242) Lyon : ذكر ابن عبد المنعم ليون (رقم 164 ص : 174) وقال انها «قاعدة من قواعد قشتالة، عامرة بها معاملات وتجارات ومكاسب، ولاهلها همة ونفاسة». وليون حاليا هي قاعدة ولاية الرون (فرنسا) وتقع عند ملتقى الرون والصاون وتبعد عن باريس بـ 460 كلم. ويبلغ عدد سكانها 1.200.000 نسمة. وليون كانت من المدن التي احتلها العرب مدة من الزمن.

(243) سبق التعريف بسمورة. انظر الهامش أعلاه.

التباين والطوائل التي فرقت الكلمة ومالت من بعضهم الى بعض الطمأنينة حتى انقطع الجهاد وكرت الجاهلية وصار اهل كل بلد من الثغور وما جاورها مضطرين الى مسالمة المشركين وملاطفتهم لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة، فهم، مع ذلك يتهافتون الى الجهاد ويتطلعون الى دخول ارض العدو فلا يجدون الى ذلك سبيلا ولا عليه معينا. فلما وردتهم رسل هذا الرجل وقرءوا كتبه طابت أهواؤهم فخرجوا نحوه مبادرين اليه مستبقين نحوه، كانما صيح فيهم لقدر مكتوب وحين مجلوب وصاروا اليه على الصعب والذلول فاجتمع عنده من الفرسان والرجالة نحو من ستين الفا، وقيل أكثر من ذلك.

فسار بهم من نفزة(244) يريد سمورة، مدينة الكفرة الحديثة الايطان، مقر شوكتهم، وعبر بمجموعة وادي تاجة وهم ممضوضون به مزدلفون الى قربه، وهو يتكهن لهم ويعدهم بفتح سمورة وما جورها، ويقول لهم انه لن ياتي مدينة ويدنو الى سورها الا خرّ [السور] قدّامه وانفتحت له، حتى فتن به كثيرا من الناس وجهله أتباعه وأقاموه مقام النبي الصادق قوله، لضعف عقولهم وسفاه احلامهم. وكان يركب فرسا نضاحا كثير العرق فسأله بعضهم عن كثرة عرقه بحيث لا تعرق خيولهم فقال : اني لا أمر بمكان أحاول تجاوزه الا وملائكته تجذبني للمقام عندهم، وملائكة المكان الذي أؤمله تنازعهم وتستكرني الى مكانها، فلهذا ما ترون من عرق فرسي. وزعموا انه كان يأخذ عدة أعواد يابسة فيضعها في كمّه ويشد عليها شبه المعتصر حتى يقطر منها رشح يشبه الماء بحيلة من الشعباذة أحكمها بحيلة له، ويقول : هذه من بعض ما اعطاني الله من الكرامة وسأريكم اكثر من هذه في اوقاته ان أخر الله المدة.

ومضى بهم على جهته يوم سمورة فلحق به طريقها نفير اهل طليطلة وطلبيرة(245) وواد الحجارة وشنت برية وذواتها في عسكره وازدلفوا اليه واتفق ان تغير

(244) بالفتح ثم السكون وراي، مدينة بالأندلس، وبالكسر ثم السكون قبيلة افريقية ينسب اليها عبد الله بن أبي زيد النفزي الفقيه. انظر معجم البلدان (296/5).

(245) Talvera de la Reina : كانت طلبيرة في التقسيم الاداري الأندلسي تابعة لطليطلة، وكانت فيما يقول ابن عبد المنعم (رقم 119 ص : 127—126) أقصى ثغور الأندلس. تقع طلبيرة على نهر تاجة (Tajo) على مسافة 150 كلم

عليه أصحابه الاولون ونقباؤه الاوثقون من رجال نفزة، ولا سيما رغلل بن يعيش، فانه يسرق به (كذا) وندم على اتباعه وخاف ان يغلبه على رئاسة قومه، فسار بذلك الى من وثق به من أصحابه وأوطاهم على الحيلة في اتلاف هذا الداعي والفتك به الى ان مكنتهم الفرصة منه اوجد الهزيمة عند اللقاء عليه.

ولما ان تلاءمت عنده جموع الثغر من البلدان التي سمينا احتجب عنهم اياما فساءهم ذلك وكلفوا بالنظر اليه وسماع كلامه لما كان يبلغهم عنه، وخاطبوه في ذلك فخرج عليهم، وقد ركب فرسا اشهب ولبس ثيابا بيضاء واعتم بعمامة [بيضاء وتقلد سيفا ابيض، الحمائل وبرز فطاف بالعسكر، وعرض نفسه على الجماعة] ثم رجع يريد قبته. فلما قرب منها همز فرسه فحركه حركة جافية غير محكمة ثم أمسكه فانكر أهل العسكر قبح ما صنعه في مثل تلك الحفلة وبان لهم طيشه وقلة رزانته ثم انه نهض لحشوده حتى نزل بشاطىء دويرة(246) بالعدوة التي تلي بلد المسلمين على باب مدينة سمورة وكتب من هناك الى الطاغية أذفونش بن أرذون(247) ملك جليقية، وجميع من كان اجتمع له من وجوه النصرانية كتابا مغلظا يدعوهم فيه الى الاسلام وينذرهم بالصاعقة، وأمر رسوله أن يستعجل منهم جوابه ولا يتوقف عندهم، وان هم ابوا من مجاوبته ان يعود بالخبر اليه، ونسخة كتابه ذلك مشهورة عند اهل الثغر، فاتى رسوله اذفنش ومن معه وقد اجتمعوا له بداخل مدينة سمورة ودفع اليهم الكتاب، فلما قرىء عليهم وترجم لهم تحروا وغضبوا ونهضوا من فورهم ذلك يريدون مكان محلته، فتقدم الملك اذفنش في تعبئة من مدينة سمورة حتى الوادي الكبير فقام بازائه على الضفة التي تلي سمورة وتعرضت خليه للحرب فطاش اليها خيل من المسلمين ناشبتها الحرب بداخل الوادي فدارت بينهم مليا وتاججت نيرانها فما قاوموا المسلمين الا يسيرا، ثم

= من مدينة طليطلة. ذكرها الرازي في صفة الأندلس (ص: 84) وقال انها من قواعد كورة طليطلة وانها حاجز بين المسلمين والافرنج». ويصف ياقوت الذي يذكر ذلك ان الافرنج استولى على طلبيرة قائلا فهي في: «أيديهم الى الآن فيما احسب». انظر معجم البلدان (4/37—38) والقارة الافريقية والأندلس للادريسي ص: 274 وهامشا رقم 178) وفيه ان طلبيرة «مدينة كبيرة وقلعتها أرفع القلاع حصانة، ومدينتها أشرف البلاد حسنا، وهو بلد واسع المساحات شريف المنافع الجم». وكذلك مقالة ليفي بروفنسال في دائرة المعارف الاسلامية (مادة طلبيرة).

(246) Duero نهر يجري في البرتغال.

(247) الفونس الثالث

انكشفوا وولوا المسلمين اكتافهم فمروا خلفهم يقتلون وياسرون حتى اتوا على واد يقال له اردوني بقرب سمورة، وهو واد وعر لانخفاضه وضيق مسالكه، اقحمهم المسلمون فيه فقتلوهم أقبح قتل وعبروا متبعين لهم وهم يقطعون الى سمورة. فلما حقق المسلمون عليهم [النصر] نكب اكثرهم عنها وجدوا في الهرب حتى تجاوزها منهزمين باكثر من عشرة اميال الى داخل بلدهم. فلما رأى الفاسق رغلل بن يعيش ورجال نفزه ما فتح الله لهذا الداعي من هذه الهزيمة حسدوه عليها وقالوا بينهم : ان تمّ لهذا الرجل هذا الفتح العظيم وانصرف الى ما قبلنا لم نسكن بلدنا معه وخرجنا عنه من اجله، واذا لم تمكنا منه الفرصة فهلم فلنفر، عايه الهزيمة، فتنادوا بشعارهم ولووا بنودهم راجعين على مكان المحلة ثم اطاهم وأتبعهم [اقوام] من قبائلهم، فاتوا المحلة فاخذوا ما كان فيها لهم وهوّلوا على من لقوه من المسلمين بان الهزيمة قد استمرت بهم، وان العدو قد ركب ردعهم، فاقتدى بهم الناس طرا فرجع اكثرهم واختلطوا وجاوزوا، ووقعت عليهم الصيحة فصحت على جميعهم الهزيمة وظهر ذلك للمشركين فكروا عليهم وركبوا اكتافهم حتى اسلكوهم النهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة عند ازدحامهم فيه ثم عبروه في هزيمتهم والعدو يطلبهم ويرهقهم حتى اتوا وادي دويرة الكبير فاعترضهم عليه من تلوم بالمحلة من المسلمين يرجون منعهم من جوزه اليهم فلم يقوابهم وهزمهم العدو حتى اتوا بهم الى محلتهم فقاتلوهم فيها إلى ان غشيهم الليل فانقبض العدو عنهم وفتق كثير من المسلمين تلك الليلة من المحلة وهربوا على وجوههم فنجوا، وبات كثير منهم بها مع الداعي وهو يعدهم النصر، فصبحهم العدو في اليوم الثاني تهفو بهم ريح النصر، فحاربوهم النهار كله وجن الليل فبات فيهم ولم يذهب عنهم واحاط من جهات محلتهم فكل من فتق منهم في تلك الليلة اخذ فقتل أو اسر، فكانوا طول الليل على هذه الحال من حصر المسلمين والاحتراس بهم والتضييق عليهم حتى اسفر الصبح من اليوم الثالث، فناهضهم العدو، وعلم الداعي، امرهم انه غير ناج فشد على نفسه وهمز فرسه واستعرض العدو مقبلا عليهم بوجهه فقاتل حتى قتل [هو] ومن صابر معه وتغلب العدو على المحلة، فانتسف ما كان فيها وجزوا راس الداعي ابن القط، فجيء به الملك اذفنش، فامر بنصبه على باب سمورة، وعظمت المصيبة بكثرة من قتل من المسلمين، وزاد العدو استكلابا عليهم وجراة. وهذه الوقيعة تعرف عند اهل الثغر بيوم سمورة، وكانت لعشر بقين من رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين.

قال عيسى بن احمد : وجدت بخط الخليفة الحكم المستنصر[248] بالله من خبر ابن القط[249] هذا القائم على ابي جده، الامير عبد الله، قال حدثني القاضي منذر بن سعيد، قال : خرج ابن القط هذا من قرطبة بناموس يبغي به الدولة فنزل عندنا بكرجة عند ابن عم لي فاقام عنده نحو شهر وهو لا يعرفه ولا يذكر له شيئا، ثم خرج عنه فنزل نفزه عند بني راشد، على وادي آنة فاقام لديهم [شهورا، واظهر شأنه عندهم ويمنيهم حتى استجاب له اهل ذلك الجانب واجتمع] اليه جمع منهم ثم ارتقى الى مكاتبة اهل ماردة وبطليوس وطليطلة وذلك الثغر، فسارعوا اليه واجتمع له جمع لم يعلم انه اجتمع مثله لاحد، فدخل الى مدينة سمورة، من اداني مدن جليقية، فواقع العدو وظهر عليه اول مخالطته لهم ثم غدرته اهل ذلك الثغر وهو مصاب للعدو ثم تسلل عنه الناس واحتشد اليه العدو، ومالوا على بقيته فقتل وقتل [من معه] عن آخرهم، وقد كان حل من نفوس اصحابه محلا عظيما. لقد اخبرني خالي، وكان قد شهد الغزاة، انه لما عبّأ صفوفه وجعل يثير عليها، فاذا رآى خللا من جانب من جوانبها اشار بكمه اليه فرجع الى حده ونفذ امره دون ان يفوه به : قال وحدثني بعض المكناسيين، قال : اتانا على اثر خروج الداعي، ابن القط، عنا رجل عليه ثياب صوف راكبا حمارا، في رجليه نعلان من حلفاء، فسألنا عنه فقلنا له : من انت يرحمك الله ؟ فقال : ابو علي السراج. قال : ثم ضرب وجه حماره وانصرف الى ناحية قرطبة، واذا به داعيته.

---

(248) المقصود هو الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله الخليفة الأموي (302—366 هـ). ولد بقرطبة وولي الخلافة عقب وفاة أبيه في سنة 350 هـ. طمع في ملكه النصارى، وعلى رأسهم اردون بن الفونس الثالث فجهزوا للاغارة على قرطبة ولكنه فاجأهم بغتة، فقام بها بنفسه وهزمهم، فعاقدوه على السلم واشترط عليهم ذلك حصونهم كما عاهدوه على أن لا يمالئوا أحدا يتصدى لمحاربته، وزاره اردون في قرطبة مستجيرا به، كما جاءته بيعة «لشاخة بن ردمير» وطاعته مع قومس (Comta) جليقية وسمورة. وكذلك خطب باسمه أمراء زناتة ومكناسة بالمغرب الأقصى. كان الحكم عالما بأمور الدين ملما بالأدب واللغة والتاريخ محبا للعلماء والشعراء مقربا لهم، وقد استمرت ولايته خمسة عشرة عاما. انظر أخباره في العبر (144/4) نفح الطيب (الفهرس وخصوصا، 386—396) الكامل لابن الاثير (224/8) — جمهرة ابن حزم (ص : 92) جذوة المقتبس (ص : 13) الفتوحات الاسلامية في فرنسا الخ. (ترجمة ونشر ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 المغرب لابن سعيد. 1—181).

(249) سبق التعريف بابن القط. انظر الهامش أعلاه.

قال عيسى : ومحمد بن هشام المنبذ بالقط هو جد هذا القائم احمد، وكان جميل الوجه، وهو الذي يقول فيه ابن ابي ايوب :

اعجوبة ما سمعت قط   قالوا رشا وانده قط
قد قلدوك السيف يا سيدي   والقرط اولى بك والمرط

ولمؤمن الشاعر في الغزل بابن القط هذا يخاطب منصور المغني :

قولا لمنصور ابا نصر   بحرمة المضراب والوتر
الا حكمت اليوم لابن الذي   لقب بالقط على البدر
ما ان برى الرحمن من خلقه   احسن منه يا أبا نصر
لا والذي طافت قريش به   بالبيت في ايامه العشر
كانما هاروت في طرفه اذا   رنا ينفث بالسحر

وذكر معاوية بن هشام ابن القط هذا في النسب، فقال : هو أبو القاسم احمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن الامير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. كان من أهل العناية بالعلم والمطالعة لعلم النجوم ومعرفة الهيئة وكانت له حركة وفيه شراسة وخرج في ايام الامير عبد الله بن محمد اوان ارتجاج الفتنة يطلب الدولة ويظهر الحسبة والرغبة في الجهاد فصار بارض الجوف، وتجول في بلاد البرابر هناك يظهر لهم الزهد ويدعوهم الى جهاد الكفرة، فاجتمع له خلق عظيم من برابرة الجوف والغرب، ومن اهل طليطلة وطلبيرة، اقتحم بهم ارض جليقية، فقصد منها مدينة سمورة وذلك سنة ثمان وثمانين [ومائتين] وكان ملك جليقية يومئذ اذفنش بن أرذون، فنازله بسمورة [و] ومن اجتمع اليه من النصارى ثلاثة أيام ثم خذله رؤساء البرابر فانهزموا عنه وثبت على قتال الطاغية فيمن بقي معه من أهل البصائر حتى قتل في اليوم الرابع واستؤصل أصحابه الا قليلا ممن نجا منهم.

قال : وكان احمد هذا من أهل الجمال البارع والخلق المطهم.

وفيما وقع بنهر قرطبة سيل عظيم اغتصت به حلاقيم القنطرة وتثلم بعض ارجلها.

سنة تسع وثمانين ومائتين :

فيها حاصر القائد ابو العباس أحمد بن محمد بن ابي عبدة حاصة جيان وبها عمر بن مضم فافتحها في شهر وجيء بابن مضم الى قرطبة.

وفيها استدعى مطرف بن حبيب ويحيى بن قطام شيخا طليطلة لبّ بن محمد بن لب القسوي، صاحب الثغر الاعلى الى دخول طليطلة فبعث معهما أخاه مطرف بن محمد فدخل طليطلة لسبع بقين من ذي الحجة وصارت في ملكه.

سنة احدى وتسعين ومائتين :

فيها غزا بالصائفة ابّان بن الامير عبد الله وقاد بها احمد بن محمد بن أبي عبده، وهي الغزاة المعروفة بغزوة ريُّة، ففصل العسكر يوم الخميس لست خلون من جمادى الاخرة منها، وتنقل في مراحله الى ان وافى حوز ببشتر، حضرة اللعين عمر بن حفصون، فاخذ في افساد الزرع واحراق القرى واخراب العمارة ثم لصق بقلعة ببشتر فوقعت الحرب الشديدة مع اللعين عمر بن حفصون يوم نزول المحنة وقتل من انجاد رجاله المعروف بغلام بن ربين، وفشت الجراح في الفريقين والعقر في الخيل وكان الشفوف لأصحاب السلطان، وخرجت خيل المغيرة من الغد لسبيلها في الافساد، فالتقت بخيل ابن حفصون ذلك عندما توافت اليه امداده فقويت نفسه وانشب الحرب فلما اشتدت استطرد لاصحاب السلطان وجرهم الى كمين قد مكان اكمنه. فلما بلغوا الى مكانه خرج عليهم وكانت على أهل العسكر ردعة شديدة قتل فيها جماعة منهم فيهم زيدان غلام منذر وابن خزيمة وجماعة ثم ثاب اصحاب السلطان وكروا على الفسقة فهزموهم الى وادي ببشتر فاعتصموا بالوعر ووافى نازع فذكرانه قتل اللعين وصيفين من اترابه وعدة من الرماة وعقرت لهم خمسة عشر فرسا. ثم رحل العسكر الى المحلة المعروفة للامير عبد الله، وخرجت الخيل لافساد الزروع وتحريق القرى، فعاد اصحاب السلطان في اليوم الثالث لاعتراضها، والقائد أبو العباس فيها، فوقعت حرب صعبة وعراك طويل انهزم عنه الفاسق مجريين وحرقت القرى الملاصقة لببشتر والكنائس الفخمة حولها وقتل من الفسقة جمع وعقرت لهم خيل ثم كانت لهم

كرة آخر النهار على اهل العسكر ارتدعوا لها فقتل منهم ابن الفحام واسر ابن اسمعيل واستدار العسكر حول ببشتر ستة عشر يوما يستقري قراها ويتقصى أكنافها بالاحراق والتدمير والانتساف والتغيير ثم نزل على وادي ببشتر فنزلت الحرب يومئذ بينهم وبين أصحاب الخبيث فاظهر الله جند الامير ودحر جند الخبيث، فانهزموا أقبح هزيمة وقتل منهم أربعة وأحرقت قرى الناحية الاهلية الى حد المحلة المنسوبة للامير المنذر ثم غودوا بالحرب في اليوم التالي فكانت حربا شديدة قتل فيها خمسة من رجال اللعين وعقرت لهم خيل وقتل من رجال السلطان طنجي واحد، وغودي اللعين بالحرب [في] اليوم الثالث أيضا فالتقت واشتدت واستظهر رجال السلطان أخيرا على اللعين وأرهق حتى عقر له ولأصحابه خيل كثير، واحرقت المنية المنسوبة الى اللعين ولده وما حولها من القرى والمنازل، وتلوم العسكر بمحلته تلك يومين على الافساد والتدمير. فلما رحل في اليوم الثالث، عرض له عدو الله عمر بن حفصون في الوادي وانتشب الحرب معه كما لم تزل فظهر عليه رجال السلطان، فانهزم الى محلة المنذر الامير وقتل له رجال وعقرت له خيل.

وسار العسكر نحو لوشة فخرج عليه أهل طرش معترضين للحرب فقاتلهم القائد أحمد بن محمد حتى هزمهم الى باب حصنهم وقتل منهم المعروف بأخي زيني من وجوه فرسان اللعين في آخرين منهم ثم نازل الحصن وأحاط به ونصب المنجنيق عليه فلم يؤثر فيه لمنعته، وجال العسكر في تلك الجهة أياما يحرق ويدمر وينسف الى أن احتل بمسانة من قرى قبرة[250] يوم السبت لخمس خلون من شهر رمضان منها فتردد في تلك الجهة أياما، ثم قفل فرحل الى قرطبة بعد ثلاثة أشهر وستة عشر يوما.

سنة اثنتين وتسعين ومائتين :

فيها كانت صائفة الى عمر بن حفصون جالت على الحصون المنصوبة فهتكتها حصنا حصنا ولاذ بعضها بالأمان فقوطع أهلها على مال منهم ورفع الوطء عنهم.

(250) Cabra كورة وحصن في مملكة غرناطة وتقع في شمال غربي غرناطة. انظر عبد المنعم (ص : 159).

وفيها كان الوقيعة على الخبيث عمر بن حفصون بوادي بلون وقد توافت اليه أمداده من أهل النكث وقاتل رجال السلطان فدارت لرجال السلطان عليهم وهزموا وقتل منهم خلق كثير وفرّ خاسئا خاسرا لم يصحبه من إخوانه غير يحي بن بقى المعروف بمشطار، وفي هذه الوقيعة جرى عليه هذا اللقب فلزمه وضرب المثل به وكانت لذلك قصة.

سنة ثلاث وتسعين ومائتين :

فيها حوصر فهر بن أسد بحصن تمش من كورة جيان وتغلب عليه فجيء به إلى قرطبة وصلب بها في ربيع الآخر منها.

وفيها دخل القائد أحمد بن محمد بن أبي عبده حصن قنيط من كور تاكرنا فملكه وأدخل عليه الحشم وولاه عاملا من قبل السلطان واستنزل من كان فيه من بني الخليع.

وفيها عزل محمد بن اميه بن شهيد عن المدينة ووليها محمد بن وليد بن غانم وكانت ولايته ستة أشهر ووليها مكانه موسى بن محمد بن حدير، وكان آخر ولاتها للامير عبد الله.

سنة اربع وتسعين ومائتين :

فيها غزا بالصائفة الولد ابان بن الامير عبد الله الى الجزيرة الخضراء وقاد بها القائد أبو العباس احمد بن محمد بن أبي عبدة فنزل العسكر عليها لتسع بقين من رجب منها وتردد عليها ثمانية أيام لانتساق ما حولها ثم سار العسكر الى حاضرة ريّة وبها مساور بن عبد الرحمن، فوقت الحرب ببابها وحرق ربضها ثم اذعن مساور وأعطى رهائنه وجال العسكر [في] الساحل كله يستقري بقاع أهل الخلاف ثم خرج من حصون البيرة قافلا الى قرطبة في ذي القعدة منها.

سنة خمس وتسعين ومائتين :

فيها غزا بالثفة ابان بن الامير عبد الله وقاد به القائد أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة فجالت بساحة ببشتر ونواحيها تخرق وتخرب وتنسف وفيها انتقض سعيد بن الوليد بن مستنة وتخلى عن حصن بلده المارق عمر بن حفصون ظهيره وعاد معه.
وفيها ولى محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان المدينة فاستعفى منها فعزل عنها ثاني يوم ولايته وأعيد اليها موسى بن محمد بن حدير فاستقرت في يده.

سنة ست وتسعين ومائتين :

فيها غزا بالصائفة ابان ابن الامير عبد الله وقادها القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة أيضا فجالت بناحية ببشتر عش الضلالة، ثم مال بها القائد عند القفول على حصن لك(251) من حصون سعيد بن وليد بن مستنة، وذلك في غرة ذي القعدة منه فنازله وأقام عليه حتى افتتحه صدر محرم من سنة سبع وتسعين ومائتين بعدها فقال في ذلك عبيد الله بن يحيى بن ادريس يهنيء الامير عبد الله في شعر حسن له ارق فيه النسيب وخرج الى المديح فقال :

علي من لحظه سيفان سلهما   فكم بقاء أسير بين سيفين
الا كقدر بقاء الجانبين معا   من بين جندين للتقوى معديين
الله أيد عبد الله حين غدا   يذب عن دينه الارضي عنويين
يا ابن الخلائف أسعرت الخلافين   ذعرا وفرقت ما بين الفريقين
وجاءك الفتح في العيد الكبير فما   رأيت مثلما في اليوم عيدين
فتح تجددت الدنيا لجدته   واستبل الناس في فصل الزمانين
ان الذي ابتدأ النعمى يجود بها   عليك في جلد اشلاء النفاقين
هو ابن مستنة الغاوي وصاحبه   في النار لما أجابا داعي الحين
رميت ذلك بداء لا دواء له   منه وغادرت هذا بين حربين

(251) مدينة وحصن بالأندلس من كور رشذونة على النهر الذي يحمل نفس الاسم انظر صفة الأندلس لابن عبد المنعم الحميري (رقم 52 ص : 169).

يا فرحت من رأى في الغزو طالعها — وشاهد الفتح لم ياسف على البين
الذي في السمع من بشرى الحميم اذا — وافى ومن منظر المشوق في العين
هذا النجاح امام المسلمين وذا — هو القفول الذي اوفى بعيدين
تم الاعادي بحتف نازل بهم — معجم هلكهم من قبل شهرين
لا كما الذي انبأ الشاوي طليطلة — ان البلاء عليها بعد عامين

وهي طويلة. وعنى بقوله هذا النجاح البيت شعر عباس بن فرناس في قفول الأمير محمد عن طليطلة موافقا للعيد حيث يقول :

ان القفول الذي اوفى بعيدين

اذ كان الفتح على ابن مستنة وافى الأمير عبد الله في قرن مع عيد الاضحى سنة ست وتسعين ومائتين.

وقال : وفيها وافى نهر قرطبة بمد عظيم طما سيله وساء تأثيره واعتد في أمهات السيول الطامية.

سنة سبع وتسعين ومائتين :

فيها خرج بالصائفة الولد ابو امية العاصي ابن الامير أبي عبدة فنزل على حصن بلدة من حصون اللعين ابن حفصون ونشبت الحرب مع الفسقة، فاعتلى عليهم الجند وهزمهم على الباب وقتلوا راجلين وقتلوا هم من الجند راجلا اسود وخرجت العلافة عشي النهار فاعترضهم الفسقة فجرت بينهم حرب شديدة. ثم رحل العسكر من الغد وبقي القائد أبو العباس في الساقة فخرجت عليه خيل الفسقة وكانت حربا شديدة وقعت فيها جراح فاشية وعقر في الخيل كثير وجال العسكر على ذلك في الجهة مديرا عليها مفسدا لزروعها ثم نزل شنت برية[252] على ببشتر دار البوار، فنشبت الحرب وفشت الجراح واشتد الكفاح وعقر لابن أخي اللعين ابن حفصون فرس من انجاد افراسه وأصيب من رجال السلطان داود البرنسي وانجلت

(252) سبق التعريف بشنت برية انظر الهامش أعلاه (ص : ...).

الحرب في اليوم الثاني فلم يكن كبير فاش (كذا) ابن اللعين على العلافة وقد انتشروا وذهلوا فأخذت لهم دواب ولحقتهم روعة شديدة ونازل العسكر حصن طلجيرة فوقعت الحرب واستبحرت، فظهر أصحاب السلطان على أصحاب الخبيث وقتل منهم جماعة منهم ابن مقيم وغيره وقتل من أهل العسكر الكلاعي وحده، وكانت جراحات وعقر في الخيل فاشيان.

وأقام العسكر عليهم يوما آخر فنشبت الحرب واشتدت وقتل من أهل العسكر رزق الله الجاهل ورجل من عرفاء ارجذونة ثم عادت لأهل العسكر على الفسقة فانهزموا وقتل منهم جماعة جيء منهم بتسعة رؤوس وباسرى ممن نالته الجراحات المثخنة ونجا أخو عمر بن حفصون هاربا ولحق بابن انثلة وابن طمشكة، وجال العسكر [في] تلك الجهات كلها منتسفا بقاعها مغيرا نعمها الى أن احتل البيرة يوم الخميس لثلاث خلون من شوال منها فاستقرى حصون أهل الخلاف حوالي حاضرة البيرة وحصن غرناطة الى أن نازل حصن شبيلش فوقعت فيه حرب شديدة بين الفريقين ونالت ابن طملس فيها جراحات ثم انتقل العسكر الى حصن جليانة فنازله بالقتال وصبّحه بالحرب فاشتد بين الفريقين الى حين الضحى وقتل من أهل العسكر يحيى بن مسرور وانتهى العسكر الى حاضرة بجانة ثم انخرط منها قافلا على طريق جيان فدخل الى قرطبة بعد أربعة أشهر غير ثمانية أيام.

وفيها فتحت مدينة بياسة من كور جيان واستنزل منها محمد بن يحيى بن سعيد.

وفيها اجتمع عميد الفسقة عمر بن حفصون مع سعيد بن وليد بن مستنة وسعيد بن هذيل متظاهرين على المعصية متمالئين على أهل الطاعة فشنوا عليه غارات مصمئلة ثم انتهوا بها الى ناحية جيان فأصابوا الدواب والبقر والمواشي فأثقلوا وانضووا الى حصن جريشة بالغنائم ولحق بهم القائد ابو العباس بن ابي عبدة فنازلهم فيها باجمعهم وواضعهم الحرب، فاشتدت بينهم ثم عادت على الفسقة فانهزموا وقتل كثير منهم وانتقذ (كذا) اكثرهم الغنائم، ومشى القائد احمد بن محمد بن ابي عبدة في هذه

السنة بجبل اروس (ايروس ؟) من كورة قبرة وبني الخصون على ابن هذيل وضايقه.

وفيها كانت المجاعة الشديدة التي عمّت الاندلس ومات بعاديتها أكثر الخلق وعَبر كثير منهم الى البحر الى أرض العدوة، وهذه السنة تعرف بسنة جوع جيان.

سنة ثمان وتسعين ومائتين :

فيها خرج بالصائفة الولد العاصي ابن الامير عبد الله وقاد بها القائد احمد بن محمد بن أبي عبده فجال العسكر في نواحي ببشتر وغيرها من بلاد الخلاف واستقرى حصونهم بالساحل من كورتي ريّة والبيرة وانصرف ظاهراً غالبا، وكان عيسى بن محمد بن احمد مقيما بالخيل ببيانة فاغار الخبيثان عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة على قرى قبْرة وقرى قرطبة فخرج عيسى بن أحمد طالبا [لهما] فلحقهما بقرية مطنانة من قبرة، ووقعت بينهم حرب شديدة على نهر ألبّه انكشف لها الخبيثان فقتل من أصحابهما مقتلة عظيمة وولوا منهزمين وأُخذ علمهم ومضوا على غير هداية.

الثغر :

وفيما غزا محمد بن عبد الملك الطويل صاحب وشقة من الثغر واصاب فيه ثلاثمائة سبية وقتل اكثر رجاله وهرب بقيتهم تحت الليل وغنم منهم غنائم وهدم الحصن وأحرق ربضة ومنازله، وجال في الناحية منتسفا لها، وقفل سالما، وبلغ ثمن سبيه ثلاثة عشر الف دينار وضعها محمد بن عبد الملك في بنيان سور مدينة وشقة فحصنه وحكمه.

سنة تسع وتسعين ومائتين :

فيها غزا بالصائفة الولد ابّان ابن الامير عبد الله وقاد بها عباس بن عبد العزيز ثم اتبع بالقائد الاعلى أحمد بن محمد بن أبي عبدة، فقصد العسكر قلعة ببشتر، قاعدة جرثومة الضلال عمر بن حفصون، وجهاتها فجال هنالك مدمرا منتسفا

وخرج عباس بن القائد احمد بن محمد بن ابي عبدة في طائفة من الجيش الى المنتلون لحرب الفاجر سعيد بن هذيل وافساد زرعه، واتفق أن تهافت الطنجيون الذين في العسكر على النزوع الى الخبيثين ابن حفصون وابن هذيل، فدارت الدائرة على هؤلاء واستوصلوا بالبلدين، ببشتر والمنتلون.

وفي يوم الاربعاء لليلة بقيت من شوال منها كسفت الشمس فغابت جميعا وظهرت نجوم السماء وغشيت الظلمة الافق فصلى أكثر الناس صلاة الكسوف ظنا منهم بالمغيب، ثم انجلا الظلام وعادت الشمس فيه مقدار ساعة ثم توارت بالحجاب لوقتها

ان الله وملائكته يصلون [على النبي]
انتهى السفر الثالث من مقتبس
ابن حيان في تاريخ الاندلس.

فهـرس
الأعلام والأماكن والمدن
فهرس الكتاب

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الموضوعات